هـ. آيدريس بل
أستاذ شرف علم البردى بجامعة اكسفورد

مصر
من الاسكندر الأكبر حتى الفتح العربى

دراسة فى انتشار الحضارة الهلينية واضمحلالها

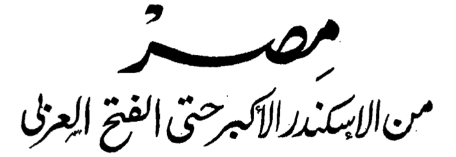
نقلـه الى العربية واضاف اليـه
دكتور
عبد اللطيف أحمد على
استاذ التاريـخ القديم
بجامعة بيروت العربية وجامعة القاهرة

١٩٧٣

دار النهضة العربية
للطباعة والنشر
بيروت ص. ب ٧٤٩

اهداءات ٢٠٠٠
ا.د.رشيد سالم الناضوری
أستاذ التاريخ القديم
جامعة الإسكندرية

هـ. آيدريس بل
أستاذ شرف علم البردي بجامعة اكسفورد



دراسة في انتشار الحضارة الهلينية واضمحلالها

نقله الى العربية واضاف اليه

دكتور
عبد اللطيف أحمد علي
استاذ التاريخ القديم
بجامعة بيروت العربية وجامعة القاهرة

١٩٧٣

دار النهضة العربية
للطباعة والنشر
بيروت ص.ب ٧٤٩

تصـــدير

فى هذه الطبعة (الثانية) من ترجمة هـــذا الكتاب [١] التى انفـــرد بالاضطلاع بها ، رأيت ـــ بعد مرور حوالى خمس عشرة سنة على صدور الطبعة الأولى فى عام ١٩٥٤ [٢] ـــ أن أعيد صياغة الترجمة فى مواضـــع شتى ، واصحح اخطاء عديدة مطبعية وغير مطبعية ، واضمنها كل جديد ظهر بمختلف اللغات عن الموضوع خلال هذه المدة الطويلة وذلك فى شـــكل حواش وضـــعتها بين حاصرتين مربعتين [ ] ، تمييزا لهـــا عن حواشى المؤلف الأصلية التى نقلتها من آخر الكتاب الى ذيول الصفحات ووضعتها بين قوســـين ( ) ، وان كنت قد استكملتها أحيانا عند الضرورة اتماما للفائدة أو استجلاء لما قد يبدو غامضا . كذلك شفعت الـــكتاب بثبت لسنوات حكم الملوك البطالمة وأباطرة العصر الرومانى والبيزنطى ، مع شروح لها وتعليقات وافية مستقاة من الوثائق الأصلية أو المقالات والكتب التى نشرت فى السنوات الأخيرة (حتى عام ١٩٦٨) . وبذلك اصبح هذا الكتاب ضعف حجمه فى الأصل ، كما زاد عن الترجمة فى طبعتها الأولى بقدر النصف .

ولما كان الكتاب فى الأصل مجمـــوعة من المحاضرات ، فقـــد اقتضى التعريب ادخال بعض تعديلات على شكله لفائدة القراء ، ومن بينها وضع

---

[١] عنوان الكتاب الاصلى :
H. Idris Bell, **Egypt From Alexander The Great To The Arab Conquest :** A Study in the Diffusion and Decay of Hellenism. (Being the Gregynog Lectures for 1946). Oxford 1948.

[٢] صدرت الطبعة الاولى بالاشتراك مع زميلى الاستاذ الدكتور محمد عواد حسين عام ١٩٥٤ . وكان قد عاوننى فى ترجمة جزء من هذا الكتاب . وقد حالت ظروف اعارته للكويت دون معاونته فى هذه الطبعة التى احتاجت اضافاتها الجمة الى الاطلاع على الوثائق البردية التى نشرت فى السنوات الأخيرة وعلى مصادر ومراجع وبحوث كثيرة لا يتيسر وجودها فى كل مكان .

عناوين فرعية جانبية لتيسير الانتقال من نقطة الى اخرى . وقد ابقيت فى هذه الطبعة على هـذه العناوين وان كنت قد ادمجتها او بالأحـرى اختصرتها تحت عناوين اقل تشعبا واكثر ملاءمة . ونقلت الحواشى الملحقة بآخر الكتاب الأصلى الى ذيول الصفحات لتقريبها من المتن ، وتسـهيل الرجوع اليها فى نظرة سريعة . كذلك اقتضت الملاءمة أن أنقل بعض فقرات فى الأصل من موضع الى آخر حرصا على ترابط نقطة أو موضوع معين . وقد أضفت الى قائمة المراجع العامة والخاصة فى آخر الكتاب كل ماصدر حديثا من كتب فى تاريخ مصر من الاسـكندر حتى عمـرو بن العاص . وأما عن مجموعات الأوراق البردية المدمجة أصلا ضمن مراجع الفصـل الاول ، فقد أصبحت قاصرة غير وافية ولا تتمشى مع الواقع ، إذ زاد الآن عدد هذه المجموعات زيادة كبيرة . ولذلك لم أجد جدوى من الحاقهـا بالكتاب المعرب . وأشير على القارىء بالرجوع الى كتاب آخر يجد فيه أوفى قائمة صدرت حتى الآن للمجموعات البردية ، والشقف [1] .

ومؤلف الكتاب سير « هارولد آيدرِس بل » غنى عن التعريف ، فهو عالم ثقة بدا حياته العلمية امينا للمتحف البريطانى ، ثم عكف على دراسة أوراق البردى اليونانية واللاتينية الخاصة بتاريخ مصر من الفتح المقدونى الى الفتح العربى ، بل الى ما بعد الفتح العربى ، ونشر كثيرا من الوثائق البردية وما اليها ، وكثيرا من البحوث القيمة فى مختلف الدوريات العلمية ، والقى طائفة من المحاضرات الشائقة ، التى نشر أغلبها لدقته وعمقه فى المجلات . لا عجب ان كوفىء بلقب « سير » وبمنصب علمى شرفى فى جامعة اكسفورد . وكتابه الذى نحن بصدده يتضمن ، على ايجازه ، عرضا دقيقا لأبرز مظاهر حضارة مصر فى عصورها البطلمية والبيزنطية ، مع فصل ممتع عن أوراق البردى ، التى استقى منها المؤلف معظم الحقائق ، وقصة اكتشافاتها المثيرة ، وعن علم البردى ، ونشأته ، وهو علم وثيق الصلة بمصر ، ولا يكاد يتصل الا بها ، لأن مصر — كما هو معروف — هى الموطن الأصلى ، والمصدر الرئيسى لأغلب الأوراق البردية .

---

[1] E. G. Turner, **Greek Papyri : An Introduction.** (Oxford, 1968). ch. IX (pp. 154-171).

وكان الأستاذ « بل » قد بلغ الخامسة والسبعين فى عام ١٩٥٤ . وبهذه المناسبة صدر عدد خاص من مجلة « علم الآثار المصرية » (JEA) فى ذلك العام تكريما له ، وتنويها بفضله ، واشادة بعلمه .

ولا يزال الأستاذ « بل » ـ وقد جاوز التسعين ـ على قيد الحياة . ويسرنى أن اهدى له هـذه الترجمة العربيـة التى حرصت فيها على الدقة [١] ، وبذلت عند مراجعتها وتصويبها فى هذه المرة ـ برغم أعبائى الكثيرة ـ جهدا فائقا ، وشفعتها ـ مسايرة لركب البحث العلمى ـ بحشد من الاضافات الخليقة بأن تهدى لعالم مثله .

القاهرة فى ديسمبر ١٩٦٨ — عبد اللطيف احمد على

---

[١] توجد ترجمة عربية اخرى لهذا الكتاب بقلم الاستاذ زكى على بعنوان « الهلينية فى مصر » القاهرة ، ١٩٥٩ . وقد رجعت اليها وافدت من بعض تصويبات اشار باجرائها المؤلف نفسه .

الطبعـة الثالثـة

في هذه الطبعة صوبت اخطاء مطبعية وغير مطبعية ، وازيلت اغـلاط لغوية ، وعدلت بعض العناوين الفرعية. وحالت ظروف قاهرة دون تضمين الحواشي عناوين البحوث والدراسات التي صدرت في السنوات القليلـة الماضيـة .

وقد توفي الاستـاذ « آ يدريس بل » مؤلف الكتاب في عـام ١٩٧١ . ولذلك فاني أهدي هذه الترجمة في طبعتها الثالثة لذكراه العاطرة .

بيروت ١٩٧٣

ع. ا. ع.

مقدمة المؤلف

يتضمن هذا الكتاب كما يتبين من صفحة العنوان « محاضرات جريچينوج » التى ألقيت تحت رعاية مؤسسة الآنسات ديڤيز جريچينوج بجامعة ويلز ، ابريستويث ، فى نوفمبر ١٩٤٦ . وينص احد شروط المؤسسة على ضرورة نشر المحاضرات بعد القائها . وعند اعداد هذه السلسلة للنشر ، حولت المحاضرات الى فصول ، واغتنمت الفرصة لا لتنقيحها فحسب ، بل للتوسع فيها بعض الشىء حتى أجعل منها ، نظرا لموضوعاتها المتشعبة ، دراسة أكثر استيفاء مما كان ميسوراً فى محاضرات كان المقصود ان يستغرق القاء كل منها حوالى ساعة من الزمن . وفيماعدا ذلك فقد طبعت المحاضرات كما القيت .

وقد اعدت المحاضرات لتلقى على لفيف من اعضاء هيئة التدريس بالكلية والطلبة والجمهور العام . ولم يكن من المتوقع أن يوجد بين المستمعين — اذا وجد — اكثر من واحد أو اثنين ممن تتوافر لديهم دراية المتخصصين فى علم البردى . ومن ثم فقد رأيت من الأوفق ، طالما أن معظم ادلتى مستمد من اوراق البردي ، ان أستهل حديثى بنبذة عن هذه الوثائق وعن علم البردى . ومن الواضح أنه لم يخطر على بالى أن أسرد فى الفصول الثلاثة الباقية تاريخ مصر السياسى سردا متصلا خلال فترة الالف عام تقريبا التى تقع بين غزو الاسكندر وفتح العرب ، حتى ولو توافرت المعلومات التى تجعل هذا العمل أمرا ميسورا . وانما أردت ان استعرض التطور الاقتصادى والاجتماعى والادارى استعراضا موجزا واضحا سهل القراءة ، بقدر ما وسعنى ذلك ، خاليا من المصطلحات الفنية ما أمكن ، ولم اتعرض للأحداث السياسية الا بالقدر الذى يقتضيه ارتباطها بالموضوع الأصلى . ان الفكرة الأساسية التى تكسب الكتاب فى مجموعه نوعا من الوحدة ، كما يفهم من عنوانه التفسيرى ، هى دراسة الحضارة الهلينية وسط البيئة المصرية ، وتفاعل الخصائص الهلينية مع الخصائص المصرية ، والضعف والتدهور التدريجى الذى اعترى العنصر الهلينى .

ومع اننى كتبت أصلا لجمهور غير متخصص ، الا اننى آمل أن يثير الكتاب شغف المتخصصين ايضا باعتباره ، على الأقل ، موجزا ميسورا عن الموضوع ، ولذلك الحقت بآخر الكتاب حواشى عن كل فصل ساردا الأدلة التى تؤيد مختلف الآراء ، ومعدلا بعض هذه الآراء التى اضطررت اثناء العرض السريع أن أسردها بصورة يقينية لا تبررها الأدلة كل التبرير . ولفائدة غير المتخصصين من القراء الذين قد يرغبون فى

دراسة الموضوع دراسة اعمق ، اشرت الى الكتب والمقالات التى تنفعهم ، ومن اجلهم ايضا الحقت بالحواشى قائمة بمراجع كل فصل ، مسبوقة بقائمة أخرى بالمراجع العامة التى تتناول الفترة كلها . وقد انتقيت هذه الكتب انتقاء دقيقا . ولما كان الكتاب موضوعا فى الأصل للقراء الانجليز ، فقد آثرت ذكر أسماء الكتب الميسورة باللغة الانجليزية ، ولو اننى لم اغفل الكتب المؤلفة باللغـات الأخرى عندما لا يوجد فى لغتنا بديل يضارعها فى الفائدة . واما قائمة المجموعات البردية المنشورة التى أدمجتها فى قائمة مراجع الفصل الأول ، مشفوعة بالاختصارات المتواضـع على استعمالها عند الاشارة اليها ، فتكاد تكون كاملة ، ولم أحذف منها سوى بعض مجموعات ثانوية ، ويجد القارىء قائمة أوفى من هذه ، تتضـمن البرديات الديموطيقية والقبطية ، فى الكتاب التالى :

W. Peremans and J. Vergote, **Papyrologisch Handboek** (Louvain, 1942), pp. 5-16.

وأود ان اعبر عن امتنانى للمدير ايفور ايفانس ولأولى الأمر بجامعة ويلز على ما هيأوه لى من فرصة القيام بمهمة ادخلت على قلبى السرور الشديد ، ولمندوبى مطبعة كلارندون على اضطلاعهم بالنشر ، ولا سيما السيد ك. هـ. روبرتس الذى قرأ جميع أصول الكتاب وابدى بعض الملاحظات القيمـة ، والسيد ت. ك. سكيت ، امين المتحف البريطانى الذى فحص بعض المراجع فى مؤلفات غير ميسورة لى فى أبريستويث .

ان حياة التقشف التى نحياها اليوم لا تسمح بصفحات اهداء من الطراز القديم ولهذا فقد أوردت هنا اهداء لصديق قديم :

فيلهلم شوبارت

رمز صداقتنا الوطيدة

فبراير ١٩٤٨ هـ . ا . ب

الفصـــل الأول

الأوراق البردية وعلم البردى

أثر البيئة الجغرافية فى تاريخ مصر وحضارتها :

تبوات مصر فى جميع عصور تاريخها مركزا فريدا الى حد ما بين اقطار العالم ، ويذكر قراء هيرودوت (Herodotus) تلك الفقرة فى الكتاب الثانى من تاريخه التى يسرد فيهـا عادات المصريين الغريبة ليدلل على صدق دعواه « بانهم يخالفون تماما فى معظم طبائعهم وعاداتهم العرف السـائد لدى سائر البشر » (١) . على ان بعض أقواله لا ينبغى أن تحمل محمل الجد ، لأن هيرودوت ، برغم أنه لم يكن كذابا كما أتهمه بعض النقاد القدامى والمحدثين ، فانـه لم يكن دائما مدققا كما ينبغى ، ويبدو أن الادلاء من الأهالى الذين اعتمد عليهم بلا مراء فى استقاء قـدر كبير من معلوماته ، كانوا يتسلون أحيانا « باستغفاله » والتضليل به . بيد أن

---

(١) انظر : Herod. II, 35 (ترجمة رولنسون Rawlinson] وهيرودوت مؤرخ اغريقى ولد حوالى عام ٤٨٤ ق . م بمدينة هليكارناسوس (Halicarnassus) فى آسيا الصغرى . سافر كثيرا ثم استقر فى أثينا . ومات بعد عام ٤٣٠ ق.م . ويتالف تاريخه من تسعة كتب تحمل أسماء ربات الفنون (Musae) وتتضمن وصفا للحروب الميدية ولاحوال البلاد التى زارها . وقد زار مصر بين عامى ٤٤٨ و ٤٤٥ ق.م. وكانت وقتئذ ولاية فارسية . وشيشرون الخطيب الرومانى هو الذى اطلق عليه لقب « أبو التاريخ » (انظر **(Cicero, De Leg. 1, 5**

وعن هيرودوت فى مصر ، انظر :

W. G. Waddell, **Herodotus, Book II** (London, 1939), pp. 1-15.

محمد صقر خفاجة ـ احمد بدوى : هردوت يتحدث عن مصر . دار القلم القاهرة ١٩٦٦.

الفقرة التى اشرنا اليها توضح بجلاء معنى الغرابة والتفرد الذى استشعره هيرودوت وغيره من الرحالة فى مصر .

ويعزى هذا الطابع الفريد آخر الأمر الى عوامل جغرافية ومناخية : ان مصر الحديثة تمتد على وجه التقريب من خط ٣٥ الى ٢٥ درجة طولا ومن خط ٣١ الى ٢٢ درجة عرضا ، وتبلغ مساحتها ٣٨٦٫١١٠ من الأميال المربعة ، غير أن الجانب الأكبر من هذه المساحة صحراء غير مأهولة. ولا تشغل مصر الحقيقية ، مصر التى يستطيع ان يعيش فيها البشر ويزرعوا الأرض ، سوى ١٣٫٥٧٨ ميلا مربعا ، وهى مساحة لا تزيد كثيرا عن مساحة بلچيكا (١١٫٧٥٠ ميلا مربعا) . ويمكن تقسيم مصر الآهلة بالسكان الى ثلاثة اقسام ، أولها الدلتا وهى رقعة من الأرض الغرينية اطلق عليها هيرودوت ومن قبله هكاته (Hecataeus) اسما موفقا كل التوفيق وهو « هبة النهر » (١) . وقد تكونت التربة فى فجر العصر الحجرى القديم من الطمى الذى كان النهر الدافق يجلبه معه ويرسبه عندما يتصل بالبحر ؛ وثانيها عدد من الواحات تروى باستثناء واحدة بالآبار أو العيون التى تنبثق منها المياه الجوفية ؛ وثالثا وادى النيل ، وهو فى الواقع خانق بين التلال التى تكون حافة الصحراء العربية على جانب وحافة الصحراء الليبية على الجانب الآخر . وهذا الوادى ضيق جدا ويبلغ اقصى اتساع له حوالى تسعة أميال ، وينكمش فى مصر العليا الى ميل أو ميلين ، ويضيق فى بعض الأماكن فلا يزيد عن شريط ضيق من الأرض المنزرعة على احدى ضفتى النهر فقط . ومصر فى شكلها تشبه سمكة ذات رأس ضخم وذيل متناه فى الطول ، ويبلغ طول هذا الذيل من القاهرة حتى الحدود الحديثة شمالى وادى حلفا حوالى ٥٦٠ ميلا اذا سرنا فى خط مستقيم ، ولكن اذا سرنا مع منحنيات الوادى فهو يبلغ حوالى ٧٦٠ ميلا . وأما المسافة الى أسوان حيث كانت حدود مصر القديمة تنتهى فى الواقع خلال فترات طويلة من تاريخها ، فلا تكاد تبلغ ٥٥٠ ميلا .

---

(١) انظر : Herod. II, 5

[وهكاته هو احد المؤرخين الاغريق الاوائل . ولد فى ميليتوس (Miietus) بآسيا الصغرى واشترك فى الثورة الايونية (٥٠٠ – ٤٩٤ ق.م.) وزار اقطارا كثيرة منها مصر ، وكتب فى الانساب وسير الابطال والتاريخ ورحلة قام بها حول العالم المعروف على ايامه . وقد نقل عنه هيرودوت] .

وتعتمد كل هذه المنطقة على الرى فى وجـــودها كمركز من مراكز الحياة البشرية . صحيح ان المطر يسقط احيانا فى فصل الشتاء فى الدلتا والقاهرة ، ولكنه يقل كلما اتجهنا جنوبا ولا تراه الاقصر الا حوالى مرة كل ثلاث سنوات ، غير أنه لا يسقط فى أى بقعة بغزارة أو انتظام بحيث يكفى لنمو النبات . ولعلنا لا نجانب الصواب كثيرا اذا قلنا انه ليس ثمة سنبلة قمح أو عود اخضر ينمو فى أى مكان بمصر الا بعد ريه ، اما بماء الفيضـــان الطبيعى أو باحـــدى طـــرق الرى الآلى . فليست الأراضى المهجورة فى البلاد المصرية مكسوة ـــ كما هو الحال عندنا ـــ بالحشائش ، وانما هى بقاع جرداء قاحلة . ويتبين ذلك بوضوح للمسافر عن طريق الخط الفرعى من الواسطى على النيل الى مدينة الفيوم ، فعند نقطة على الطريق يرتفع مستوى الأرض فجاة حوالى قدم ، ويرى المسافر على الجانب المنخفض من هذه الأرض حقولا خضراء مثمرة ولا يرى على الجانب المرتفع سوى صخورا ورمالا قفراء .

وكما ذكرنا فان الواحات ـــ وهى عبارة عن منخفضات فى الهضـــبة الصحراوية ـــ تروى بالآبار أو العيون ، ولا يستثنى من ذلك سوى أكبر هذه الواحات واقربها الى وادى النيل ، الا وهى اقليم الفيوم الذى يقع على مسيرة بضعة أميال من الحافة الغربية للوادى ، ويروى بواسطة بحر يوسف الذى اشتق اسمه من الأسطورة القائلة بأنه حفر على يد يوسف عندما كان واليا على مصر فى عهد فرعون . وبحر يوسف فى حقيقة الأمر هو أحد فروع النيل الطبيعية ، ويتفرع من المجرى الرئيسى بالقرب من اسيوط . وبعد أن يروى الفيوم يفرغ مياهه المتبقية فى بحيرة تعرف الآن باسم بركة قارون ، ولكنها كانت تعرف فى العصور القديمة باسم بحيرة مويريس (Moeris) (١) .

---

(١) وهى تسمى عادة « بحيرة مويريس » وقد اثبت بسير آلان هـ . جاردنر ان عبارة هيرودوت **hê Moirios kaleomenê limnê** (البحيرة المســماة باســم مويريس) صحيحة لا يكاد يتطرق اليها الشك ، أنظر :
Alan H. Gardiner, **J.E.A.** XXIX (1943), pp. 37-46.

[ومويريس هو الاسم اليونانى للملك امنمحت الثالث من الاسرة الثانيـــة عشرة (حوالى ١٨٢٠ ق.م) . ومياه هذه البحيرة غير عذبة . ويبلغ طولها حوالى ٣٤ ميـــلا وعرضها حوالى خمسة اميال . ويقل مستوى سطحها عن مستوى سطح البحر بحـــوالى ٤٥ مترا . وعن هذا الموضوع ، راجع هيرودوت ، ك ٢ ـــ ١٤٩ ، وكتاب « هردوت يتحدث عن مصر » ، ص ٨٤ ، حاشية ٢] .

ويستخلص مما ذكرته ، أو بعد القاء نظـــرة عاجلة على خريطة التضاريس ، أن مصر قطر منعزل كل الانعزال ، منفصل عن سائر العالم بصحراوات شاسعة على جانبيه ، ولهذا فان مصر بلد من الصعب غزوه. وانى لأذكر كيف سخرت من صحفى حاول تهدئة الخواطر ، يوم أعلنت تركيا الحرب علينا فى الحرب العالمية الأولى ، بقوله ان مصر لم يوفق أحد فى غزوها قط من ناحية فلسطين ، وكان الأقرب الى الصواب أن يقول ، وان كان الكلام لا يزال بعيدا عن الدقة ، انه لم يوفق أحد فى غزوها من اية ناحية اخرى . فالعدو الزاحف من ناحية البحر يجد نفسه عرضة للوقوع فى شراك شبكة من القنوات التى تقطع الدلتا ، مثلما حدث للجيش الصليبى تحت قيادة القديس لويس ملك فرنسا فى عام ١٢٤٩ ــ ١٢٥٠ م ومثلما حدث « لشعوب البحر » من قبله بزمن طويل فى عهد رمسيس الثالث . والزاحف على مصر من ناحية الغرب تعترضه ، كما ادرك رومل بعد انكساره عند العلمين ، صعوبة القتال على بعد مئات من الأميـــال عن قاعدة تموينه بلا عون سوى الصحراء فى مؤخرته ضد خصم فى وسعه ان يستند الى موارد وادى النيل كافة . صحيح ان الغزاة وفقوا مرة أو مرتين فى فتح البلاد من جهة الغرب ، مثلما فعل الفاطميون عام ٩٦٩ م ، ومثلما فعل نيكيتاس (Nicetas) فى حملته التى سأتعرض لها فى الفصل الأخير . غير أن القاعدة صحيحة بوجه عام وهى أن الغزاة الذين وفقوا فى فتح مصر اتوا من ناحية الشرق عبر شبه جزيرة سينا زاحفين بمحاذاة الفرع الشرقى للنيل الى حيث توجد القاهرة الآن . وأما من ناحيـــة الجنوب فوادى النيل نفسه يهيىء مدخلا للغزاة ؛ غير أنه لم يحـــدث الا نادرا أن كانت بالسودان دولة قوية تستطيع أن تهدد مصر بأكثر من اغارات تخريبية ، هذا إلى ان ضيق الخانق شمالى أسوان ، وصـــعوبة الملاحة الناجمة عن الشلال الأول ، تجعل من السهل الدفاع عن هـــذا المدخل الجنوبى للبلاد .

لقد كان للخصائص الجغرافية التى تميزت بها مصر اكبر الأثر فى ارتقاء الحضارة المصرية وفى طابعها : فى ارتقاء الحضارة لأن وادى النيل يتوافر فيه عاملان جوهريان يساعدان على ازدهارها ، فهناك من ناحية تربة شديدة الخصوبة عند ما تروى ريا سليما ، ويزيد من خصوبتها سنويا الغرين والطمى اللذان يرسبان زمن الفيضان ، وهناك من ناحية اخرى ، الحاجة الدائمة لبذل الجهد ، وهو جهـــد تعاونى فى طابعه ،

لتنظيم المياه وحفظها فى فترة انخفاض النيل ، ومسح الأراضى التى يطمس الفيضان حدودها فى كل عام . فليست مصر بلدا يستطيع الانسان أن يعيش فيه عيشة الدعة يجنى الثمار التى تغدقها عليه طبيعة سخية دون أن يبذل جهدا من ناحيته ، ولا هى بالبلد الذى يستطيع الانسان فيه ان يقيم مسكنه ويحرث ارضه ويرعى ماشيته دون أن يتصل بسواه ، ولا هى آخر الأمر بالبلد الذى يتطلب منه كل قطرة من عرقه كى يقيم أوده على ارض جدباء وسط مناخ قاس . فالحاجة الى بذل الجهود وتوقع جنى محصول طيب اذا ما بذلت ، فضلا عن بعض فائض يتيح قيام نظام اجتماعى راسخ وطيد ، كل أولئك أسس الحضارة ـ فلا عجب اذن ان كانت مصر وبلاد ما بين النهرين ووادى السند هى المواطن الأولى التى توافرت فيها مقومات التطور من الهمجية الى المدنية .

وقد أثرت التضاريس ايضا فى طابع الحضارة المصرية ، اذ عاش المصريون فى واديهم الطويل الضيق تفصلهم عن العالم الخارجى صحروات شاسعة على الجانبين ، ولذلك كانوا دائما شعبا منعزلا بعض العزلة على الأقل قبل ارتقاء وسائل النقل الحديثة . وكان يقطن فى الجنوب ، حيث يهيىء خانق النهر مدخلا الى البلاد ، شعوب كانت على الدوام أقل منهم تحضرا ، ولم تكن لهم صلات بحضارات تضارع حضارتهم أو تفوقها الا عن طريق البحر وعن طريق الدلتا ، فكان من الطبيعى أن تكون نظمهم السياسية مستقلة بذاتها الى حد بعيد ، مقصورة فى أحوال كثيرة عليهم ، وأن يتمسكوا كل التمسك بعاداتهم الموغلة فى القدم ، وأن يتولد فيهم أيضا قدر من العزلة الروحية والاعتداد القومى ، وهى صفات فى وسعنا ان نلمسها فى كثير من الأساطير والتقاليد المصرية .

وهناك نتيجة سياسية اخرى ينبغى ان نذكرها ، فالنيل فى الواقع يهيىء بواديه الطويل الضيق طريقا رائعا للمواصلات ، غير أنه سريع التيار ولذلك كان من المستبعد أن يتم الاتصال بين مصر العليا ومصر السفلى على وجه السرعة قبل اكتشاف قوة البخار . وكانت العاصمة فى العصور التاريخية موجودة عادة اما فى الدلتا أو على مقربة منها ، أو موجودة فى اقصى الجنوب باقليم طيبة ، وبعبارة أخرى كان الطرف الشمالى أو الطرف الجنوبى للبلاد بعيدا عن مقر الحكومة ، وهذا يفسر ظاهرة متكررة الحدوث فى التاريخ المصرى ، وهى صعوبة الاحتفاظ

بالوحـدة ، وميل الأطراف الى الانفصال كلما كانت الحكومـة المركزية ضعيفة .

وهناك آخر الأمر نتيجة قد ظهرت اهميتها لا بالنسبة للتاريخ نفسه بل للمؤرخ . ذلك أن تربة مصر الجافة لا تفوقها تربة اخرى فى قدرتها على حفظ الأشياء المطمورة بها . فالمـواد القابلة للتلف كالورق والرق والنسيج والخشب لابد من ان تتلف عاجلا او آجلا فى الأرض الرطبة بأقطار أوروبا وآسيا ، ولكنها تكاد لا تبلى أبدا فى الرمال التى تحف فى كل مكان بمناطق مصر الزراعية ، اذا توافرت الظروف المواتية . بيد ان الظروف ليست مواتية دائما ، فالرياح الشديدة التى تهب من الصحراء تجعل الرمال الطليقة تتدحرج وتتطاير فيؤدى الاحتكاك فى معظم الأحيان الى تشويه الأوراق البردية المدفونة بها ، كما قد يلتهم النمل الأبيض البردى أو الكتان او الخشب . على أن هذه العوامل لا تحدث دائما ذلك التاثير ، فقد حصلنا من أرض مصر على ثروة من الوثائق المكتوبة على البردى أو غيره من المواد ، وهذه الثروة اوفر بكثير مما تيسر لنا الحصول عليه من أى قطر آخر من اقطار العالم القديم .

كيف تصنع اوراق البردى :

ان هذه المحاضرات تستند قبل كل شىء الى الحقائق المستمدة من تلك الوثائق . لكن يجدر بى قبل أن أذكر أى شىء عن الوثائق نفسها ، أن أتناول البردى كمادة للكتابة وتاريخ الاكتشافات البردية .

كانت المادة المستعملة قديما للكتابة ، وهى التى تقابل الورق فىالعصر الحديث (والتى اخذ الأخير اسمه عنها) [١] تصنع من ساق البردى ، وهو نبات مائى كان ينمو قديما بكثرة فى مستنقعات مصر السفلى ، غير انه انقرض منها الآن . ويبدو أن كثيرا من الناس يظنون ان ورق البردى كان يصنع من قشر النبات ، ولكن هذا ظـن خاطىء ؛ فساق البردى المثلثة الشكل تحتوى على لباب ليفى ذى عصارة لزجة جدا ، وكان الورق

---

[١] يقصد المؤلف ان كلمة paper الانجليزية مشتقة من كلمة papyrus (بردى).

فى يصنع بتقطيع هذا اللباب الى شرائح رقيقة[١] ، وصُفَّ عدد من هذه الشرائح جنبا الى جنب . ثم توضع طبقة ثانية منها فوق الطبقة الأولى بحيث تكون متقاطعة معها . وبعدئذ تلصق الطبقتان بضغطهما لأن لزوجة العصارة كانت تكفى بعد اضافة قليل من ماء النيل ، لتأدية الفرض . وليس هناك دليل ملموس ، فيما اعلم ، يؤيد الرأى القائل بأن الصمغ الصناعى كان يستخدم لذلك . وهكذا تتكون ورقة تظهر الألياف على أحد جانبيها راسية وعلى الجانب الآخر افقية ، ثم تطرق الورقة بمطرقة خشبية لتسوية الألياف الخشنة ، وبذلك تصبح صالحة للكتابة عليها (٢) . ولم تكن افرخ الورق (التى يسمى كل منها kollêma) [٣] تباع منفردة ، بل كانت تلصق أطرافها بعضها ببعض بمعجون خاص فتتكون من ذلك لفافة طويلة . وعلى هذه الصورة كان البردى يخرج من المصنع ، ويقتطع المشترى من اللفافة القدر الذى يحتاجه لتأدية غرضه . وكان يراعى عند عمل اللفافة أن تلصق أطراف الأفرخ بعضها بالبعض الآخر بحيث تكون جميع الألياف الأفقية على جانب ، والالياف الراسية على الجانب الآخر . وكان وجه الورقة (recto) الذى تكون فيه الالياف افقية ، هو المخصص اصلا للكتابة ، غير أنه كان من السهل أيضا ان يكتب على ظهر الورقة (verso). صحيح انه قلما كان النص المدون على « الوجه » يستكمل على «الظهر» ، غير أنه كثيرا جدا ما كان البردى « المستعمل » يستخدم بعد الاستغناء عن النص المدون على « الوجه » اما لتدوين الخطابات الخاصة والحسابات والمسودات وصور الوثائق الرسمية والقانونية والمذكرات ، أو لنسخ المخطوطات الادبية الرخيصة وخاصة تلك المخطوطات التي كان المقصود منها ان تكون كتبا مدرسية . وان كنا لا نستطيع أن نجزم بذلك .

---

[١] هذه الشرائح او « السحاءات » كانت عريضة وتسمى كل منها philura .

(٢) يجد القارىء شرحا لطريقة صناعة ورق البردى فى [موسوعة « التاريخ الطبيعى » للكاتب الرومانى بلينيوس الاكبر] : Plin. Hist. Nat. XIII, 11-13.

[وانظر الان :
N. Lewis, **L'Industrie du Papyrus dans l'Egypte Gréco-Romaine** (Paris 1934), pp. 46 ff.

(حيث يذكر المؤلف النصوص المتصلة بالموضوع ويترجمها ويناقش مضمونها) .
A. Grohmann, **From the World of Arabic Papyri,** (Cairo, 1952), pp. 1-44.]

[٣] وفى اللاتينية plagula

وكان هناك استثناء واحد من القاعدة التى تقضى بأن تجرى اليــاف جميع الأفرخ (kollêmata) فى نفس الاتجاه ، فقد كان الفرخ الخارجى ، المعروف باسم (prôtokollon) أو الفرخ الاول ، يلصق بما يليــه من الافرخ مقلوبا ؛ فتكون الالياف الراسية على « الوجه » والافقيـــة على « الظهر » . ويرجع السبب فى ذلك الى ان الطرف الخارجى فى اى لفافة طويلة يتعرض دائما للشد . فلو كانت الالياف على ظهر هذا الفرخ أفقية ، لانفصم بعضها عن البعض الآخر وتفكك البردى . وتلافيا لذلك كان الفرخ الاول يوضع بحيث تكون الالياف الافقية على « الظهر » . وكان من المألوف فى العصر البيزنطى ، وربما أيضا فى العصر الرومانى ، أن يكتب على «وجه» الفرخ الاول من اللفافة (prôtokollon) عنوان باسم ولقب الموظف (وهو صاحب الهبات المقدسة فى العصر البيزنطى) [١] الذى كان احتكار صناعة البردى يدخل فى دائرة اختصـــاصه (٢) . وبمضى الزمن أصبح الاسم (prôtokollon) يطلق على هذا العنوان ؛ ثم صار يطلق فيما بعــد على النص الذى يلى العنوان[٣] . ومن هنا جاء استعمالنا لكلمة «بروتوكول[٤]» . وان كان معناها فى الاصل هو « الفرخ الاول » .

مواد الكتابة الاخرى :

ولم يكن البردى هو المادة الوحيدة المستعملة للكتابة فى مصر او فى العالم

---

[١] وهــو فى الواقع احــد وزيرى الماليــة فى العصر البيزنطى ، وقد سمى كذلك (comes sacrarum largitionum) نظــرا لانه عند ما انشىء هذا المنصب كانت مهمته الرئيسية هى توزيع هبات الامبراطور بين الجند ، انظر :
J. B. Bury, **History of the Later Roman Empire** I (1931), p. 51, n. 2; N. Baynes, **The Byzantine Empire** (1946), p. 117; A. Grohmann, **From the World of Arabic Papyri,** p. 33 f.

(٢) هذه العبارة تتفق مع الرأى القديم القائل بان الحكومة كانت تحتكر صناعة البردى فى العصر البيزنطى ، غير ان الاستاذ ن . لويس (فى كتابه المشار اليه ص ٧ حاشـــية ١) يعارض هذا الرأى (ص ١٥٠ — ١٦٣) ، وقد يكون مصيبا فى ذلك ولو أننى لا أجد حججه مقنعة كل الاقناع .

[٣] وقد سماها العرب « بالطراز » .

[٤] ومعناها فى اللغة الدبلوماسية النص الاول لمشروع اتفاقية موقع عليه بالاحرف الاولى من اسماء المتفاوضين .

القديم عموما . لقد استعملت الجلود المدبوغة فى أقطار عديدة من بينهـا مصر ، وكان الرق (vellum) الذى غدا فيما بعد المادة الرئيسية للكتابة خلال العصور الوسطى ، يصنع من الجلد بعـد أن ارتقى فن الدباغة . ولا يظهر الرق بين ما عثرنا عليه من آثار مصر اليونانية ـ الرومانية التى يرجع تاريخها الى ما قبل القرن الثانى الميلادى ، ولكن استعماله أخذ يشيع تدريجيا منذ ذلك التاريخ . ولدينا قطع عديدة منـه ترجع الى العصر البيزنطى ، ومعظمهـا مؤلفات أدبيـة أو لاهوتية ، وان كانت تتضمن بعض الوثائق .

وكان الفخار أعم استعمالا من الرق ؛ فالفخار الخشن ، ذو المسام ، الضارب الى الحمرة ، المستعمل فى مصر وغيرها من البلاد ، ينطبع المداد عليه بسهولة . ولما كان من المستطاع التقاط القدور المكسورة من أى كوم من اكوام القمامة ، فلم تكن هناك مادة أرخص من الفخار أو أيسر منالا . وقد استخدمت كسر الفخار أو الشقف (ostraca) فى شتى الاغراض العابرة ، وخاصة لتدوين ايصالات الضريبة ، وكذلك الخطابات الخاصة والمذكرات والحسابات والتمرينات المدرسية . وكان النـاس يلجأون فى بعض مناطق مصر حيث يتيسر الحصول على الحجر الى استعمال الواح من الحجر الجيرى الذى تسهل تسويته . وتدرج مثل هذه الالواح الحجرية فى مجموعات المتاحف مع الشقف تحت اسم عام هو "Ostraca" .

وكانت الالواح الخشبية من الادوات الاخرى التى استعملت للكتابة . وهناك طريقتان لذلك : فاما ان تكتب الحروف على الخشب بالقلم والمداد ، وفى هذه الحالة يطلى الخشب فى الغالب بمادة بيضاء لتظهر الكتابة واضحة ، واما ان يصب شمع منصهر على لوح خشبى ذى حواف بارزة فيتكون بعد أن يبرد الشمع سطح مستو تحفر عليه الكتابة بقلم معدنى مدبب يسمى (stilus) . وكان الطرف الآخر للقلم مستويا بحيث يمكن استعماله لطمس الشمع بعد انتهاء الغرض المطلوب من النص المحفور عليه . وقد زاد من نفع الالواح الخشبية ، ولا سيما فى المدارس ، أنه كان من المتيسر الكتابة عليها مرات متكررة . وعندما كانوا يريدون أن تستعمل فى المدارس ، فانهم غالبا ما كانوا يربطون عددا منها معا بالدوبار الذى يمرر من ثقوب بالحواف البارزة للالواح . وكانوا لايكسون من اللوحين الخارجيين بالشمع سوى جانبيهما الداخليين ، فتبدو مجموعة الالواح الموصولة على هـذا

النحو — والتى يطلق عليها اسم codex — شديدة الشبه بالكتاب الحديث. والواقع ان الـ codex [دفتر أو كتاب مخطوط] ، كشىء متميز عن اللفافة ، قد اشتق شكله واسمه من مثل هذه الالواح الموصولة . ولم يكن استعمال الالواح الخشبية مقصورا على المدارس بأى حال ، اذ كانوا يستعملونها لكتابة المذكرات والحسابات ومسودات المؤلفات الادبية والرسائل الخاصة، وتحرير انواع شتى من الوثائق القانونية وخاصة المستندات ، كالوصايا وشهادات الميلاد واوامر تعيين الاوصياء القضائيين ، وما الى ذلك . وقد استخدموا فى الشئون القضائية والرسمية ما يعرف باسم (diptycha) ، وهو عبارة عن لوحين موصول احدهما بالآخر . وكانت الوثيقة تكتب من صورتين احداهما على الشمع الذى يكسو الجانب الداخلى ، والاخرى على الخشب بالقلم والمداد على الجانب الخارجى ، ثم يطوى الشهود اللوحين ويضعون عليهما الاختام ويوقع كل منهم باسمه أمام ختمه على الخشب ، فاذا حدث ان طعن شخص فى صحة النص الخارجى (scriptura exterior) عندئذ تفض الاختام لمضاهاته بالنص الداخلى (scriptura interior) (١) .

واخيرا عثرنا فى مصر ، كما هو الحال فى سائر اقطار العالم اليونانى — الرومانى ، على كثير من النقوش المحفورة على الحجر أو البرونز .

أين توجد أوراق البردى :

لقد ذكرت أن ارض مصر تحفظ فى جوفها أكثر المواد قابلية للتلف ، بيد ان هذا الكلام لا ينطبق الا على مناطق معينة من مصر . فالبردى يتلف بسرعة من الرطوبة برغم انه مادة متينة حافظة لكيانها عند ما يستعمل بشىء من العناية . فمن العبث اذن أن نبحث عنه فى أى بقعة يصلها ماء الفيضان .

---

(١) يجد القارىء وصفا ممتعا مفيدا مزودا بالصور والرسوم لتركيب codex مؤلف من عدة الواح فى حالة جيدة جدا ، ويحتوى على وصية باللغة اللاتينية فى المقال التالى :
O. Guéraud & P. Jouguet, «Un testament latin **per aes et libram** de 142 après J.C.», **Etudes de Papyrologie,** VI (1940), pp. 1 ff., plates i — vi.

ولذلك ينبغي أن يصرف النظر عن الدلتا كمصدر للاوراق البردية . لقد كانت اعظم مكتبة فى العالم القديم موجودة بالاسكندرية التى كانت مركزا لجامعة مشهورة ومسرحا لنشاط ادبى موفور ، فأى نفائس كان يمكن لنا اكتشافها هناك لو أن الظروف كانت مواتية ! غير ان الاسكندرية القديمة انخفضت الآن عن مستوى سطح البحر ، ولم نعثر فى ارضها حتى الآن على بردية واحدة . صحيح انه يوجد لدينا بعض برديات كتبت فى المدينة ، وانما وجدت جميعها خارج الاسكندرية ، فى مناطق كانت هذه الاوراق قد نقلت اليها قديما لاسباب متباينة .

وهناك فى الواقع استثناءان من القاعدة التى تقول بأن اوراق البردى لا توجد فى الدلتا . ففى شتاء عام ١٨٨٣ ــ ١٨٨٤ عثر سير فلندرزبيترى (Flinders Petrie) فى قبو منزل قوضته النيران بالقرب من الطرف الشرقى من بلدة تانيس القديمة Tanis (صان الحجر) على مجموعة من اللفائف البردية التى تبدو من تأثير الاحتراق كما لو كانت كتلا من الفحم النباتى . وقد حدث اكتشاف آخر شبيه بالاكتشاف المذكور عند موقع بلدة اثمويس القديمة Thmouis (تمى الامديد) التى تقع على بعد حوالى خمسة وثلاثين كيلو مترا جنوبى غربى تانيس . وبرغم ان النيران التى دمرت المنازل قد أحالت الاوراق البردية الى فحم ، فقد صانتها بذلك من تأثير المياه ، وقد تيسر بسط بعض هذه الاوراق ، ومع انها رقيقة كالحرير أو الشاش ، فمن الممكن قراءتها اذا فحصت فى الضوء الملائم . وقد امدتنا اللفائف البردية اليونانية التى وجدناها فى اثمويس بمعلومات قيمة عن الاحوال الاقتصادية فى اقليم منديس (Mendes) اثناء القرن الثانى وأوائل القرن الثالث الميلادى (١) .

---

(١) عن برديات اثمويس [بمركز السنبلاوين ــ دقهلية] ، انظر :
P. Ryl. II, 213-22, 426-33 (a);
V. Martin, «Un document administratif du nome de Mendès», **Studien zur Palaeographie und Papyruskunde**, XVII, pp. 9-48.

ونضيف هنا ان الاكتشافات البردية القليلة التى حدثت فى اماكن خارج مصر تعزى الى اسباب عارضة شبيهة بالتى ذكرناها ، وهذه الاماكن هى :
(أ) هركولانيوم (Herculaneum) حيث صانت مقذوفات بركان فيزوف التى طمرت =

وبغض النظر عن هذه الكشوف الاستثنائية ، فليس من المتوقع ان توجد الاوراق البردية فى أى طبقة من طبقات الارض التى تروى بانتظام ؛ على أن هنالك بالطبع مستوى فى الارض لا تحس الرطوبة عنده الا بدرجة طفيفة . وفى مثل هذا المستوى توجد أحيانا اوراق بردية لم تبل تماما بفعل الرطوبة ، وان كانت قد تشوهت فعلا ، وهذه البرديات قاتمة ذات لون بنى داكن كلون الجذور النباتية ، ولايمكن قراءة ما عليها من كتابة فى معظم الأحيان الا بتعريضها للضوء فى وضع منحرف نظرا لان مدادها قد أصبح باهتا متغيرا .

= المدينة ، مجموعة ضخمة من اللفائف البردية فى منزل كان مركزا فرعيا لمدرسة ابيقور الفلسفية .

(ب) دورا يوروبوس (Dura-Eurôpos) وهى الصالحية ، شرق سوريا على نهر الفرات ، حيث كانت الحامية الرومانية تتاهب فى منتصف القرن الثالث الميلادى لصد احدى الغارات الفارسية فحصنت الجسور بتكديس أكوام من الطين التى غطت الابنية الموجودة تحتها فصانت بذلك مافيها من وثائق مكتوبة على الرق او البردى من المؤثرات المناخية

(ج) نسطان (Nessana) وهى عوجه حفير فى صحراء النقب جنوب فلسطين ، حيث وجدت رزمة من اللفائف البردية مخزونة تحت أرض كنيسة مهدمة مما صانها من التلف بنفس الطريقة . وترجع هذه الوثائق المكتوبة باليونانية والعربية الى أوائل الفتح العربى لفلسطين .

[د] درفينى (Dervéni) - لاجادا - بالقرب من سالونيك حيث حدث منذ ست سنوات (فبراير ١٩٦٢) أول اكتشاف لاوراق بردية فى بلاد اليونان نفسها . وهى عبارة عن خمس لفائف بردية متفاوتة الحجم فاحمة اللون مهشمة وتتناول موضوع الديانة الافريقية القديمة ولعلها تدور حول جمعية دينية متصلة بعبادة بعض الالهة الافريقية كربة الارض (جى) وهستيا وديونيسوس . واهم من ذلك انها ترجع الى القرن الرابع ق.م وربما تكون اقدم من اى برديات يونانية اكتشفت فى مصر » اى اقدم من بردية ارتميسيا (فى فينا) وبردية تيموثيوس (فى برلين) . ومن هذا الاكتشاف الجديد المثير ، راجع :
Chrom. d'Eg. 37 (1962), p. 415 f.; **Bull. Corr. Hell.** 86 (1962) pp. 792-794.

وفى هذين المقالين اشارة الى اكتشاف لفافة بردية اخرى من نفس الفترة فى بلدة كالاتيس (Callatis) ببلاد اليونان

[هـ] وثمة كشوف بردية صغيرة حدثت فى انحاء متفرقة كالجزائر وفلسطين (قرب البحر الميت) وسوريا والعراق وايران .

ومن هذا الموضوع ، راجع :

عبد اللطيف احمد على « مصادر التاريخ الرومانى » (بيروت - ١٩٧٠) ص ١٤٤ - ١٤٩ (مع الهوامش) ، ص ١٦٤ - ١٦٦ (مع الهوامش) .

وهناك ثلاثة مصادر رئيسية لأوراق البردى : أولها أكوام القمامة التى كانت تتراكم فى الأزمنة القديمة ، كما هو الحال الآن ، على مقربة من أى مكان آهل بالسكان ، وغالبا ما ترتفع كثيرا عن مستوى سطح الأرض ، وفوق هذه الأكوام كان الناس يقذفون بكل ما يستغنون عنه من أدوات بالية وأوعية وآنية فخارية وأوراق ، وقد درجوا على تمزيق لفائف البرديات الادبية قبل رميها ، ولكنهم كانوا لا يمزقونها تمزيقا تاما ، فأتاح لنا ذلك العثور على اجزاء منها كبيرة الحجم ، الى جانب كثير من القطع الصغيرة (fragmenta) التى استطاع العلماء بالاناة والبراعة أن يصلوا بعضها بالبعض الآخر . وعندما يقرأ الطالب الآن فى الكتب المطبوعة مؤلفات كمسرحية اخنيوتاى الساتورية (Ichneutae) لسوفوكليس (Sophocles) [1] ورواية هوپسيپولى (Hypsipyle) ليوريپيديس (Euripides) (٢) وأناشيد

---

[1] شاعر مسرحى تراچيدى كبير (٤٩٦ - ٤٠٦) ولد فى كولونوس (احدى ضواحى اثينا) . ويعتبر هو وآيسخولوس وايوريبيديس ائمة الشعر المسرحى التراجيدى عند الاغريق . وقد احدث سوفوكليس ثلاثة تجديدات هامة فى فن الدراما اذ رفع عدد افراد الجوقة (chorus) من ١٢ الى ١٥ ، وان كان قد حد من دور الجوقة فى التمثيل وجعله اقل اهمية مما كانت عليه فى أيام آيسخولوس . ثم زاد عدد الممثلين الى ٣ ، وكتب ثلاثيات تراجيدية لا ارتباط بينها من حيث الموضوع ، ولعله كف عن كتابتها . ويقال انه كتب حوالى ١٢٣ مسرحية . ولم يصلنا منها كاملا سوى ٧ فقط وهى اياس (اچاكس) ، وانتيجونى ، واليكترا ، واوديب ملكا ، وتراخينياى ، وفيلوكتيتيس ، واوديب فى كولونوس . واشهرها جميعا هى مسرحية « اوديب ملكا » التى يقول عنها ارسطو فى كتابه « فن الشعر » انها نموذج مثالى للتراجيدية الاغريقية . ولم تصلنا حتى الان سوى مسرحيتين من النوع الساتورى (satyric) وكلتاهما اكتشفت مدونة على البردى فى مصر . واحداهما هى المسرحية الساتورية المذكورة فى المتن ، والاخرى هى مسرحية « كوكلويس » للشاعر ايوريبيديس . وتعالج المسرحية الساتورية موضوعا جادا فى قالب هزلى . وكانت تعرض بعد الثلاثية التراچيدية الحزينة للترفيه عن النظارة وادخال البهجة عليهم .

[٢] آخر شعراء التراجيديا الكبار فى آتيكا (٤٨٥ - ٤٠٦ ق م) ولد بالقرب من اثينا ، وربما فى جزيرة سلاميس . وبالرغم من الافتراءات عليه والتشهير باسرته الا أنه تلقى تعليما حسنا ، وتاثر بتعاليم السفسطائيين (والفلاسفة من امثال بروتاجوراس واناكساجوراس وسقراط . بدأ حياته الفنية فى عام ٤٥٥ (اى بعد آيسخولوس بحوالى ٤٤ عاما وبعد سوفوكليس بحوالى ١٣ عاما) ويتميز عن زميليه بنزعة واضحة الى التجديد والابتكار ، وبالثورة على التقاليد ، والتشكك فى المعتقدات الدينية السائدة ، وعطفه على المرأة ، وبراعة تصويره لشخصيتها » والقدرة على استثارة المشاعر . وكان شاعرا واقعيا يميل

الشكر للآلهة (Paianes) او اغانى العذارى (Partheneia) لبندار (Pindarus) [١] او هجائيات (Meliambi) الشاعر الساخر كركيداس (Cercidas) [٢] ، عندما يقراها وهى مطبوعة ، فقد لا يدرك دائما أن هذه المؤلفات المبتورة كانت أسوأ حالا يوم اكتشفت ، وأن كثيرا من النصوص الطويلة المتصلة المعنى التى يراها أمامه قد ركبت من عشرات القصاصات الضئيلة . ومن الممكن فى معظم الأحيان حتى عندما تكون القصاصات تافهة لا تحتوى على اكثر من حرفين أو ثلاثة أحرف أن توضع فى مكانها الصحيح من النص ، وأن تستعمل لبناء قطعة كبيرة . وتشبه هذه العملية ، عندما يكون النص غير معروف ، محاولة حل لغز تركيب الصور الذى لا مفتاح له بعد ضياع نصف قطعة او اكثر .

ولم تكن الوثائق تمزق غالبا عند رميها بعد الاستغناء عنها ، ولكننا نجدها عادة متآكلة مشوهة بتأثير الرمال التى تسفيها الريح وبفعل النمل

الى تصوير الافراد العاديين والحياة اليومية اكثر منه الى تصوير الشخصيات الاسطورية والخرافية . وقد اشتهر بكراهيته للحروب واستنكاره لها . وفى راى النقاد انه اقرب شعراء المسرح اليونانى الى روح العصر الحديث ، ويعد رائدا من رواد المذهب العقلى . ولم يصلنا من مسرحياته البالغ عددها حوالى ١٠٠ سوى ١٨ من بينها ميديا ، وإلكيستس ، وباكخاى (عابدات باكخوس وهو ديونيسوس) ، وهيبوليتوس ، وهكوبا ، واندروماخى ، وافيجينيا فى اوليس ، وايون ، والمتضرعات ، والطرواديات .

[١] شاعر غنائى مجيد (٥١٨ — ٤٣٨ ق م) . ولد فى كينوس كفلاى باقليم بوىوتيا . ويشتمل ديوانه الذى يقع فى ١٧ كتابا على تراتيل ، وأناشيد شكر للآلهة ، واغان موكبية ، واغانى عذارى ، ومدائح ، ومراث ، واهازيج نصر . والاخيرة (Epinicia) وصلتنا كاملة فى اربعة كتب وفيها يمجد الشاعر تمجيدا حماسيا ممتزجا بعاطفة دينية عميقة الفائزين فى المباريات التى كانت تعقد فى الاحتفالات الهللينية الدورية وهى البيثية ، والاسثمية ، والنمية ، والاوليمبية . وتمتاز لغته بالسمو وأسلوبه بالزهو والافراط فى المحسنات البديعية والرمزية الاسطورية حتى ليتعذر احيانا فهمه وتتعذر ترجمته الحرفية . واجلالا لهذا الشاعر امر الاسكندر الاكبر بعد استيلائه على مدينة طيبة فى عام ٣٣٦ بالا يمس منزله .

[٢] شاعر هللينستى (٢٩٠ — ٢٢٠ ق.م.) ، ولد فى مجالوبوليس فى البلوبونيز واشتهر كفيلسوف من مدرسة الكلبيين . ومع انه كان من الملاك الا انه ناصر الفقراء وحذر الاغنياء من خطر ثورة الدهماء عليهم . وكان لاذع النقد للاوضاع الاجتماعية فى عصره . واما (هجائياته) فهى قصائد غنائية الشكل melos هجائية الموضوع (iambos) ، ومنظومة فى البحر الايامبى الذى يتالف البيت فيه من ست وحدات كل منها تتكون من مقطعين احدهما قصير يليه آخر طويل .

الأبيض ، أو من جراء تلك العادة المزعجة التى يمارسها الأهالى أحيانا عندما يعثرون عليها الا وهى تقطيع اللفافة البردية الكاملة الى جزئين أو ثلاثة أجزاء ، ثم اقتسامها فيما بينهم ، وبيع كل جزء على حدة . ولذلك نجد أن معظم البرديات التى اكتشفت فى أكوام القمامة غير كاملة ، ومع هذا فقد وصل الينا منها عدد كبير فى حالة تكاد تكون سليمة .

ومصدر آخر لأوراق البردى هو خرائب المنازل القديمة أو غيرها من المبانى . وفى هذه الأماكن تتهيأ فرصة افضل للعثور على برديات شبه سليمة . على انه ينبغى الا نسرف فى الأمل . فمن المسلم به أن سكان أى منزل كانوا عند اخلائه ينقلون معهم كل ما له قيمة فى نظرهم ، ومع هذا فلم يكن كل واحد منهم يجرد مسكنه من محتوياته تجريدا تاما ؛ هذا الى أنه ينبغى أن ندخل فى حسابنا عوامل اخرى كانهيار المنزل او اخلائه فجأة . والواقع اننا عثرنا فى الخرائب على برديات كثيرة بعضها قصاصات غير كاملة وبعضها الآخر فى حالة جيدة جدا .

والمصدر الثالث هو المقابر . وينبغى هنا أن نصحح خطأ شائعا . فعندما يرد ذكر المقابر مقرونا بالاكتشافات البردية يحسب معظم الناس أن اوراق البردى المكتشفة كانت مدفونة مع الميت كجزء من اثاث المقبرة . وهذا فى الواقع صحيح بالنسبة لمعظم اوراق البردى الهيروغليفية والهيراطيقية . ومن أهم هذه البرديات « كتاب الموتى » الذى كان بمثابة دليل لتسترشد به الروح فى رحلتها الى أرض أمنتيت (Amentit) أو هاديس (Hades) [١] . وهو يتضمن الطقوس والتعاويذ اللازمة والاجابات الصحيحة عن الأسئلة التى توجه الى الميت ، فكان من الطبيعى اذن أن يوضع هذا الكتاب معه فى المقبرة ، وأن تصحبه فيها ايضا بعض

[١] امنتيت هو عالم الموتى عند قدماء المصريين . ويقابله عند الاغريق هاديس بمعنى اله العالم السفلى أو العالم السفلى نفسه ، وهو عالم الموتى ، أو العالم الاخر . وقد اطلق على هاديس ايضا اسم بلوتون Plouton (اي واهب الثروة) بوصفه زوجا لكوري (برسيفوني) ابنة دميتير ربة القمح .

الكتب المفضلة لديه اذا كان ملما بالقراءة . وقد تصور المصريون الحياة فى العالم الآخر كالحياة فى الدنيا ، فزودوا الموتى بكل ما يحتاجونه من غذاء وشراب وآنية ومجوهرات وأثاث وتماثيل مصغرة (ushabti) للخدم والعمال ليقوموا بخدمتهم فى مستقرهم الجديد . ويلوح أن بعض البرديات اليونانية قد دفنت مع أصحابها تحقيقا لمثل هذا الغرض . فقد وجدت اللفافة البردية المحتوية على مسرحية الفرس (Persae) للشاعر تيموثيوس (Timotheus) [١] ، وهى فيما يرجح أقدم مخطوط يونانى وصل الينا ـ اذ يرجع تاريخ كتابته الى الشطر الاخير من القرن الرابع ـ وجدت فى احدى المقابر مدفونة مع جثة رجل اغريقى ؛ وبالمثل فقد عثر سير فلندر پيترى بالهوارة [بالفيوم] على بردية لهوميروس (Homerus) [٢] موضوعة تحت رأس امرأة . ويقال ان ثلاثا من البرديات المشهورة المودعة الآن بالمتحف البريطانى ، وهى بحث أرسطو فى الدستور الأثينى وأناشيد باكخيليديس (Bacchylides)[٣] وهزليات هيروداس (Herodas) [٤] وجدت هى الأخرى فى مقابر . لكننا لا نستطيع أن نثق فى صحة هذه

---

[١] شاعر غنائى (حوالى ٤٥٠ ــ حوالى ٣٦٠ ق.م.) ولد فى ميليتوس ورحل الى اثينا واتصل بيوريبيديس . ويدور موضوع مسرحيته الغنائية الموسيقية (nomos) حول معركة سلاميس (٤٨٠ ق.م.) .

[٢] اشهر الشعراء الاغريق واقدمهم ولكننا لا نعرف شيئا مؤكدا عن مولده أو موطنه او سيرته . ويرجح انه عاش فى القرن التاسع قبل الميلاد وانه ولد فى أيونيا . وقد كتب الملحمتين الكبيرتين الالياذة (Ilias) والاوديسيا (Odyssea) . ويدور موضوع الاولى حول الحرب الطروادية التى دارت رحاها فى اواخر القرن الثالث عشر او فى اوائل القرن الثانى عشر ق.م. ، واما الثانية فهى عن رحلات البطل اودوسيوس فى البحر اثناء عودته الى بلاده بعد انتهاء الحرب . وقد القت الحفائر التى قام بها هـ . شليمان ومن بعده دربفلد وبليجن وويس فى طروادة باسيا الصغرى وموكيناى بالبلوبونيز ضوءا باهرا على الملاحم الهومرية .

[٣] شاعر غنائى ولد فى كيوس (Ceos) ، وهى جزيرة بالقرب من اتيكا ، فى أواخر القرن السادس ق.م ، وقد نظم كثيرا من اناشيد الجوقة واهازيج النصر وقصائد من ابطال الاساطير . ولدينا الان بفضل الاكتشافات البردية حوالى ١٩ قصيدة من قصائده ، ولو انها غير كاملة .

[٤] او هيروندانس وهو شاعر هللينستى يحتمل انه ولد فى جزيرة قوس (Cos) بالقرب من جنوب الساحل الغربى لاسيا الصغرى وعاش فى القرن الثالث ق.م. وأهم مؤلفاته هى « الهزليات (Mimiambi) » التى تجرى فى شكل حوار الغرض منه وصف الحياة اليومية ونقدها مثل « تاجر الاعراض » و « القوادة » و « السيدة الغيور » و « الاسكافى » و « المعلم » .

الرواية لأن هذه البرديات اشتريت من تجار عاديات وهم دائما يبذلون قصارى جهدهم لاخفاء مصدر سلعهم .

هذه الأمثلة استثنائية . فعندما أتكلم عن المقابر كمصدر للأوراق البردية فانى أشير الى تلك العادة التى كانت سائدة خلال بعض الفترات وفى مناطق معينة من مصر ، وهى أنهم كانوا يصنعون أغلفة الموميات من الكرتون ، اى يلصقون طبقات من البردى او الكتان بعضها بالبعض الآخر على هيئة الورق المقوى ويشكلونها بشكل المومياء ثم يكسونها بالملاط المطلى بالالوان . فاذا كسرنا الاغلفة وفصلنا بعضها عن بعض ، وأزلنا الطلاء والملاط ، فمن الممكن ان نستخلص البردى الذى نجد فى معظم الاحيان أنه كان قد استعمل للكتابة قبل وصوله الى ايدى صانعى أغلفة المومياء . وعن هذا الطريق وصلتنا كثير من النصوص القيمة ، بعضها مؤلفات أدبية وبعضها الآخر وثائق .

تاريخ الاكتشافات البردية :

وتعزى أقدم الاكتشافات البردية اليونانية الى جهود السباخين أى الباحثين عن السباخ . والسباخ تراب ناعم كالمسحوق يغطى الاماكن الاثرية فى مصر ، ويعتبره الاهالى سمادا جيدا وينقلون منه كميات ضخمة لينثروها فى الحقول . وينص القانون المصرى على تبليغ السلطات عن اوراق البردى التى توجد أثناء الحفر . وغنى عن الذكر أن هذا لا يكاد يحدث اطلاقا ، لأن البرديات المكتشفة تتسرب فى الواقع الى تجار العاديات الذين يبيعونها للأجانب أو لمتحف القاهرة . وقد حدث أول اكتشاف معروف للأوراق البردية فى عام ١٧٧٨ عندما عرضت حوالى خمسين لفافة بردية للبيع على أحد الرحالة فاشترى واحدة منها ؛ وأما اللفائف الأخرى فقد احرقها من وجدوها ليأسهم فيما يبدو من بيع المجموعة كلها . وتعرف اللفافة الوحيدة التى قدر لها البقاء باسم « قرطاس بورچيا » (Charta Borgiana)[١] نظرا لأنها كانت فى وقت ما فى حوزة الكردينال

---

[١] قرطاس مشتقة من اليونانية chartês (= فى اللاتينية charta) وتدل فى اللاتينية وفى العربية على معنى فرخ من ورق البردى ، ولكن الكلمة اليونانية تعنى فى الحقيقة لفافة بردية من ٢٠ فرخا كما أثبت الاستاذ لويس بصورة تكاد تكون قاطعة . وما نسميه نحن (لفافة) قد يسميه البعض الاخر (قرطاس) أو (درج) أو (طومار) والكلمة الاخيرة مشتقة من اليونانية tomarion وهى مصغر لكلمة tomos بمعنى لفافة . انظر :
A. Grohmann, **From the World of Arabic Papyri**, pp. 22, ff.

ستيفانو بورچيا ، وهى توجد الآن (أو كانت موجودة حتى الحرب الأخيرة) فى المتحف الأهلى بنابلى [١] ، وتحتوى على قائمة بأسماء الأشخاص الذين كلفوا بأعمال السخرة على الجسور فى عام ١٩٢ [٢] . وقد حدثت اكتشافات اخرى فى أوائل القرن التاسع عشر ، فحوالى عام ١٨٢٠ اكتشفت فى منطقة سقارة عند مكان السراپيوم القديم (Serapeum) مجموعة ثمينة من اللفائف البردية يرجع تاريخها الى العصر البطلمى . ثم تتابعت اكتشافات غير هذه بين الفينة والفينة فى منتصف القرن التاسع عشر ، وكان من بينها بعض النصوص السحرية ، ولفافة أولفافتان من شعر هوميروس ، وعدة خطب كانت مفقودة للخطيب الأثينى هيبريديس (Hyperides) [٣] واغنية شائقة من أغانى العذارى للشاعر الاسبرطى ألكمان (Alcman) [٤] .

ومع أن هذه الاكتشافات استرعت جانبا كبيرا من اهتمام الأوساط العلمية ، فهي لم تكن وفيرة بالقدر الذى يجعلها تترك اثرا قويا فى اذهان علماء الدراسات القديمة بوجه عام . لكن بعد سنة ١٨٧٥ بدأت الحفائر تكشف عن اكداس من أوراق البردى فى الآكام الشاسعة التى تغطى اطلال أرسينوى أو فى أكوام القمامة بها . وأرسينوى (Arsinoe) هى عاصمة اقليم أرسينويتيس (Àrsinoites) وهو الاسم الذى كان يطلق على الفيوم فى العصر اليونانى — الرومانى . وقد توصل الأوروپيون الى شراء كميات ضخمة من هذه البرديات ، وخاصة الأرشيدوق النمسوى راينر (Rainer) الذى اشترى عددا كبيرا منها أصبح نواة لمجموعة راينر الشهيرة فى ڤينا . وقد انتقلت كثير من البردبات الأخرى الى برلين ، كما وصلت كميات

---

[١] تحت رقم ٢٣١٨ — ٢٣٢٠ .

[٢] SB I (1915), No. 5124

[٣] احد الخطباء الاثينيين العشرة (٣٨٩ — ٣٢٢ ق.م .) ، تتلمذ على ايسوقراط (Isocrates) وبدأ حياته كمحام او كاتب خطب قضائية (logographos) ثم اشتغل بالسياسة فانضم الى الحزب المتطرف المناوىء لمقدونيا . ولغته الدارجة قريبة الشبه من لغة الخطيب ليسياس (Lysias) وقد وضعه النقاد القدامى فى المرتبة الثانية بعد ديموسثنيس (Demosthènes) اشهر الخطباء الاغريق . ومن خطبه « ضد اثينوجينيس والتابين « Epitaphios »

[٤] شاعر غنائى (٦٥٤ — ٦١١ ق.م.) ولد فى لاكونيا بالبلوبونيز او سرديس بآسيا الصغرى . ومعظم قصائده تدور حول الحفلات والاعياد الاسبرطية ، وهى فى الغالب اغان كانت تنشدها جوقات مؤلفة من الفتية والفتيات .

قليلة منها الى اللوفر فى باريس ، والى المتحف البريطانى بلندن . ولم يعد فى وسع العلماء أن يتجاهلوا هذا المصدر الجديد للمعلومات عن العالم القديم . وبدأ منذ ذلك الحين سيل من الأوراق البردية يتدفق باستمرار الى متاحف أوروبا ومكتباتها ثم الى أمريكا فيما بعد . وبصرف النظر عن الجزازات القليلة التى وجدت ضمن اللفائف المحترقة فى تانيس ١٨٨٣ — ١٨٨٤ فقد تم أول كشف لأوراق البردى اليونانية على يد عالم أثرى ، هو المرحوم سير فلندرز پيترى (Flinders Petrie) فى شتاء عام ١٨٨٩ — ١٨٩٠ ، ولو أنه فى الواقع لم يكن يبحث عن البردى . فبينما كان يباشر أعمال الحفر فى جبانة قديمة عند « غراب » Gurob [١] باقليم الفيوم عثر على موميات كثيرة مكسوة بأغلفة مصنوعة من البردى . وعندما فض الاغلفة وجد المجموعة الرائعة المعروفة باسم «برديات پيترى» (P. Petrie) التى يرجع تاريخها الى القرن الثالث ق.م . والى جانب الوثائق الكثيرة وجد پيترى أيضا بعض البرديات الأدبية القيمة وبينها قصاصات من لفافة تحتوى على محاورتى لاخيس (Laches) وفيدون (Phaedon) لأفلاطون ، وهما منسوختان فى غضون القرن الذى أعقب وفاة الفيلسوف ، وقصاصة أخرى عليها اكثر من مائة بيت من مسرحية ضائعة بعنوان « أنتيوپى » (Antiope) ليورپيديس . وعندما أحدث المتحف البريطانى بعد عام ١٨٩٠ رجة فى أنحاء العالم بشرائه لفائف بردية تتضمن بحثا ضائعا لأرسطو فى الدستور الأثينى ، وخطبة أخرى لهيبريديس ، وهزليات هيروداس ، وعندما اشترى المتحف بعد ذلك ببضع سنوات برديات تحتوى على قصائد باكخيليديس ، عندئذ جاز لنا أن نقول ان علم البردى أصبح معترفا به كفرع خاص من فروع الدراسات القديمة (الكلاسيكية) ، ولو أنه لم يكتسب اسمه الا فيما بعد ، وأن نشر الوثائق كما نعرفه اليوم لم يرتق الا تدريجيا .

وفى عام ١٨٩٥ أدركت « جمعية الكشف عن الآثار المصرية » . (Egypt Exploration Society) — والتى كانت تسمى وقتئذ « صندوق تمويل الكشف عن الآثار المصرية » (Egypt Exploration Fund) أن الوقت قد حان لادخال أوراق البردى اليونانية فى دائرة نشاطها ، فقررت ايفاد ثلاثة من علماء اكسفورد فى الدراسات القديمة وهم ب . ب جرنفل (P.B. Grenfell) ، ا . س . هنط (A.S. Hunt) د . ج . هوجارث

---

[١] وهى جبانة اللاهون .

(D.G. Hogarth) الى مصر للقيام بحفريات تمهيدية ، فبدأوا العمل أثناء شتاء عام ١٨٩٥ ــ ١٨٩٦ فى مكانين بالفيوم ، وحصلوا على نتائج لم تكن باهرة ، لكنهما كانت مشجعة حتى أنهم منحوا فى الشتاء التالى تصريحا بالحفر فى البهنسا وهى أوكسيرينخوس القديمة (Oxyrhynchus) [١].
وقد اضطلع بأعمال الحفر فى هذه المرة أيضا العالمان جرنفل وهنط ، ولم تكن نتائج الاكتشافات فى ذلك الموسم الاول طيبة فحسب ، بل مثيرة أيضا: فقد استخرجا أكداسا هائلة من أوراق البردى ، وكانت من بين المكتشفات الأولى قصيدة جديدة للشاعرة سافو (Sappho) [٢] وورقة من كراسة بردية (codex) تحتوى على ما يعرف باسم (Logia) أو « أقوال يسوع » . وفى صيف عام ١٨٩٧ أنشأت الجمعية فرعا خاصا هو الفرع اليونانى ــ الرومانى . ولم يعد جرنفل وهنط فى الشتاء التالى الى أوكسيرينخوس بل عادا الى الفيوم ليبدأ اعمال الحفر قبل آن تنفذ الحكومة مشروعات الرى الجديدة التى قد تقلل من فرص نجاح الحفائر بذلك الاقليم ، وهناك باشرا العمل بنجاح خلال السنوات الأربع التالية.
وفى شتاء عام ١٨٩٩ ــ ١٩٠٠ أشرفا على حفائر جامعة كاليفورنيا فى أم البرجات ، وهى تبتونس القديمة (Tebtunis) الواقعة على الطرف الجنوبى للفيوم . وكان العالمان متلهفين على اكتشاف برديات بطلمية ، لأن الاكتشاف العظيم الذى تم على يدى پيترى فى غراب [جبانة اللاهون] كان ماثلا فى اذهانهما فأخذا يبحثان عن جبانة من العصر البطلمى . وكم كان سرور رجال البعثة شديدا عندما وجدوا احدى هذه الجبانات ، وكم كانت أيضا خيبة أملهم شديدة عندما فتحت احدى المقابر فتبين أنها لا تحتوى الا على مومياءات للتماسيح المقدسة ! لقد كانت الفيوم هى اقليم التمساح المؤلة سبك (Ṣobk) [٣] . وكان « البقشيش » يمنح دائما لعمال الحفر الذين

---

[١] مركز بنى مزار بمحافظة المنيا .

[٢] ولدت حوالى ٦١٢ ق.م. بمدينة موتيلينى (Mytilene) بجزيرة لسبوس (Lesbos) الايولية . وقد نفيت من وطنها لاسباب سياسية ثم عادت اليه حيث أنشأت رابطة أو منتدى أدبيا مؤلفا من بعض الفتيات اللامعات فى المجتمع . وقد توطدت الصلة بين سافو وبين صويحباتها حتى نظمت فيهن قصائد عديدة بعضها بمناسبة زفافهن (Epithalamia) ومعظم شعرها فى الحب والطبيعة ، ويمتاز بالرقة والجمال وحرارة الشعور والصراحة ، وقد حيكت حولها الشائعات ولكن النقد الحديث استطاع ان ينصفها ويطهر سمعتها من الشوائب .

[٣] سبك هو الاسم المصرى القديم ويقابله سوخوس (Souchos) عند الاغريق ولعله تصحيف لنفس الاسم .

يعثرون على اية قطعة اثرية ذات قيمة ، وقد حدث أن استشاط أحد العمال غضبا لما تمخض عنه الحفر من نتيجة تافهة ، فانهال بمعوله ساخطا على أحد التماسيح فانشطر وظهر انه مكسو بلفائف من أوراق البردى المكتوبة . وعلى حد قول « هنط » فى احدى محاضراته أصبحت التماسيح على الفور بضاعة رابحة بعد أن كانت كاسدة لا تجلب الا الخسارة ! وقد استخلصنا من هذا المصدر مجموعة من اهم الوثائق يرجع تاريخها الى القرن الثانى ومستهل القرن الأول ق.م. ويتضمنها الآن المجلد الاول من برديات تبتونس (P. Tebt.) ، ويتضمن المجلدان الآخران وثائق من الفترة الرومانية وجدت فى خرائب تلك البلدة ، وبرديات من الفترة البطلمية استخلصت من اغلفة الموميات العادية .

وبعد الانتهاء من أعمال الحفر فى « الحيبة » [١] بوادى النيل ، عاد جرنفل وهنط الى أوكسيرينخوس فى عام ١٩٠٣ وواصلا العمل هناك بنجاح باهر حتى شتاء عام ١٩٠٦ — ١٩٠٧ . والواقع أن أوكسيرينخوس كانت اخصب بقعة فى مصر امدتنا بمحصول من أوراق البردى ، وخاصة الأدبية ، « فأناشيد الشكر » لپندار ، وبعض قصائده الأخرى المفقودة ، ومقطوعات جديدة من نظم سافو والكايوس (Alcaeus) [٢] وغيرهما من الشعراء الغنائيين ، ومسرحية «اخنيوتاى» لسوفوكليس و «هوپسيپولى» لايوريپيديس وأجزاء كبيرة من مسرحيات عديدة ضائعة لإيسخيلوس (Aeschylus)[٣] وهجائيات كركيداس ، وقطع طويلة من قصائد

---

[١] على ضفة النهر فى مواجهة بلدة الفشن بمحافظة المنيا واسمها القديم Ankyrôn polis .

[٢] شاعر غنائى ولد حوالى ٦٢٠ ق.م. فى مدينة موتيلينى بجزيرة لسبوس الايولية واشتغل بالسياسة وناهض الطغاة فغادر بلاده وزار بعض اقطار من بينها مصر ثم عاد الى وطنه . وبعض قصائده غنائية والبعض الاخر فى السياسة والخمر والغزل .

[٣] شاعر مسرحى كبير (٥٢٥ — ٤٥٦ ق.م) . وهو رائد اقطاب المسرح التراجيدى عند اليونان . ولد فى اليوسيس ، احدى المدن الصغيرة فى اقليم اتيكا ، وتقع على بعد حوالى ١٤ ميلا الى الشمال الغربى من اثينا ، وتعتبر ضاحية لها . اشترك فى معركة مراثون ، اولى معارك الحروب الميدية (الفارسية) فى سنة ٤٩٠ ق.م. وكذلك فى معركتى ارتميسيوم وسلاميس فى سنة ٤٨٠ ق.م.وبدأ حياته الفنية فى عام ٤٩٩ ق.م. ويقال انه كتب مالا يقل عن ٩٠ مسرحية ولكن لم يصل الينا منها سوى سبع وهى : « المستجيرات » ، « الفرس » « سبعة ضد طيبة » ، بروميثيوس مغولا » ، ثم ثلاثية « أورستيا » وتشمل « اجاممنون — حاملات القرابين — الصافحات) . وقد اسهم ايسخولوس فى تطوير التراجيديا باضافة ممثل ثان ، وبتحديد دور الجوقة ، وتصوير الشخصيات . كما رفع التراجيديا بعمق تفكيره الدينى وسمو لغته ، الى مرتبة عالية .

كالليماخوس (Callimachus)[١] ، ولفافة طويلة ــ وان كانت غير كاملة ــ تتضمن وصفا لأحداث تاريخية هامة وقعت فى بلاد الاغريق فى صدر القرن الرابع ق.م [٢] ، وقصاصتان من « اقوال يسوع » واجزاء كثيرة من الأناجيل غير المعتمدة ، وبقايا مخطوط كان يعتبر حتى اكتشاف برديات شستر بيتى (Chester Beatty) ، اقدم مخطوط موجود لأنجيل القديس يوحنا ــ هذه ليست سوى درر قليلة من الكنوز التى يدين بها العلماء لأوكسيرينخوس . وبعد أن غادرت البعثة تلك المنطقة ، واصل دكتور چون چونسون (John Johnson) اعمال الحفر باسم الجمعية فى مناطق أخرى من ١٩٠٩ حتى ١٩١٢ .

وسرعان ما أثار العمل الذى قام به البريطانيون اهتمام علماء الأمم الأخرى ، فقامت بعثة ألمانية بالحفر فى اطلال هيراكليوبوليس القديمة Heracleopolis (اهناسيا المدينة) فى عام ١٨٩٩ ، وتكللت جهودها بالنجاح غير أن السفينة التى كانت تنقل الآثار المكتشفة الى ألمانيا احترقت لسوء الحظ فى ميناء همبورج فالتهمت النيران المجموعة كلها . ولكن البعثات الالمانية التالية وفقت لا فى العثور على برديات ثمينة فحسب بل فى نقلها سليمة الى ألمانيا ، كما أن الفرنسيين والايطاليين والأمريكيين ، والبعثة الفرنسية البولندية ، ومصلحة الآثار المصرية ، أولئك جميعا ساهموا فى العمل ، بينما لم يكف السباخون قط عن الحفر ، المشروع منه وغير المشروع . لقد نضب الآن تقريبا معين كافة الأماكن المعروفة ، واذا لم تكتشف اماكن أخرى غنية مثلها بالأوراق البردية ، وهذا أمر يبدو بعيد الاحتمال ، فمن المرجح أن ينقطع المدد وشيكا ، فيما عدا الاكتشافات الفردية التى تحدث بين الآونة والأخرى . وقد حدث فى السنوات الاخيرة اكتشافان من هذا النوع كان لهما دوى فى أرجاء العالم ؛ ولا يعزى الفضل

---

[١] شاعر هللينستى (حوالى ٣٠٥ ــ ٢٤٠ ق.م.) ، ولد فى قورينى (بولاية برقة) ووفد الى الاسكندرية فصار شاعر بلاط بطلميوس الثانى واشتغل بمكتبة الاسكندرية فوضع فهرسا (Pinakes) وافيا بالمؤلفات الادبية . ومن اطول قصائده « الاسباب » ولكن معظمها قصيرة من النوع المسمى ابيجراماتا (Epigrammata) او ملاحم صغيرة (Epyllia) مثل قصيدة هكالى (Hecale) . من مقطوعاته ايضا «خصلة برينيكى» و«رثاء ارسينوى».

[٢] وتعرف باسم Hellenica Oxyrhynchia وتتضمن وصفا تاريخيا لاحداث عام ٣٩٦ ــ ٣٩٥ ق.م. فى بلاد اليونان مع استطراد فى وصف دستور الحلف البويوتى . وتنسب اما الى المؤرخ افوروس (Ephorus) او ثيوبومبوس (Theopompus) او كراتيبوس (Cratippus) او دايماخوس (Daimachus) .

فيكليهما الى بعثات الحفائر العلمية بل الى جهـــود الاهالى . واسفر الاكتشاف الأول الذى حدث فى عام ١٩٣١ أو حوالى هذا التاريخ عن طائفة من الدفاتر البردية (codices) القديمة الخاصة بالتوراة والانجيل ، ومعظمها الآن فى حوزة السيد شستربيتى (Chester Beatty) (١) ، وليس هنـــــاك ما يفوقها فى الأهمية سوى الدفتر او المخطـــوط السينائى (Codex Sinaiticus) الذى اكتشفه تيشندورف (Tischendorf) . واما الاكتشاف الثانى فقد حدث فى ١٩٣٩ أو ١٩٤٠ ، ولما كانت البردياتالتى أسفر عنها هـــذا الاكتشاف لم تنشر بعد ، فليس فى وسعى أن أضيف شيئا سوى أنها تبشر بأهمية قصوى للمعنيين بدراسة لاهـــوت آباء الكنيسة [٢] .

نشاة علمالبردى :

وليست البرديات التى عثرنا عليهـــا فى أرض مصر مكتوبة باللغتين اليونانية واللاتينية فحسب ، بل ان كثيراً منها مكتوب باللغة المصرية فى صورها المختلفة : الهيروغليفية والهيراطيقية والديموطيقية والقبطية . كما وجدنا أيضا أعدادا وفيرة من أوراق البردى العربية ، فضلا عن كمية ضئيلة من الوثائق المكتوبة باللغات المختلفة التى كان يتكلمها المستوطنون فى مصر . وكلمة عـــلم البردى (Papyrology) ينبغى أن تعنى ، حسب الاشتقاق اللغوى ، دراسة كافة الأوراق البردية (papyri) المكتوبة بأية لغة وأى خط ، ولكن اذا لم يحدد معناها بصفة مميزة فيقال مثـــلا

---

(١) واما باقى المجموعة فموزع بين مكتبة جامعة ميشيجان (Michigan) وجامعـــة برنستون (Princeton) ، وهذه يمتلكها السيد جون هـ . شايد (John H. Scheide) ، والمكتبة الاهلية فى فينا ، والسيد ولفرد مرتون (Wilfred Merton)

[وقد نشر السير فردريك كينيون برديات شستربيتى تحت عنوان :
The Chester Beatty Biblical Papyri (London & Dublin 1933-1958) = **P. Chest. Beatty.**]

[٢] يشير المؤلف الى البرديات التى اكتشفت فى محاجر طرة عام ١٩٤٠/١٩٤١ وتعرف الان باسم P. Turah . وقد تبين انها لاهوتية تتصل بالانجيل والتوراه . وقـــد نشر بعضها الاستاذ شيرر (Scherer) كمحاورات اوريجينيس (اوريجانس) مع هيراكليديس عن الآب والابن وروح القدس ، وشروح على اجزاء من العهد الجديد ، ونشر بعضها الاخر أساتذة المان (جامعة كولونيا) وبخاصة كينن (Koenen) وهاجيدورن (Hagedorn) وغيرهما الذين نشروا جزءا من شروح ديدوموس الاعمى (القرن الرابع ق.م.) على بعض أسفار من العهد القديم . ومعظم برديات طره مودع فى المتحف المصرى .

« علم البردى القبطى » فانها لا تشمل عادة سوى أوراق البردى المكتوبة باللغة اليونانية أو اللاتينية . على أن الكلمة اذا كانت من جهة اضيق فى مفهومها مما يقتضيه الاشتقاق اللغوى ، فهى من جهة أخرى اوسع فى مدلولها لأنها تشمل كل ما هو مكتوب باللغة اليونانية أو اللاتينية على الرق والشقف والخشب ، وما الى ذلك ، ممـــا عثرنا عليه فى مصر ، ولا يستثنى من ذلك ســـوى النقوش (inscriptions) المحفورة على الحجر أو البرونز التى تدخل فى نطاق علم النقوش (Epigraphy) وينبغى أن اضيف ان أوراق البردى اللاتينية أقل بكثير ــ كما هو متوقع ــ من أوراق البردى اليونانية ، لأن اليونانية كانت هى اللغة الرسمية .

ولدينا من أوراق البردى اليونانية المنشورة عدد ضخم يصل الآن الى آلاف كثيرة ، واما البرديات التى اكتشفناها بوجه عام فيبلغ عددها ، باضافة القصاصات الصغيرة ، عشرات الآلاف . وعندما بدأ جرنفل وهنط العمل ، كان من الميسور أن يستوعب الباحث دون عناء كبير كل ما هو ضرورى لدراسة البردى ، غير ان هذا أصبح الآن امرا مستعصيا حتى على أقوى الناس ذاكرة ، كما تضخم عدد الكتب الخاصة بالموضوع تضخما كبيرا . ويستعين الباحث الآن بكتب متنوعة الموضوعات كانت فى بادىء الأمر غير ضرورية ، فهناك معجم بالمفردات الواردة فى الوثائق البردية (Wörterbuch) (١) ، وقاموس بأسماء الأعلام (Namenbuch) (٢) ،

---

(١)
F. Preisigke & E. Kiessling, **Woerterbuch der griechischen Papyrusurkunden mit Einschluss der griechischen Inschriften, Aufschiften, Ostraka, Mumienschilder usw. aus Aegypten,** Bd. I (1925), Bd. II (1927). Bd. III, **Besondere Woerterliste** (1931).

ويشار الى هذا القاموس بالاختصار [WB.] وقد ظهر فى عام ١٩٤٤ الجزء الاول (Heft i) من المجلد الرابع (Band IV) الذى هو فى الواقع طبعة منقحة ومزيدة من نفس القاموس ، ولكنها لا تزال فى مراحلها الاولى وقد يستغرق اتمامها سنوات عديدة ، وظهـر الجـزء الثانى عام ١٩٥٨ . وقد صـدرت بعد ذلك اجزاء اخرى . وعلى اى حال فان المعجم لم يستكمل بعد . ويشرف على اعداده الاستاذ اميل كيسلنج (E. Kiessling) بمعهد علم البردى بجامعة ماربورج ، وتساهم فى تمويله عدة هيئات علمية من بينهـــا اليونسكو] .

(٢)
F. Preisigke, **Namenbuch** enthaltend **alle griechischen, latein-**

وكتاب جامع (Sammelbuch) (١) يتضمن كل الوثائق الاغريقية الخاصة بمصر والمدونة على أى مادة من المواد (بما فى ذلك النقوش) مما ينشر متفرقا فى الدوريات وغيرها من المنشورات العلمية ، وهناك أيضا ثبت بتصويبات النصوص المنشورة (Berichtigungsliste) (٢) ، وفهرست معكوس (Konträrindex) (٣) : تظهر فيه جميع المفردات الواردة فى أوراق

= **ischen, aegyptischen, hebraeischen, arabischen und sonstigen semitischen und nichtsemitischen Menschenamen soweit sie in griechischen Urkunden (Papyri, Ostraka, Inschriften, Mumienschildern usw.) Aegyptens sich vorfinden,** 1922 [Namenbuch.]

وينتظم القسم ١٦ (١) من الفهارس الخاصة فى المجلد الثالث من قاموس المفردات **Woerterbuch** (انظر الحاشية السابقة) ؛ قائمة باسماء الاماكن .

(١) **Sammelbuch Griechischer Urkunden aus Aegypten.**

بدأه ف . برايسكى ، وهو المسئول عن المجلد الاول (وثائق رقم ١ – ٦٠٠٠) ، وعن المجلد الثانى (فهارس) ، ١٩٢٢ وبعد موته اكمله ف . بيلابل(F. Bilabel) الذى نشر بعض مجلدات اخرى ولكن العمل توقف بسبب مقتله أثناء الحرب – وانا لنرجو الا يطول هذا التوقف [نشر بيلابل المجلد ٣ ويشمل الوثائق البردية من رقم (٦٠٠٠ – ٧٢٦٩) عام ١٩٢٦/١٩٢٧ ، والمجلد ٤ ويشمل الوثائق من رقم (٦٢٧٠ – ٧٥١٤) عام ١٩٣١ ، والمجلد ٥ (بالاشتراك مع كيسلنج) ويشمل الوثائق من رقم (٧٥١٥ – ٨٩٦٣) بين عامى ١٩٣٤ – ١٩٥٥ . ونشر كيسلنج المجلد ٦ (٨٩٦٤ – ٩٦٤١) بين عامى ١٩٥٨ – ١٩٦٣ ، والمجلد ٧ (فهارس) عام ١٩٦٤ ، والجزء الاول من المجلد ٨ (٩٦٤٢ – ٩٨٢٥) فى عام ١٩٦٥]

ويشار عادة الى هذا الكتاب الجامع بالاختصار [SB] واحيانا بالاختصار [**Sammelbuch**] .

(٢) **Berichtigungsliste der Griechischen Papyrusurkunden aus Aegypten:** Bd. I (F. Preisigke), 1922; Bd. II (F. Bilabel), 1929-1933; [Bd. III (M. David — B.A. van Groningen — E. Kiessling) 1958; Bd. IV (1964) Material geordnet von 1954-1961].

ويشار اليه بالاختصار (BL.)

والمجلد الثانى يشمل [تصويبات القراءات على] الشقف .

(٣) O. Gradenwitz, **Heidelberger Kontraerindex der griechischen Papyrusurkunden,** 1931.

والكتاب التالى الذى ظهر اخيرا أوفى منه لتحقيق الغرض:

P. Kretschmer & E. Locker, **Rueckläeufiges Woerterbuch der** =

البردى مرتبة وهى معكوسة ترتيبا ابجديا ، وهذا الفهرست يعين قارىء المخطوط الذى لا يرى من الكلمة الا آخرها على معرفة الاضافات المحتملة التى تكملها) . وكان المرحوم ڤيلكن (U. Wilcken) ينشر حتى وفاته منذ عهد قريب ، مجلة خاصة بالدراسات البردية (١) ، وتصــدر الجمعية المصرية لعلم البردى مجلة أخرى (٢) ، كما شرع الأمريكيون اخيرا فى أخراج مجلة ثالثة (٣) ، وبالاضافة الى ذلك فان كثيرا من المقالات الخاصة بأوراق

=

griechischen Sprashe. Goettingen, 1944. 2te Aufl. mit Ergaenzungen von Kisser, 1963.]

وتقوم الان باحثة هولندية فى علم البردى ، وهى الدكتورة ڤيجنر (E.P. Wegener) باعداد قاموس معكوس باسماء الاعلام [لكن لم يقدر لها أن تنجزه . وقد تم اعداد معجم الاعلام المعكوس على يد عالمين المانيين ونشراه فعلا بعنوان : '

F. Dornseiff & B. Hansen, **Ruecklaefiges Woerterbuch der griechischen Eigennamen** (Berichte über die Verhandlungen der Saechsischen Akad. der Wiss. Leipzig. Philol.-hist. Kl. Bd. 102, Heft 4). Berlin Akad. Verlag, 1957.]

(١) **Archiv fuer Papyrusforschung und verwandte Gebiete.** [Archiv.]

ومقالات هذه المجلة بالالمانية او الانجليزية أو الفرنسية أو الايطالية .

[ويتابع اصدارها الان الاستاذ ف . تسوكر **F. Zucker** وقد ظهر العدد ١٧ من هذه المجلة فى عام ١٩٦٢] .

(٢) **Etudes de Papyrologie.**

(٣) Mizraim, **journal of Papyrology, Egyptology, History of Ancient Laws, and their Relations to the Civilizations of Bible Lands.**

[وقد انقطع ظهور هذه المجلة منذ بضع سنوات . ونضيف الى هذه القائمة ، اسم المجلة التالية لاهميتها :

The Journal of Juristic Papyrology

وتصدر فى وارسو ويتولى نشرها الاستاذان ر . تاوبنشلاج (R. Taubenschlag) ج . مانتويفل (G. Manteuffel) ويتابع تلاميذهما نشرها وقد ظهر العدد رقم ١٣ فى عام ١٩٦١ .

كما اصدر المرحوم A. Bataille استاذ علم البردى بالسوربون مجلة فى باريس عام ١٩٦١ بعنوان : **Recherches de Papyrologie** وقد ظهر منها حتى الان (١٩٦٤) ثلاثة اجزاء . ــ واستيفاء للمجلات ينبغى ان يرجع الباحث الى دوريات علمية

=

البردى تظهر فى مجلات مثل Aegyptus (ميلان) و Annales du Service (القاهرة) Chronique d'Egypte و (لندن) Journal of Egyptian Archaeology (بروكسل). وقد عقدت خمس مؤتمرات دولية لعلم البردى ، وكان السادس قيد البحث عندما نشبت الحرب فى أوروبا [١] .

أوراق البردى كمصدر للمعلومات التاريخية :

ان البرديات التى نعثر عليها تختلف بداهة فيما بينها كل الاختلاف من حيث النوع والأهمية ، لأنها تصلنا عن طريق المصادفة ولا ارادة لنا فى انتقائها ، فهى تتراوح بين لفائف طويلة فى حالة سليمة وبين شذرات تافهة جدا ، ونجد بينها أجزاء من مؤلفات أدبية متباينة القيمة : فأحيانا هى مسرحيات من عيون الأدب اليونانى ــ الرومانى ، وأحيانا أخرى قصائد من نظم متشاعرين من سكان القرى المصرية ، ويمتد تاريخها من هوميروس [حوالى القرن التاسع ق.م] حتى ادباء القرن السادس الميلادى . ولدينا

=

أخرى تحتوى أحيانا على موضوعات خاصة بعلم البردى مثل :

— **Bulletin d'Institut Français d'Archéologie Orientale** (BIFAO)

التى تصدر فى القاهرة

— **Bulletin de la Société Archéologique d'Alexandrie** (BSAA)

التى تصدر فى الاسكندرية وتوقفت منذ سنوات

— **Transactions of the American Philological Association** (TAPA)

— **Revue des Etudes Grecques** (REG)

وتنشر هذه المجلة التى تصدر فى باريس كل بضع سنوات نشرة بردية بالغة الاهمية بكل ما يكتب فى علم البردى من كتب وبحوث ومقالات . وتسمى بالنشرة البردية **Bulletin Papyrologique** (BP)

وقد ظهرت النشرة البردية رقم ١٨ (وتشير الى كل ما نشر فى الفترة الممتدة من ١٩٥٤ ــ ١٩٥٩) فى العدد رقم ٧٨ من هذه المجلة الذى صدر فى النصف الاول من عام ١٩٦٥ .

[١] عقد المؤتمر السادس فى باريس سنة ١٩٤٩ ، والسابع فى جنيف سنة ١٩٥٢ ، والثامن فى فينا سنة ١٩٥٥ ، والتاسع فى اوسلو سنة ١٩٥٨ ، والعاشر فى وارسو سنة ١٩٦١ ، والحادى عشر فى ميلان سنة ١٩٦٥ ، ومن المنتظر عقد المؤتمر الثانى عشر فى هارفارد (بمدينة كمبردج بامريكا) فى اغسطس ١٩٦٨ .

وفرة من البرديات المسيحية المتعلقة اما بالتوراة والانجيل أو باللاهوت . ويوجد عدد كبير من النصوص الخاصة بالديانة الوثنية ، وعدد أكبر خاص بالسحر . وفى حوزتنا الآن وثائق من كل نوع ، رسمية وشخصية ، وتختلف بين صور من أوامر ملكية أو امبراطورية وبين كتابات عابرة سطرها بعض المغمورين من سكان القرى الصغيرة ، أو محاولات أولية من جانب التلاميذ لتعلم الخط . ويمتد تاريخ هذه الوثائق من عام ٣١١ ق.م. – وهو تاريخ أقدم وثيقة بردية اكتشفت حتى الآن – الى ما بعد نهاية القرن الأول الهجرى ، أى الى منتصف القرن الثامن الميلادى على وجه التقريب . وتوجد ضمن هذه الوثائق المتنوعة مراسيم أصدرها الملوك أو الأباطرة وهى كثيرا ما تمدنا بمعلومات قيمة عن النظم الادارية والقضائية. وقد استكملنا الحقائق المستمدة من هذه المراسيم القليلة بما استقيناه من اللفائف الرائعة التى نشرها جرنفل تحت عنوان « قوانين الدخل لبطلميوس فيلادلفوس » [١] التى زودتنا هى وغيرها بمعلومات ثمينة عن احتكار صناعة الزيت فى العصر البطلمى ، وبما استخلصناه من بردية رائعة أخرى من تبتونس (٢) ، تتضمن طائفة من التعليمات التى وضعها وزير للمالية فى عصر البطالمة لتوجيه أحد مرءوسيه . ومن الوثيقة المعروفة باسم (Gnomon) أو قواعد القسم المالى الذى كان يطلق عليه فى العصر الرومانى اسم « الحساب الخاص » (Idios Logos) (٣) . وتلقى المراسلات الرسمية ومذكرات أو محاضر جلسات رجال الادارة شعاعا ضافيا على سير العمل الحكومى من يوم الى يوم . ومن كشوف تقدير الضريبة وجبايتها ، نتعرف على المبادىء العامة المتبعة فى فرضها ، كما نتبين من ايصالاتها التى لا حصر لها كيفية تطبيق هذه المبادىء . وتعيننا البيانات الخاصة بمسح الأراضى ، وكذلك البلاغات عن الأراضى التى يغرقها أو لا يبلغها ماء الفيضان ، واقرارات الملكية ، على استجلاء معالم السياسة الزراعية للحكومات المتعاقبة . ومن قوائم التعداد العام واقراراته

---

(١) P. Rev. انظر المراجع العامة فى آخر الكتاب تحت عنوان (المجموعات البردية)

(٢) P. Tebt. III, 703.

(٣) B.G.U. V, **Der Gnomon des Idios Logos.**

الجزء الاول هو النص ونشره ف . شوبارت (W. Schubart) فى ١٩١٩ ، والجزء الثانى هو التعليق وكتب ف . ج اوكسكل جيلينباند (W.G. Uxkull-Gyllenband) فى ١٩٣٤ . [انظر الان :

S. Riccobono, jr. **Il Gnomon dell'Idios Logos.** Palermo, 1950].

تتضح لنا الأنظمة التى كانت متبعة فى قيد أسماء السكان بمصر وحفظ السجلات الخاصة بذلك تسهيلا لمهمة رجال الادارة ، وتزيدها وضوحا شهادات الميلاد والوفاة . هذا الى أن الوثائق القانونية على شتى صورها : العرائض ومحاضر القضايا وعقود الزواج والطلاق وتعليم الصبية حرفة من الحرف وتكوين الشركات ، وصفقات البيـــع والشراء والايجارات والقروض ، والرهون ، والايصالات ، وأوامر الصرف والوصايا والهبات ، جميع هذه المســتندات أمدتنا بفيض من المعلومات عن النظم القانونيـــة القديمة ، والحياة الاجتماعية ، والاحوال الاقتصادية .. وتزدادهذهالامور وضوحا فى أذهاننا بقراءة الرسائل الشخصية ، والحسابات الخاصـــة والتظلمات ، ومحاضر القضايا (التى تتضمن تفاصيل شائقة فى معظم الأحيان) ، والوصايا والمحررات الأخرى مثل القـــوائم التفصيلية أو البيانات الوصفية بمشتملات المهور فى عقود الزواج . واخيرا لدينا كثير من المعلومات عن التعليم فى مصر اليونانية ــ الرومانية : كتب مدرسية ونماذج لتدريب التلاميذ واشارات ضمنية واردة فى الرسائل الخاصة .

الواقع انه يوجد لدينا عن مصر اليونانية ــ الرومانيـــة ثروة من الحقائق التاريخية المستمدة من الوثائق لا يتوافر مثلها لأى بلد اخر من بلاد العالم القديم ، وهذه الحقائق ذات قيمة فريدة نظرا الى طبيعـة مصادرنا ، فقد كان المؤرخون القدماء ، باستثناء عدد قليل منهم ، يهتمون بالأحـــداث السياسية وقلما كانوا يحفلون بالأحوال الاقتصـــادية أو الاجتماعية ، حتى ان ثوكيديديس (Thudydides) [١] نفسه ، وهو بلا مراء

---

[١] مؤرخ أثينى (حوالى ٤٦٠ ــ حوالى ٤٠٠ ق.م.) يعتبر من اعظم ان لم يكن هو اعظم المؤرخين القدماء وصف الحروب البلوبونيزية التى دارت رحاها بين أثينا واسبرطة (٤٣١ ــ ٤٠٤ ق.م.) ولو ان تاريخه ينتهى عند سنة ٤١١ ق.م. (ويكمله اكسنوفون) . وقد اشترك المؤرخ فى هذه الحروب ثم نفى من وطنه لعدم مبادرته الى نجدة احدى المدن مما ادى الى سقوطها فى يد الاعــداء (٤٢٤ ق.م.) وفى منفـــاه عكف على الـكتابة ، مستمدا معلوماته من مشاهداته الشخصية والشهود العيان والوثائق الرسمية وخطب القواد والساسة ، والمصادر الوثيقة ، وعالجها بامانة ودقة معالجة الناقد الحصيف المنصف . فلا عجب ان اجمع الباحثون على طول باعه كمؤرخ وان اخذوا عليه اسرافه فى الاستشهاد بالخطب التى يرويها عن لسان الزعماء . وقد أشاد ثوكيديديس بأثينا كما يتبين من « خطبة التابين » وكان من المعجبين بالقائد بريكليس (Pericles) ، ذلك السياسى الكبير الذى بلغت أثينا على يديه ذروة المجد فى القرن الخامس ق.م. حتى اصبحت على حد قوله فى الخطبة المشار اليها « مدرسة هللاس » أى بلاد الاغريق .

أعظم المؤرخين جميعـــا ، لا يمدنا الا بالقليل عن الحياة الاجتماعيـــة والاقتصادية فى عصره ، وهذا القليل يأتى عرضا ضمن كلامه . فاذا شئنا أن نتزود بمعلومات عن هذا الموضوع ، فعلينا أن نبحث عنها فى المسرحيات الهزلية ومحاورات افلاطون وأقوال الخطباء الاثينيين ، فاذا ما أنتقلنا الى روما وبلغنا العصور التالية ، فعلينا أن نبحث عنها فى رسائل شيشرون (Cicero) وخطبه [١] وهوراتيوس (Horatius) [٢] وپروپرتيوس

---

[١] أشهر الخطبـــاء الرومان (١٠٦ – ٤٣ ق.م.) ولد فى أربينم (Arpinum) باقليم لاتيوم (Latium) وشغف بالاداب اليونانية واللاتينية منذ صباه ولم يلبث أن صار امام عصره فى المحاماة والخطابة والادب ، كما درس الفلسفة لاسيما الفلسفة الرواقية واشتغل بالسياسة فتدرج فى سلك الوظائف العامة (cursus honorum) حتى تولى القنصلية عام ٦٣ ق.م. واحبط وقتئذ مؤامرة كاتيلينا (Catilina) فانقذ روما من التخريب وبرغم ذلك كله فقد فشل شيشرون كسياسى لتردده وتقلبه وعدم انتهاجه سياسة معينة . وقد حاول عبثا ايجاد نوع من الوئام (concordia ordinum) بين طبقة الفرسان (Equites) وهى طبقة طبقة رجال المال والاعمال التى كان ينتمى اليها ، وطبقـــة الارستقراطيين السناتورية (Optimates) . على انه كنصير للنظام الجمهورى القديم لم يرض عن دكتاتورية يوليوس قيصر فانحاز الى جانب بومبى (Pompeius) الذى منى بالهزيمة فى معركة فرسالوس ببلاد اليونان عام ٤٨ ق.م. ولم يكن لشيشرون يد فى المؤامرة التى قضت على حياة قيصر فى مارس ٤٤ ق.م. الا انه هاجم ماركوس انطونيوس احـــد انصاره هجوما عنيفا فى مجلس الشيوخ (Senatus) فلقى حتفه بسبب ذلك على يد الحكومة الثلاثية التى كان انطونيوس عضوا فيها . وفى وسعنا ان نقسم مؤلفاته الى أربعة اقسام :

(ا) الخطب ومن بينها « الدعوى على فريس » ، « وضد كاتيلينا » ، وفى « الدفاع عن قانون مانيليوس » و « ضد ماركوس انطونيوس » وهى المعروفة بالفيليبيات(ب) الرسائل ومن بينها « رسائل الى اتيكوس » و«رسائل الى الاصدقاء (جـ) المقالات الفلسفية السياسية مثل كتابه فى « القوانين » وفى « الدولة » ، وبحوث فى « الشيخوخة » و « الصـــداقة » وطبيعة الالهة » و « القدر » ، (د) البحوث البلاغية مثل « الخطيب » ، « وبروتوس »

[٢] امام الشعر الغنائى اللاتينى (٦٥ – ٨ ق.م.) ولد فى فينوسيا (Venusia) بايطاليا عن اب من العتقاء . وقد عاصر فرجيل (Virgilius) اعظم الشعراء الرومان ، الذى قدمه الى ميكيناس (Maecenas) نصير الاداب فقربه وضمه الى شعراء بلاط الامبراطور اوغسطس (Augustus) الذى منحه ضيعة بالقرب من تيبور (Tibur) فى اقليم لاتيوم . ويمتاز شعره بالايجاز والاناقة والاتقان وبراعة النظم وجودة الصياغة ، وتسوده روح الرقة والدعابة والتهكم وان أعوزه عمق التفكير وحرارة العاطفة . ومؤلفاته الادبية عديدة من بينها الهجائيـــات (Satirae) (Epodes) والرسائل (Epistulae) والاغانى (Odes) وفن الشعر (Ars Poetica) والنشيد المئوى (Carmen Saeculare)

(Propertius) [١] ، ورسائل بلينيوس الأصغر (Plinius) [٢] ، وقصائد مارتياليس (Martialis)[٣] . ولكن هـذه المعلومات التى نستقيها من المؤلفات الأدبية لاتتناول سوى فترات معدودة ومناطق محدودة . ولدينا من كافة انحاء العالم القديم ذخيرة من النقوش تتزايد باستمرار ، ولعلم النقوش (Epigraphy) فضل كبير فى توسيع أفق معارفنا التاريخية . غير اننا لا نجد حتى فى النقوش ذلك التنوع الذى نجده فى أوراق البردى ولا نستشعر تلك الصلة المباشرة التى نحسها عند قراءة الأخيرة . ان الوثيقة لا تنقش عادة على الحجر أو تحفر على البرونز ما لم يكن لها على الأقل بعض الأهمية الدائمة التى تتصل بالصالح العام ، ولو أن هـذه الأهمية قد تبدو ضئيلة فى نظر الأجيال التالية . هذا الى ان النقش يتسم بطابع رسمى ويحتاج الى التحضير ، فى حين ان الخطاب أو المـذكرات العابرة المدونة على البردى قد تكشف لنا عن الأحاسيس التلقائية الخالية من التكلف لشخص مغمور ، ولكنها مع هذا قد تكون ذات أهمية للمؤرخ الحديث لأن كاتبها يعبر عن وجهة نظر الرجل العادى . فالوثائق البردية بوجه عام انما تحدثنا فى الواقع عن الأشخاص العاديين من الجنسين ومتوسطى الحال غير البارزين ممن ينتمون الى جميع الطبقات : المواطنين الموسرين سكان عواصم الأقاليم المصرية وأصحاب الحرف والفلاحين الفقراء .

---

[١] شاعر غزلى ولد حوالى ٥٤ ق.م. وتوفى بين عامى ١٦ ق.م. و ٢ م . اتصل بميكيناس وتقرب من اوغسطس ، وكان صديقا لاوفيد (Ovidius) الشاعر الغزلى المشهور . ومعظم شعره فى التشبيب (وخاصة بمحبوبته الغادرة كونثيا (Cynthia والرثاء ، والمديح . وقد تأثر بمدرسة الاسكندرية .

[٢] كاتب رومانى (٦١ — ١١٤ م) اشتغل بالمحاماة وتدرج فى سلك الوظائف العامة واكتسب خبرة واسعة فى الشئون المالية وقد ولاه الامبراطور تراجان (Traianus) حاكما على ولاية بيثينيا (Bithynia) فى آسيا الصغرى . واهم مؤلفاته هى (الرسائل) (Epistulae) ونخص بالذكر منها رسالته التى وصف فيها قصره ، ورسالته فى وصف بركان فيزوف (الذى هلك فيه عمه بلينيوس الاكبر مؤلف كتاب « التـاريخ الطبيعى » (Naturalis Historia) ، واخيرا رسـالته الشائقة الى تراجان التى يصف فيها استجوابه للمسيحيين فى بيثينيا .

[٣] شاعر رومانى (حوالى ٤٠ ــ ١٠٤ م) ولد فى اسبانيا ثم رحل الى روما حيث غشى قصور الاثرياء واخذ يمدحهم وينادمهم ثم انصرف عنهم وهجاهم ، وقد برع فى نظم القصـائد القصـيرة المعرفة باسم (Epigrammata) التى بلغت على يديه ذروة الكمال وقد اتخذ من الهجاء اداة يسخر بها من نقائص المجتمع الذى اندمج مارتياليس فى جميع اوساطه والم بجميع عاداته وميوله فاستطاع ان ينقل الينـا صورة جلية عن كل ما كان يجرى فيه .

وهكذا نجد انفسنا على اتصال وثيق بطبقات من الناس قلما يعنى المؤرخ السياسى بالتعرض لها أو يرد لها ذكر حتى فى تلك المؤلفات الأدبية التى نوهت عنها . ويهم الباحث التاريخى بالذات أن يتزود بمعلومات عن الحياة اليومية لعامة الشعب ، بيد أن اغلب ما يسجله التاريخ السياسى هو الزبد الطافى على سطح الوجود الانسانى ، وتحت هذا كله ، تسير حياة الانسان العادية من جيل الى جيل معرضة لتصاريف القدر ، مؤلفة فى جوهرها من شئون رتيبة تافهة غير خليقة بسجل منفرد — فالأوراق البردية بتسجيلها هذه الشئون تسهم فى تقويم الانحراف الذى يعيب التاريخ عندما يتحيز فلا يسجل سوى الاحداث الجسيمة البارزة .

لكن ينبغى التوكيد بأن مدى الانتفاع بأوراق البردى كمصدر تاريخى محدود جدا : أولا ، لأن مصر ، كما ذكرت فى مستهل حديثى ، كانت على الدوام بلدا ذا طابع فريد وتبدو فى نظر الشعوب الأخرى أمة غريبة الأطوار مختلفة عن سائر الامم . ونحن لا نستطيع أن نطبق دائما على كافة اقطار البحر الابيض المتوسط النتائج التى نعتبرها نظرا لكفاية الادلة صحيحة بالنسبة الى مصر ، وثانيا ، لأن البرديات نفسها موزعة توزيعا سيئا سواء من الناحية المكانية أو الناحية الزمنية ، فهى تكاد أن تكون منعدمة فى الدلتا بوجه عام . وأما الاسكندرية فبردياتها أوفر ولكنها غير كافية اطلاقا [١] . وكانت بمصر العليا مدينة اغريقية تسمى « بطلمية » (Ptolemais) . ويهمنا جدا ان نحصل على معلومات وافية عنها [٢] ، غير اننا لم نعثر على أية أوراق بردية بين اطلالها ، وليس لدينا عنها سوى معلومات طفيفة مستمدة من نقش واحد أو اثنين وبرديات قليلة وجدناها فى أماكن أخرى . هذا الى أن الأحوال فى مصر كانت تختلف اختلافا بينا من منطقة الى أخرى . وما يسرى على الفيوم قد لا يسرى بحال على منطقة طيبة . كما أن المعلومات عن كل منهما قد لا تتمشى مع ما كان سائدا فى الدلتا . ومعلوماتنا موزعة توزيعا غير متكافىء من الناحية الزمنية أيضا ؛ فوثائق القرن الخامس الميلادى لا تزال شحيحة ، وهكذا الحال بالنسبة

---

[١] المقصود هنا البرديات التى اكتشفت خارج الاسكندرية ولكنها تشير الى المدينة وتتضمن معلومات عنها .

[٢] انظر : G. Plaumann, **Ptolemais in Oberaegypten.** (Leipziger Historische Abhandlungen, Heft XVIII, 1910)

وبطلمية هى بلدة « المنشاة » بمحافظة سوهاج . وانظر ايضا : [J. Scherer, **BIFAO** 41 (1942), pp. 66-73]

الى وثائق القرن الأول قبل الميلاد . وحتى عندما تتوافر لدينا وثائق عن فترة بعينها ، فقد نجد أن هذه الوثائق تتعلق بمنطقة واحدة أو اثنتين فقط من المناطق التى جاءتنـا منها اوراق البردى او الشقف ، بينمـا لا تشير وثائق تلك الفترة الى المناطق الاخرى سوى اشارات عابرة . وعندما نستعرض احوال مصر فى فترة تكون وثائقها وفيرة فى احـدى المناطق ومنعدمة فى مناطق اخرى ــ ربما تكون وثائقها وفيرة فى غير هذه الفترة ــ فنحن نطبق بذلك على البلاد كلها ما هو صحيح فقط بالنسبة الى جزء منها ، وما يعزى هناك الى عوامل محلية بحتة .

وهناك أيضا امر آخر ينبغى ان نحتاط له . ففى دراستنا للوثائق البردية نميل فى اغلب الاحيان الى تصديق محتوياتها بينما نضن بمثل هذه الثقة على اقوال المؤرخين ، ولا يتردد الناس فى الاعتقاد بأن المؤرخ قد يكذب بينما الوثائق صادقة . لكن ذلك وهم باطل ، فالوثائق فى الغالب اقوال من جانب واحد ، وقد كتب بعضها بقصد التمويه والخداع ، ولذلك ينبغى علينا ان نزنها ، كما نزن أقوال المؤرخ ، وان نختبرها فى ضوء الحقائق الأخرى ان كانت ميسورة ، أو فى ضوء نظرية الترجيح العام . وعلى فرض صحة ما يرد فى الوثائق البردية فليس ثمة ما يمنع من أن يكون مضللا ؛ فالناس لا يكتبون العرائض ولا ينغمسون فى القضايا تعبيرا عن رضائهم وانما يفعلون ذلك بسبب نزاع أو ضرر او اضطراب أعترض مجرى حياتهم العادية . وقد نستخلص من قراءة بعض القضايا والشكاوى التى رفعت فى جهة معينة او اثناء فترة من الفترات أن الأحوال وقتئذ كانت سيئة للغاية ، وان الموظفين جميعا كانوا مرتشـين غير اكفاء ، وان الأزمـة الاقتصادية كانت محتدمة ، وان الخصومات القضائية كانت متفشية ، ويفوتنا فى نفس الوقت أنه ربما كان يوجد فى مقابل كل فرد منغمس فى مثل هذه القضـايا ، عشرات أو مئات من الأفراد ممن لم يكن لديهم باعث جدى على التذمر . وينبغى علينا فى الواقع ان نضاهى المعلومات المستمدة من أوراق البردى ، اذا امكن (ومن المؤسف أن ذلك غير ممكن فى اغلب الاحيان) بالمعلومات الأخرى المستمدة إما من علم الآثار (Archaeology) الذى يكشف لنا عن مسـاكن وأدوات منزلية تنم عن مظاهر رخاء لا سبيل الى استجلائها من بين سـطور أوراق البردى أو من علم المسكوكات

(Numismatics)[١] الذى يختص بدراسة أكداس النقــود ، أو غيرهمــا من المصادر . وبعد ان يتخذ عالم البردى كل الاحتياطات ، ويقدر جميع القيود ، فلا مناص من ادراكه بأنه عرضة للزلل ، فقلما تكون الوثيقــة البردية كاملة او غير مشــوهة . وكثير من البرديات التى توصف بأنهــا وثائق رئيسية لم تسلم من العطب البليغ ، ويستند جانب كبير أو صغير من قراءة النصوص التى بين أيدينا الى الترميم القائم على الحــدس والتخمين ، كما أن صعوبة القراءة الناجمة اما عن انطماس الكتابة أو عن الاهمال فى الخط ، من الأمور المألوفة . والوثائق البردية ناقصــة دائما وتأتينا عرضا ، ولا دخل لنا فى اختيارها ، وانما القدر هو الذى حفظها لنا وأعاننا على اكتشافها ، ولعل هذا هو السبب فى تشعب موضوعاتها ، ولو ان ذلك ينطوى على عيب ،وهو أن هذه الوثائق التى قدر لها البقاء قد لا تكون هى أهم ما كان المؤرخ النابه يختاره لو كان الامــر بيده . ويعيش من يدرس اوراق البردى دائما وسط جــو ملىء بالافتراضات والاستنتاجات المبنية على معطيات غالبا ما تكون مبهمة غير كاملة ، ولا يسعه الا ان يتصور عندما يضيف اثنين الى اثنين ، أن حاصل الجمع ربما لا يكون اربعة ، بل قد يكون خمسة أو ستة .

وسوف استعرض فى الفصول الثلاثة التالية تطور مصر الاقتصادى والاجتماعى خلال فترة مداها الف عام على وجه التقريب ، ومن المستحيل — إن لم يكن فى ذلك ما يبعث على السأم — أن اذكر الدليل الذى يؤيد كل عبارة ترد على لسانى . وأرجو الا يغيب عن ذهن القراء اننى مضطر ان اكتب هذه العجالة بلهجة المستيقن مع أن الدقة التامة لا تبررها .

ويتضح مما قلته ان علم البردى ليس علما مستقلا ، وانما هــو فى جوهره ، كما وصفه العالم الألمانى ڤيلكن ، فرع مساعد (Hilfsdisziplin) من فروع الدراسات القديمة ، ومن التاريخ القديم بالذات [٢] . ولهذا الفرع فى الواقع ميدانه الخاص وفنه الذى ينفرد به ، ولكنه وان كان مضطرا من ناحية أن يعتمد على غيره من فروع الدراسة ، فهو يسهم من ناحيــة

---

[١] ويسمى احيانا « علم النميات » .

[٢] احدث كتاب عن اوراق البردى وما يتصل بها كادوات الكتابة ، وتطور الكتاب ، والكشوف البردية ، وطريقة نشر الوثائق ، والبرديات الادبية والشروح ، ونقد النصوص ، وانواع الوثائق ، والمجموعات الرئيسية التى نشرت ، هو كتاب
E. G. Turner, **Greek Papyri: An Introduction.** Oxford, 1968.

اخرى فى زيادة المعرفة بنصيب هو وحده القادر على ادائه . فعالم البردى يدين للمؤرخ بتفسير الظروف والملابسات التى كتبت فيها الوثائق التى يعالجها ، ولا مناص من أن يستعين بما ينشره ويشرحه عالم النقوش ، وان يستعين ، تبعا للعصور ، بأوراق البردى الديموطيقية ، أو القبطية ، أو العربية التى يتولى ترجمتها العلماء المتخصصون . وفى وسع عالم المسكوكات أن يقدم خدمات جليلة تعين على فهم مشاكل النقد والعملة التى ترد فى أوراق البردى . ويميط عالم الآثار اللثام عن المخلفات المادية للمجتمع الذى كتبت فيه أوراق البردى ، كما يسهم علماء اللغة بدراساتهم فى الصرف والنحو والفقه فى شرح نصوص هذه الأوراق ، وأهم من ذلك مساهمة رجل القانون الذى لا غناء عنه لتفسير الوثائق القانونية الكثيرة تفسيرا صحيحا . ومن جهة أخرى يمد عالم البردى جميع هذه الفروع الأخرى من الدراسة بمادة ذات قيمة بالغة ، فمؤرخ العالم القديم الذى يتجاهل الحقائق المستمدة من اوراق البردى هو مؤرخ غير مترو يعرض نفسه للزلل . ويستطيع عالم المخطوطات الحديث، بفضل أوراق البردى، أن يرجع بدراسة الخط اليونانى الى الوراء عدة قرون وهو ما لم يكن ميسورا لأسلافه من علماء فجر القرن التاسع عشر . ويجد عالم النحو والأصوات فى الوثائق المكتوبة بأيدى انصاف المتعلمين معلومات قيمة جدا لدراسة تطور اللغة اليونانية . وسيجد عالم الدراسات القديمة بوجه عام ان محصول الأدب اليونانى الموجود قد ازداد زيادة ملموسة ، وان عددا غير قليل من المشاكل الأدبية قد اتضح بفضل الأوراق البردية التى اكتشفناها فى مصر . كما أفادت دراسة القانون كل الافادة من الوثائق القانونية المدونة على اوراق البردى . وبعد ، فاذا كان عالم البردى مضطرا الى الاستعانة فى كثير من الاحيان بالدراسات الديموطيقية او العربية ، فان علماء هذه الدراسات مدينون له باستمرار بما يزودهم به من معلومات .

فى الحق اننا نستشعر فى دراسة علم البردى ، كما هو الحال فى كثير من الدراسات الأخرى ، لذة العمل المشترك التى تحفزنا على تحقيق غاية أسمى . وهذا العمل كان دائما ولا يزال دوليا فى طابعه . وعلى العموم فان علم البردى كان على غير المألوف خاليا من شوائب تلك الخصومات المريرة ، والأحقاد الشخصية أو القومية التى شابت بعض فروع الدراسة القديمة أو الحديثة .

* * *

الفصل الثانى

العصر البطلى

الاسكندر فى الشرق وتقسيم امبراطوريته :

فى اوائل شهر نوفمبر من عام ٣٣٣ ق.م. التقى الإسكندر الاكبر بالملك العظيم نفسه عند إسوس (Issos) فى كيليكيا (Cilicia) بعد انقضاء ستة اشهر على النصر الذى ظفر به الإسكندر على الولاة الفرس عند نهر جرانيكوس (Granicus) . وبرغم ان التفاوت بين عدد قوات الطرفين كان هائلا ، وان قوات الملك دارا (Darius) نظمت فى هذه المعركة تنظيما بارعاً لم يتسن لقادته فى المعركة السابقة ، إلا ان عبقرية الإسكندر كانت كفواً لبضعة آلاف من الرجال ، ولهذا ما كادت تنتهى المعركة حتى كان الملك العظيم قد فر فزعاً الى قلب آسيا ، بينما هرب رجال جيشه جميعاً باستثناء فرقة المرتزقة الإغريق [١] .

وانفتح سبيلان امام الاسكندر بعد ذلك : فهو يستطيع أن يقتفى اثر دارا وان يحقق على الفور دعواه التى نادى بها منذ حين فيصبح سيد آسيا ، وهو يستطيع أيضاً أن يترك الفرس يعيدون تنظيم صفوف جيشهم ريثما يقوم هو بتثبيت أقدامه فى الغرب . ولم يكن الإسكندر حينئذ

---

[١] قاد الاسكندر الاكبر المقدونيين والاغريق (ما عدا الاسبرطيين) فى غزوة كبرى ضد الفرس ، فانتصر عليهم وثل عرشهم وشيد امبراطورية واسعة على انقاض ملكهم . وكانت هذه الغزوة انتقاما لغزوات الفرس فى بلاد الاغريق ، تلك الغزوات التى تعرف باسم « الحروب الميدية » والتى بدات بانتصار للاغريق فى معركة ماراثون عام ٤٩٠ ق.م، وبهزيمة لهم بعد ذلك رغم استبسالهم فى معركة ثرموبيلاى الشهيرة عام ٤٨٠ ، واخيرا بانتصارهم الرائع فى معركة سلاميس البحرية فى نفس العام ٤٨٠ ، وفى پلاتيا عام ٤٧٩ ، ثم فى معركة ميكالى على ساحل أيونيا عام ٤٧٩ ، واخيرا فى يوريميدون على ساحل بامفيليا فى جنوب آسيا الصغرى عام ٤٦٦ . وجدير بالذكر ان اثينا انشات حلف ديلوس البحرى عام ٤٧٧ ق.م.

الا شابا فى الثالثة والعشرين من عمره ، لكنه كان يتمتع بعقلية السياسى الخبير والقائد المحنك ، ولهذا آثر السبيل المأمونة على السعى وراء نصر براق : كان يعرف ان تعبئة قوات آسيا تتطلب وقتاً طويلا ، ولم ينس — من ناحية اخرى — أن الأسطول الفارسى يربض وراء ظهره ولا قبل له بالوقوف فى وجه هذا الاسطول الذى يستطيع ان يقطع عليه تماما طريق الاتصال بمقدونيا . فالسياسة الحكيمة إذن تقتضى الاستيلاء على شواطىء شرقى البحر الأبيض المتوسط حيث توجد قواعد الأسطول الفارسى التى يعجز عن مواصلة عملياته بدونها . لهذا اتجه الاسكندر جنوباً ، واحتل دون عناء مدن الساحل السورى الشمالى ، كما استولى على صور بعد حصار دموى طويل ، ثم مضى فى طريقه متجهاً نحو مصر .

وقبل ان تسقط صور دعى الإسكندر الى اتخاذ قرار حاسم . ذلك ان دارا كتب إليه عارضا عليه يد ابنته ، وعقد محالفة بينهما ، متنازلا له عن الممتلكات الفارسية غربى الفــرات . وكان العرض مغريا . ولو أن الاسكندر قبله ، أو لو كان قد قتل عند نهر جرانيكوس حيث لم ينقذه سوى سيف كلايتوس (Cleitus) من طعنة صوبها إليه الوالى الفارسى سپيثريداتيس (Spithridates) ، إذن لتغير تاريخ العالم كله . ولكن اطماع الاسكندر كانت قد زادت بعد إسوس ؛ وعندما صرح قائده الأمين پارمينيون (Parmenion) بأنه لو كان محل الاسكندر لقبل العــرض ، اجابه هذا ببساطة « وكذلك كنت افعل لو انى كنت پارمينيون » .

ولم تكن مصر فى وقت من الأوقات عضواً راضياً او مريحاً فى جسم الامبراطورية الفارسية : فبين المصريين الذين تعــددت آلهتهم ، وبين الفرس الذين كرهوا الأصنام وجنحوا الى التوحيد ، كان التنافر جوهرياً واضحا . وكما اعتادت فرنسا اثناء اشتباكها فى حرب ضد انجلترا أن تمد يد العون للساخطين من الايرلنديين ، كذلك فعل الاغريق فشجعوا الثوار المصريين وساندوهم [١] . وظلت مصر فى واقع الأمر مستقلة خلال فترة

---

[١] كان المصريون قد ثاروا على الحكم الفارسى بقيادة زعيم ليبى يدعى ايناروس (Inaros) فى عام ٤٦٠ ق.م. وطلب هذا الزعيم عون اثينا فاستجابت له وارسلت الى مصر اسطولها الذى كان عندئذ يرابط حول جزيرة قبرص متاهبا لمنازلة الفرس ، ولكن هذه الحملة باءت بالفشل فى عام ٤٥٤ ق.م. وعن هذا الموضوع انظر : =

طويلة من القرن الرابع ق.م. ولم يستطع الفرس خلع آخر فرعون وطنى إلا قبل وصول الاسكندر بعشرة أعوام . وعندما ادرك الوالى الفارسى مازاكيس (Mazakês) عبث المقاومة ، استسلم دون قتال فى خريف ٣٣٢ ق.م. ودخل الاسكندر منف (Memphis) [١] حيث سلك مسلك الهلينى العريق [٢] ، ونهج نهجا يختلف تماما عن نهج الفرس ، فقدم ولاءه للآلهة الوطنية ، وقبله المصريون فيما يبدو ملكا على الفور . وكهلينى أصيل أيضاً ، احتفل بانتصاره فأقام مباريات رياضية وحفلا تمثيليا موسيقيا اشترك فيه عدد من كبار الفنانين الأغريق . ومن منف اتخذ الاسكندر طريقة فى الفرع الغربى للنيل قاصداً كانوب (Canopus) [٣] حيث شيد فوق شريط من الأرض الرملية ، يقع بين بحيرة مريوط والبحر مدينة إغريقية تحمل اسمه ، هى مدينة الاسكندرية . ومنها مضى الى واحة سيوه ليستلهم وحى الإله المصرى آمون الذى كان الإغريق يشبهونه بإلههم زيوس (Zeus) [٤] . أما لماذا فعل ذلك ، وما هى الأسئلة التى وجهها للاله ، وما هى الإجابات التى تلقاها ، فتلك مشاكل اختلف فيها المؤرخون ، ولن نستطيع حلها حلا شافياً قاطعا ، لأن الاسكندر احتفظ

Fr. K. Kienitz, **Die politische Geschichte Aegyptens vom 7. bis zum 4. Jahrhundert vor der Zeitwende** (Berlin, 1953), p. 69 ff.
P. Salmon, **La Politique égyptienne d'Athènes** (VIe et Ve siècles avant J.-C.). Paris, 1965.

[١] منف هى عاصمة مصر القديمة ومكانها الآن ميت رهينة قرب البدرشين .

[٢] هلينى واغريقى ويونانى كلهـا بمعنى واحد . وهلينى نسبة الى هيلاس (Hellas) وهو اسم بلاد اليونان .

[٣] وهى ابو قير الحالية .

[٤] كانت واحة سيوه تعرف وقتئذ بواحة آمون حيث شيد معبد لهذا الاله وما تزال بعض اطلاله موجودة الى اليوم . وقد اشتهر هذا المعبد فى كافة انحاء العالم الهلينى وله مركز هام من مراكز الوحى والنبوءة ، شانه فى ذلك شان معبد زيوس فى دودونا ومعبد ابوللون فى دلفى . ولهذا آثر الاسكندر زيارته برغم مشقة الوصول اليه على زيارة معبد آمون فى طيبة (الاقصر) لان الاخير برغم عظمته لم يشتهر عند الاغريق بانه مركز للوحى أو النبوءة . ولعل الاسكندر استهدف من الزيارة استشارة الاله ، والظفر منه بما يرضى نزعته الخيالية ، أو بما يمكن أن يدعم سلطانه او يؤكد نسبته للاله ، فيستغل ذلك للدعاية على الصعيد الهلينى الدولى .

يسرها لنفسه ، وكتب الى امه يقول إنه لن يبوح بهذا السر إلا لها عقب عودته ، ولكنه توفى ولم يعد إلى مقدونيا فدفن معه سره (١) .

ومع هذا فنحن على يقين من أمر واحد ، وهو أن كاهن آمون حياه كابن للاله ، وتلك كانت عند المصريين تحية تقليدية تؤدى لكل ملك على مصر ، وقد غدا الاسكندر ملكا على مصر ، فهو خليق بها . لكن الإسكندر لم يكن على بينة من ذلك . ومن ثم فقد ترك هذا الحادث فى نفسه أثراً قوياً عميقاً . ولما كان الاسكندر رجلا شديد التدين واسع الخيال ، فقد تملكه شعور بأنه يحظى دائما برعاية سماوية خاصة ، وتصور منذ ذلك الحين انه مرتبط بآمون برابطة خاصة كما تصور أن حملته ليست سوى رسالة إلهية . واخذت أفكاره هذه تزداد نضوجاً واتساعا فى خلال الأعوام التالية . لقد نزل بآسيا كخليفة لأبيه ملك مقدونيا ، وقائد اعلى لبلاد الإغريق ، واداة مختارة للثار من الفرس عدوهم القديم . وها هو ذا قد اصبح الآن ملكا للفرس ، وحاكماً نصف مؤله مهمته ان يأسو الجراح القديمة وأن يمحو آثار الكراهية المتأصلة . وعقب عودته الى سوسا Susa [عاصمة الامبراطورية الفارسية] من حملاته المظفرة التى أوصلته إلى قلب البنجاب ، أقام حفل زواج كبير اقترن فيه بابنة الملك دارا [٢] ، كما أقترن ثمانون من قادته بزوجات فارسيات أو إيرانيات . ولم يكن هذا كله مجرد مظاهرة سياسية ، وانما كان عملا رمزيا يكاد يكون مقدسا ويعبر عن فكرة الاسكندر الرائعة بوجوب عقد قران بين أوروبا وآسيا ، ذلك بأننا كما أوضح الدكتور تارن (٣) ـ لا نخطىء إذا صدقنا

(١) يجد القارىء دراسة لهذا الموضوع فى :
P. Jouguet, «Alexandre à l'oasis d'Ammon et le témoignage de Callisthène», **Bull. de l'Inst. d'Egypte,** XXVI, 1944, pp. 91-107.

وفى الحاشية الأولى بصفحة ٩٢ من ذلك المقال ثبت بالدراسات السابقة فى نفس الموضوع [لكن انظر الآن :
W. W. Tarn, **Alexander the Great** (1948), vol. II, pp. 347 ff.]

[٢] واسمها ستاتيرا (Stateira) ولم ينجب منها انظر ص٤٣ هامش[٢] فيمايلى.

(٣) انظر : W.W. Tarn, «Alexander the Great and the Unity of Mankind», (**Proc. Brit. Acad.** XIX, 1933, pp. 123-66).

وانظر ايضا : Plutarch, **Alex.** 27 « لقد ذكر عنه انه قال ان الاله اب للناس جميعا ، ولكنه يعتبر افضلهم آثرهم لديه » .

[وعن زيارة الاسكندر لمعبد آمون فى سيوه ، راجع ايضا :
I. Noshy, «Alexander and the Oracle of Amon», (**Ann. Fac. Lett. Univ. Ibrahim,** II, (1953), pp. 75-98].

ما قاله الكتاب القدامى من أن الاسكندر كان أول من صاغ فكرة الوحدة بين البشر اجمعين فى قالب واضح ، فالناس جميعاً اخوة لانهم جميعاً ابناء الإله .

والواقع أن الاسكندر لم يجد بين قادته من يشاركه هذا التفكير او يفهم اهدافه البعيـــدة . وعندما قضت عليه الملاريا فى الثـالث عشر من يونية عام ٣٢٣ ق.م. وهو بعد فى الثالثة والثلاثين من عمره ، بترت مشروعاته بطبيعة الحال ، لكنه برغم ذلك كان قد انجز منها ما يكفى لتغيير مجرى التاريخ ، وأصبحت قوة الظروف وحدها كفيلة بإحداث المزج بين أوروبا وآسيا . لقد انتهت الامبراطورية الفارسية وأصبحت تخضع من اقصاها إلى أقصاها لحكام مقدونيين يتمتعون جميعا بقسط من الثقافة الهلينية ، ولا مفر لهم من الاعتماد على سواعد مرتزقة الإغريق ، وعلماء الإغريق ، ورجال الاقتصاد والادارة والفنيين الإغريق كى يوطدوا دعائم ممالكهم ويزيدوا رقعتها اتساعاً . وكان الاسكندر يشيد المدن الاغريقية حيثما حل ، وترسم خلفاؤه فى آسيا خطاه فى هذا الصدد . وكما هاجر المغامرون الاسبان فى القرن السادس عشر إلى الدنيا الجديدة بحثا عن الثروة ، وهاجر البريطانيون فى القرن الثامن عشر إلى جزر الهند الشرقية أو الى مستعمرات أمريكا الشمالية سعيا وراء الرزق ، كذلك تدفقت أفواج المهاجرين الاغريق شرقا وجنوبا فى خلال القرن الذى أعقب وفاة الاسكندر قاصدة البلاد التى فتحها لهم . وحمل هؤلاء المهاجرون معهم فنونهم وآدابهم وأساليب معيشتهم ، كما نقلوا نظمهم المدنية ومعاهدهم التربوية (gymnasium) [١] وألعابهم وأعيـــادهم . ولم يأخـذ التيار الروحى اتجاها واحدا فحسب ، ذلك أن هؤلاء المهاجرين وقد ابتعدوا عن وطنهم الأصلى واستقروا بين المصريين أو الآسيويين ، لم يجدوا مفرا من أن يوائموا انفسهم مع بيئتهم الجديدة . ولم يكن فى وسع الحـكام الجدد إلا ان يشركوا رعاياهم الوطنيين فى ميدان العمل الحكومى ، وإلا أن يخضعوا هم أنفسهم للمؤثرات الشرقية ، وذلك برغم تبرمهم من سياسة الاسكندر التى كانت تقضى بمعاملة الفرس كنظراء .

---

[١] الجمنازيوم هو ناد او معهد رياضى ثقافى كان يرتاده الاغريق لممارسة التمرينات الرياضية واستيعاب قدر من الثقافة العامة . وكان الجيمنازيوم سمة مميزة للمدينة الاغريقية ، وعنوانا للثقافة الهلينية . بل ان التربية فيه كانت احد الشروط المؤهلة لحق المواطنة فى المدينة الاغريقية .

ولست فى حاجة الى التحدث عن الحـــــروب التى أعقبت وفاة الاسكندر [١] ، وحسبى أن أقول ان المسألة فى أول الأمر كانت تنحصر فى هذا السؤال : هل يحتفظ بوحدة الامبراطورية ؟ ومن الذى يتولى السلطة العليا فيها ؟ ثم تطورت فيما بعد ، عندما قضى على فكرة الوحدة قضــاء مبرما ، الى صراع بين خلفائه للظفر بالسيطرة السياسية والاقتصادية . وكان بين القادة واحد لم يستهوه السعى وراء السلطة العليا ، هــــو بطلميوس (Ptolemaios) بن لاجوس (Lagos) أحد حرس الاسكندر الخاص السبعة ، الذى أدرك ان عصفوراً فى اليد خير من عشرة على الشجرة . وقد أفلح هذا القائد فى الظفر لنفسه بولاية مصر فى التسوية التى اعقبت موت الملك ، وقنع بتوطيد مركزه فى هذه الولاية بعد ان نجح فى إحباط المحاولات التى بذلت لخلعه منها . وإذا كان قد غادرها فى بعض الأحيان ليشترك فى الصراع الذى احتدم بين الخلفاء ، باذلا معونته للفريق الذى يتوقع له النصر ، فإنما كان يفعل ذلك دون أن يعرض نفسه لأخطار لا داعى لها . وكان الاسكندر قد أبدى رغبته فى أن يدفن بواحة سيوه ، وفى معبد أبيه آمون بالذات : لكن بطلميوس كان يعـــرف ان برديكاس (Perdiccas) ، وصى العرش ، يفكر فى أهداف أخرى ، فإذا به يسرع ويستولى على جثة الاسكندر ويرحل بها مباشرة الى ولايته ويدفنها ، لا فى الواحة ، وانما فى منف حيث بقيت حتى نقلها ابنه بعد ذلك الى مقبرته الشهيرة (Sêma) بالاسكندرية [٢] ، وكان ذلك تصرفا ينطـوى على الفطنة وبعد النظر . وإذا كان يومينيس (Eumenês) [٣] ـــ وهو الإغريقى الوحيد بين قادة الحرب الأهلية ـــ قد أحس بسوء مركزه بالنسبة لخصومه المقدونيين ، فرأى فائدته فى أن ينقل معه خيمة الإسكندر كتعويذة تجلب له الحظ ، مدعيا أن روح سيده لم تبرحها ، إذا كان يومينيس قد فعل

---

[١] تسمى هذه الحروب عادة باسم حروب الخلفاء (Diadochoi) وقد استغرقت وقتا طويلا واستنفدت من الولاة فى أرجاء الامبراطورية جهدا عظيما ، وقد بدأت فى ربيع عام ٣٢١ ق.م. واستمرت حوالى أربعين عاما .

[٢] كلمة sêma يونانية معناها علامة او علامة يستدل بها على المقبرة او المقبرة ذاتهــا .

[٣] شغل « يومينيس » منصب السكرتير الخاص لفيليب ملك مقدونيا ، ثم لابنه الاسكندر الاكبر (الثالث) من بعده ، وقد ظفر فى اتفاقية بابل ـ التى اعقبت وفاة الاسكندر لتوزيع الامبراطورية على القادة ـ بولاية كابادوكيا وبافلاجونيا وبنطوس بآسيا الصغرى .

ذلك ، ففى وسعنا أن ندرك مدى القلق الذى [illegible] على [illegible]
مقدونى الوثد [illegible] الاستيلاء على جثمان الاسكندر نفسه !

[illegible]
[illegible] [illegible]
السنة السابعة من حكم [illegible]
من عهد الوالى [illegible]
وغداة وفاة الا[illegible]
ارهيدايوس [illegible]
الذى [illegible] بعد ذلك [illegible]
إحدى [illegible]
[illegible]
[illegible] الذى [illegible]
[illegible] عام الذى [illegible]
[illegible] روكسانه وابنها الاسكندر [illegible]

---

(1) [illegible] M. Chrest. [illegible] — Hunt and Edgar, Select [illegible] vol I, No. 1.

[2] شهر ديوس (Dios) هو أول شهر من شهور السنة المقدونية ، [illegible]
فى أواخر القرن الثانى ق. م. [illegible] شهر [illegible]
وهذا الشهر [illegible]

[3] باكتريا [illegible] وجبال [illegible]
ايران [illegible] الرو[illegible]
باكترا ((Bactra)) [illegible] فى افغانستان [illegible] جيحون) .

وكانت روكسانه ابنة لأوكسيارتيس [illegible] امراء باكتريا [illegible]
قاوموا غزو الاسكندر لمنطقتهم مقاومة عنيفة ، وقد [illegible] فى النهاية ووقع
فى يد الاسكندر . وكانت روكسانه — فيما يروى [illegible] فتاة وقعت عليها [illegible]
فى آسيا ، ولعلها حركت عاطفة الحب فى [illegible] وعلى أى [illegible] فقد تزوجها [illegible]
ورافقته فى حملته الى البنجاب وعادت معه الى بابل .

وفى الحفل [illegible] الذى أقامه الاسكندر [illegible] الفرس) عام ٣٢٤ [illegible]
ودعا فيه [illegible] الى الزواج من ايرانيات [illegible] ستاتيرا (Stateira)
ابنة الملك دارا ، واثار ذلك غيرة روكسانة [illegible] منه . ولما مات الاسكندر
فى بابل فى شهر يونيو عام ٣٢٣ ق.م. كانت روكسانة حاملا منه فى شهرها [illegible]
تلبث ان وضعت بعد موته [illegible] باسم الاسكندر (الرابع) .

وهكذا لم يعد هناك ملك فوق العرش ، ومع ذلك ظل الحكام يسمون انفسهم ولاة حتى عام ٣٠٦ ق.م. عندما اعلن انتيجونوس (Antigonus) نفسه ملكا ، وكان لايزال يدعو للاحتفاظ بوحدة الامبراطورية . فلم يكن من منافسيه ، كاسندر فى مقدونيا وسليوكوس فى سوريا وبطلميوس فى مصر ، الا أن ردوا عليه باعلان انفسهم ملوكا فى ولاياتهم [١] . وهكذا ظهرت الممالك الثلاث الكبرى التى قدر لها ان تسيطر على العالم الهلينستى [٢] حتى أدمجت فى الامبراطورية الرومانية واحدة تلو أخرى.

سياسة التمييز بين الاغريق والمصريين :

ويبدو أن بطلميوس (Ptolemaeus) [٣] الذى غدا ملكا على مصر وفرعونا وإلها فى نظر رعاياه المصريين [٤] ، كان رجلا دمث الطبع ، طيب

---

[١] ظل بطلميوس يحمل لقب وال satrapês (باسم الحكومة المركزية) منذ وفاة الاسكندر عام ٣٢٣ ق.م. ثم اعلن نفسه ملكا (basileus) على مصر ابتداء من ٧ نوفمبر عام ٣٠٥ ق.م. راجع الآن :

Alan E. Samuel, **Ptolemaic Chronology** (Münch. Beitr. zur Papyrusforsch. 43. Heft) 1962, p. 168.

وفى راى آخر انه اعلن نفسه ملكا ابتداء من تاريخ يقع بين ٧ نوفمبر ٣٠٥ ، ٧ نوفمبر ٣٠٤ ق.م. ؛ انظر :

T. C. Skeat, **The Reigns of the Ptolemies** (**ibid**, Heft 39) 1954, p. 28 f.

[٢] يقصد بالعالم الهلينستى تلك البقاع التى تالفت منها امبراطورية الاسكندر الاكبر ، وهى مجرد تسمية اصطلاحية . وقد ازدهرت فى هذا العالم حضارة جديدة اصطلح على تسميتها بالحضارة الهلينيستيه ، وهى عبارة عن الحضارة الهلينية القديمة ممتزجة بعناصر الحضارة الشرقية ؛

انظر :

W.W. Tarn and G.T. Griffith, **Hellenistic Civilisation**, 3rd ed., (1952), pp. 1-2.

[٣] هذه هى الصورة اللاتينية لكتابة اسمه ، قارن ص ٤٢

[٤] كانت عقائد المصريين الدينية تحتم وجود ملك فرعون على عرش البلاد ، ذلك ان فرعون كان ملكا والها وابن اله فى وقت واحد ، حملت به امه من آمون ، ومن ثم أصبح ابنا لآمون ودخل فى زمرة الالهة ، وبهذه المثابة يحكم بين الناس بوصفه الها يمثل الحلقة التى تربط بين شعب الوادى وآلهة الكون العديدة ، وبدون فرعون تنفصم تلك الحلقة وبالتالى لا تكون هناك حياة . ففرعون اذن من وجهة نظر المصريين هو باعث الحياة وواهبها للبشر وبدونه لا يتصور المصرى القديم قيام الحياة . لذلك كان البطالمة ــ اعجبهم ذلك أم لم يعجبهم ــ مضطرين الى اتخاذ كافة صفات الفراعنة والتشبه بهم كى يكتسبوا الصفة

=

القلب ، وجنديا لا يعوزه الدهاء ، وصورة صادقة لأفراد الطبقة الثانية من النبلاء المقدونيين ، كما كان رجلا مثقفا شمل الآداب الاغريقية برعايته وقد وضع مؤلفا عن غزوات الاسكندر ، يعتبر برغم ضياعه من مصادرنا القيمة لأن كثيراً من المؤرخين الذين وصلتنا اعمالهم كانوا يعتمدون على هـذا المؤلف . واتبع بطلميوس فى مصر سياسـة تختلف عن سياسة سليوكوس (Seleucus) فى سوريا حيث حذا هذا الملك حذو الاسكندر فى تشييد المدن : ذلك أن بطلميوس برغـم اعتماده على الإغريق مثل سليوكوس تماما ، قد رأى اقامة جنده المرتزقة وسط عامة الشعب المصرى سواء أكان ذلك فى قرى الاقاليم أم فى عواصمها ، بدلا من إقامتهم فى مدن إغريقية الطراز . وكانوا يطلقون على هذه العواصم اسم متروپوليس (mêtropoleis) اى امهات المدن [بمعنى المراكز او البنادر أو العواصم] ، وهى غالبا بلدان متوسطة المساحة ، ولكنها حسب تصور الاغريق لم تكن فى الحقيقة اكثر من قرى مفخمة . وبرغم ان الاغريق قد اسموها مـدنا (poleis) مثل هرموپوليس (Hermoupolis) اى مدينة هرميس [الأشمونين] وهيراكليوپوليس (Heracleopolis) أى مدينة هيراكليس [اهناسيا] ــ إلا انها لم تتمتع بالحكم الذاتى ، ولم تكن بها جمعيـة شعبية ولا مجلس للشورى ، كما أنها كانت تخضع لسلطات مدير الاقليم . ولم يشيد بطلميوس سوى مدينة إغريقية واحدة سميت باسمه ، هى مدينة بطلمية Ptolemais [المنشاة قرب اخميم على الشاطىء الغربى للنيل بمحافظة سوهاج] فى مصر العليا . وكانت هذه المدينـة ، مـع الإسكندرية والمدينة الإغريقية القديمـة نقراطيس (Naucratis) [ومحلها الآن كوم جعيف مركز ايتاى البارود] فى غرب الدلتا هى التى تمثلت فيها وحـدها فكرة الاغريق التقليدية فى دولة المدينة المتمتعـة بالحكم الذاتى (polis) (١) .

=

الشرعية فى نظر المصريين ويستقيم لهم حكم البلاد . ومن هنا حملوا القاب الفراعنة الرسمية ونشطوا مثلهم فى بناء المعابد للالهة المصرية وصوروا انفسهم على جدرانها فى صـور الفراعنة ، وتوجوا على الطريقـة الفرعونية تتويجا رسميا فى معبـد الاله بتاح فى منف (Memphis) .

(١) انظر : V. Tscherikower, **Mizraim**, IV-V, 1937, pp. 43-45. حيث يبرهن على ان سياسة بطلميوس الثانى فى سوريا كانت مختلفة عن سياسته فى مصر تماما . وهو يحصى خمس مدن اغريقية أنشئت هناك فى عهده . لكن سياسة فيلادلفوس فى مصر كانت ــ كسياسة خلفائه ــ هى نفس السياسة التى وضعها أبوه . =

[illegible] الاول وخلفاءه تخلوا تماما عن السياسة التى [illegible] حيث المبدأ بين الإغريق (والمقدونيين من باب [illegible] بينما كان الاغريق سادة (Herrenvolk) [illegible] المصريون [illegible] ينتمون إلى جنس أدنى ، فابعدوا بناء على ذلك [illegible] الوظائف الإدارية الكبرى ، بل لقد قيل ايضا إن اختيار [illegible] عاصمة للبلاد بدلا من منف التى استقر بها ابن لاجوس أول [illegible] وإن نقل جثمان الاسكندر الى مقبرته فى الإسكندرية ، كلا [illegible] يعنى التخلى تماما عن اية فكرة كانت فى الأصل ترمى الى [illegible] المصريين شركاء متساويين مع الإغريق فى إدارة شئون البلاد (٢) .

[illegible] أن هذه الاقوال [illegible] فيما يحتمل إلى بعض التعديل ، وإذا كنا [illegible] بعض [illegible] وجد فى الوضع القانونى للطرفين فتمتعت [illegible] بامتيازات معينة ، وألقيت اعمال السخرة فى شق قنوات [illegible] كاهل الفلاحين المصريين وحدهم (وإن لم يكن

[illegible] ان البطالمة [illegible] فى انشاء المدن الاغريقية فى مصر لان وجود مثل هذه المدن المستقلة كان يتعارض مع سياسة الحكم الملكى المطلق التى اتبعوها فى وادى النيل لذلك اكتفوا بتأسيس مدينة واحدة هى بطلمية لكى تكون مركزا لنشر الثقافة الاغريقية ، ولتوطيد دعائم الهلينية فى الصعيد ، وهى جهة نائية عن الحكومة المركزية ، [illegible] احتفاظها بنقائها العنصرى عن طريق حظر الزواج بين مواطنيها الهلينيين وبين المصريين . وقامت فيها عبادة افريقية لبطلميوس الاول (سوتير) بعد موته بوصفه مؤسسا لها على نحو ما كان متبعا فى العالم الهلينى ، ونظمت لها هيئة كهنوتية وبذلك اتيح لها ان تنافس او تناهض نفوذ مدينة طيبة ، حصن كهنة آمون ، ومعقل القومية المصرية فى الجنوب]

[١] انظر عن هذا الموضوع ، وعن العلاقات بين الوطنيين والاغريق فى مصر ، ووضع كل من العنصرين : محمد عواد حسين « الوطنيون والاغريق فى مصر البطلمية » حوليات كلية الآداب بجامعة عين شمس ، المجلد الثالث (١٩٥٥) ص ١٣٥ — ١٨٠ . راجع أيضا :
W. Peremans, «Egyptiens et étrangers dans l'Egypte ptolemaïque», **Entretiens sur l'Antiquité Classique,** t. VIII (Grecs et Barbares) Genève 1962, pp. 121-155.

(٢) انظر : : Kornemann, «Die Satrapenpolitik des ersten Lagiden», in **Raccolta in onore di Giacomo Lumbroso,** pp. 235-45.
وقد اخذت انا بهذا الرأى فى مقالى :
«Alexandria», **J.E.A.,** XIII, 1927, p. 17[illegible]

ذلك مؤكدا) (١) ، وانتظم الاغريق وغيرهم من المستوطنين فى جماعات قومية أو جاليات (politeumata) لها قوانينها الخاصة [٢] اذا كنا لا نشك فى ذلك ، فنحن مع هذا نفتقر إلى الأدلة القاطعة على وجود هذا التمييز

---

(١) انظر : M. Rostovtzeff, **The Social and Economic History of the Hellenistic World,** I, p. 275.

حيث ترك باب الموضوع مفتوحا للمناقشة ، وليس من شك فى أن الاغـريق كانوا مكلفين باداء بعض الخدمات الالزامية (leitourgiai) .

[٢] عمد البطالمة الى تنظيم الاغريق والمتاغرقين والمصريين وفقا لأسس خاصة ، وذلك لاحكام الرقابة عليهم والاستفادة منهم . وقد حققوا ذلك بالطرق الآتية :

(أ) ادراج اعداد كبيرة من الاغـــريق فى عـــداد مواطنى المدن اليونانية فى مصر (الاسكندرية ـ بطلمية ـ نقراطيس) .

(ب) ضم الاغريق الآخرين الذين لم يتمتعوا بحق المواطنة فى اى من المدن المذكورة، ضمهم هم وبعض الفئات المتاغرقة ـ كتعويض عن حرمانهم من حياة المدينة السياسية ـ فى جماعات او جاليات حسب الجنسية الاصلية ، تسمى كل منها پوليتيوما (politeuma) فكانت هناك جماعة او جالية للكريتيين ، وأخرى للبويوتيين ، وثالثة للكيليكيين ، ورابعة للادوميين ، وجالية للمقدونيين ، وجالية لليهود ... الخ .

وكانت البوليتيوما رابطة او هيئة متمتعة بنوع من الاستقلال الذاتى ، ولها نظام خاص يغلب عليه الطابع العسكرى ، ولو أنها كانت تمارس ايضا أنواعا اخرى من النشاط الاجتماعى والدينى ، وتصدر القرارات التكريمية . و لاريب فى انها كانت تنشأ بارادة الملك وتخضع له خضوعا مباشرا . وفى اغلب الظن ان الدافع الى انشائها هو أن تضم جنود الجيش البطلمى فى وقت السلم حينما ينتشرون فى الريف ويستقرون فى اقطاعاتهم الزراعية ليسهل حصرهم واستدعاؤهم على وجه السرعة عند الحاجة .

وكانت كل جماعة او جالية مقصورة فى أول الامر على افراد ذوى قومية او جنسية بعينها ، لكنها فقدت هذه الصفة بمرور الزمن ، واصبحت الجماعة منذ منتصف القرن الثانى ق.م. تضم افرادا من جنسيات او قوميات اخرى .

(ج) تنظيم اغلبية المصريين والاجانب والبقية الباقية من الاغريق تنظيما دقيقـا حسب حرفهم ومهنهم . ولذلك كان يجرى حصرهم واحصاؤهم باستمرار تسهيلا لحصر امكانيات الدولة فى مجالات العمل المختلفة . وكانت أسماء المصريين على الاخص واماكـن اقامتهم وامكانياتهم مسجلة لدى رجال الادارة . ولم يكن لهم ترك مواطنهم (idia-origo) الا باذن من السلطات التى كانت تتولى نقلهم من مكان الى آخر فى الوقت الذى تراه حسب مقتضيات ظروف العمل ؛ راجع :

M. Launey, **Recherches sur les armées hellénistiques** II (Paris, 1950), pp. 1064-1094; C. Préaux, «Les Etrangers à l'époque hellénistique», **Recueil de la Société Jean Bodin IX** (Bruxelles, 1958), pp. 158-176.

العنصرى الصارخ الذى ينادى به أصحاب النظرية السابقة . والواقع ان البطالمة الاول ، برغم انهم اخذوا بقسط وافر جدا من الحضارة الهلينية لم يظهروا فى سياستهم الرسمية اى اهتمام بالنظريات الخيالية ، سواء أكان ذلك فى الناحية السياسية ام فى الناحية الاقتصادية ؛ كانوا حكاماً شديدى المراس ، ورجال اعمال يحرصون اشد الحرص على توفـــير الإستقرار والثراء والنفوذ فى العالم لهذه الدولة التى أقاموها . وكانت الاعتبارات العملية الخالصة هى الرائد الذى يوجه سياستهم . ولم يكن المصريون قد جندوا جيوشاً من الطراز الأول منذ انتهاء عهد امبراطوريتهم العظيمة فى خلال الألف الثانية ق.م. ولهذا فإن البطالمة ــ وقد انقطعت الصلة بينهم وبين وطنهم مقدونيا ، ذلك الوطن الذى امد الإسكندربعصب جيشـه ــ اضطروا الى ان يعتمدوا اعتماداً كبيراً على المرتزقة من الإغريق والمقدونيين والفرس والآسيويين المتاغرقين فى تأليف جيوشهم . وابتكر بطلميوس الاول سياسة إسكان اكبر أكبر عدد ممكن من هؤلاء المرتزقة فى مصر ، حيث منحهم انصبة او حصصا من الأرض الزراعية (klêroi) نظير قيامهم بالخدمة العسكرية عندما يطلب اليهم ذلك . ومن ناحية أخرى فان التوسع فى استعمال النقود بدلا من النظام الاقتصادى الطبيعى القديم القائم على المقايضة ــ وذلك أمر بدأ منذ العهد الفارسى ــ قد ادى بطبيعة الحال إلى الاستعانة برجال الإغريق . كما تطلب الأمر الاعتماد على علماء الاغريق وخبرائهم لتنفيذ مشروعات استصلاح الاراضى وللقيام بتجاوب علمية فى الميدان الزراعى . ولجأ البطالمة ايضاً إلى رجال الادارة الإغريق لإقامة هذا البناء البيروقراطى المحكم الذى ادار دفة الأعمال فى المملكة . واصبحت الكوينى (Koinê) [١] ، وهى صورة دولية للغة الاغريقيـــة اشتقت من الأتيكية وطغت حتى على اللهجة المقدونية ، اصبحت لغـــة البلاط والجيش والادارة . واتجهت أنظار ملوك الأسرة ، فيما وراء حدود مصر ، الى شرق البحر الأبيض المتوسط حيث كانوا يتطلعون الى القيام بالدور الرئيسى [٢] ؛ فمصر عندهم لم تكن سوى دعامة لقوتهم ، كانت

---

[١] وهى صفة بمعنى مشترك او عام ، توصف بها هنا كلمة لهجة (dialektos) المقدرة .

[٢] اختلف العلماء فى تفسير سياسة البطالمة الخارجية ، فذهب كورنمان (Kornemann) الى ان الاوائل كانوا يطمحون الى بسط سلطانهم على جميع ارجاء العالم شانهم فى ذلك =

بمثابة ضيعة تمدهم بالغلال وتفيض عليهم بالثراء ، وليس لدينا ما يدل على أن اى ملك بطلمى ـ باستثناء كليوپترة الأخيرة ـ قد حاول أن يتعلم اللغة المصرية .

وهكذا نجد للمصريين ، الذين رحبوا بالاسكندر كمنقذ ، بعض العذر اذا احسوا انهم فى ظل الحكم البطلمى كانوا يعاملون ـ من ناحية الواقع ان لم يكن من الناحية النظرية ـ معاملة الأدنياء المغلوبين على أمرهم . وازداد احساسهم هذا وضوحاً نتيجة لانعدام المساواة (بينهم وبين الاغريق) فى الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية . وقد تكونت فى مصر طبقة أرستقراطية وطنية قوامها بعض كبار رجال الدين وقلة من المدنيين الذين شغلوا بعض المناصب الهامة ، لكن اغلب المصريين كانوا ينتمون الى طبقة اجتماعية ادنى من طبقة المستوطنين الاغريق : كانوا هم اصحاب الحرف ومزارعى الأرض الملكية ، واذا منحوا انصبة أو اقطاعات او اقتنوا أراضى خاصة فان انصبتهم وملكياتهم الزراعية كانت عادة اقل مساحة من تلك التى فى يد الاغريق . لقد كانوا فى حقيقة الأمر ، وبصورة عامة ، مستأجرين وعمالا ، كانوا أداة التنفيذ بينما كان الاغريق اداة التوجيه . وليس من شك فى أن المصريين كانوا يشعرون بحطة مركزهم ، فقابل كثير منهم ما اعتبروه احتقاراً من جانب الإغريق بروح العداء الصامت وبرد فعل طبيعى تمثل فى الكبرياء القومى وفى ازدراء بدع المستعمرين (١) ولدينا

=

شأن الاسكندر الأكبر الذى استهدف بناء امبراطورية عالمية . أما ڤيلكن (Wilcken) فيقول ان مصر كانت فى نظر البطالمة مجرد وسيلة للحصول على الثروة اللازمة لتحقيق اهدافهم خارجها ، وهى القيام بالدور الاول فى سياسة البحر الابيض الدولية وتكوين امبراطورية فى حوضه . وأما روستفتزف (Rostovtzeff) فيرى أن مصر كانت فى نظر البطالمة هدفا فى ذاته ، اذ كانوا يريدون بناء دولة قوية غنية فى وادى النيل وعلى شواطىء البحرين الابيض والاحمر ، تستطيع ان تزود عن استقلالها ، ومن اجل هذا كانوا مضطرين الى السيطرة على الطرق البحرية المؤدية الى مصر ، والى الاستيلاء على ما يسمى ملحقات مصر الطبيعية ، فسياسة البطالمة الخارجية فى رأيه كانت سياسة استعمارية دفاعية وليست استعمارية هجومية كما يعتقد ڤيلكن .

(١) انظر : P. Col. Zen. 66 . وهذه البردية عبارة عن خطاب من شخص غير اغريقى يميل الناشرون الى القول بانه عربى ، ولكنه قد يكون مصريا . والخطاب بصرف النظر عن جنسية كاتبه يبين مدى الشعور بالنقص الذى عانى منه بعض المصريين والاسيويين

=

ادلة واضحة ــ تتمثل في بعض عبارات من ادب وطنى ونبوءات قومية ــ على وجود حزب قومى نشيط كان رجاله يحلمون باليوم الذى يطرد فيه الأجنبى البغيض من البلاد .

ويحتمل أن موقف معظم المصريين من النظام الجديد كان موقفاً سلبياً ، فقد تعلم كثير منهم الإغريقية ، وتسمى بأسماء إغريقية ، ولم يتوانوا عن الإفادة من الظروف الجديدة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا . وحتى فى القرن الثالث ق.م. نجد عددا من المصريين يشغلون بعض المراكز الهامة ، وإن لم تكن من المناصب الإدارية العليا . أما الكهنة وهم معقل التقاليد الوطنية ، والمعين الذى طالما أمد الثورات الشعبية بقادتها وزعمائها فقد وجدوا حكامهم الجدد اخف وطأة عليهم من حكامهم القدامى . ذلك لأن البطالمة ــ برغم ان أوائلهم لم يسمحوا بأى انتقاص من سلطاتهم[١] ــ قد أيدوا للكهنة امتيازاتهم ، وشيدوا معابد جديدة ، كما وسعوا وزخرفوا المعابد القديمة . وبفضل الرعاية الملكية قام مانيثون (Manethon)

=
بسبب جنسيتهم ، فكاتب الخطاب يقول : ((انهم يحتقروننى لاننى غير اغريقى ، ولهذا فانى اتوسل اليك أن تتفضل فتأمرهم باعطائى الاجر الذى استحقه » وبان يقوموا مستقبلا بدفع اجرى بانتظام حتى لا اموت جوعا لانى لا اتكلم الاغريقية (؟))) (ويترجم الناشرون كلمة (hellenizein) بعبارة اكون اغريقيا) . لكن على فرض ان الرجل نفسه هو الذى كتب هذه الرسالة الاغريقية ، وذلك أمر ليس هنالك ما يؤكده ، فان الكلمة قد تكون مجرد صيغة مبالغة لقولهم ((انى لا اجيد الاغريقية)) ، انظر :
Préaux, **Grecs en Egypte**, p. 69.

[١] فى الحق ان البطالمة الاوائل ادركوا ما للكهنة المصريين من قوة فتخوفوا منهم وحاولوا كسر شوكتهم واخضاعهم لسلطة التاج بمختلف الوسائل كتحويلهم الى مجرد موظفين يعتمدون على الدولة ويتقاضون منها رواتب معلومة فى أوقات معينة من السنة ، والتدخل فى ادارة ((الارض المقدسة)) والاستيلاء على ريعها ، وتعيين مشرفين على المعابد لمراقبة الكهنة ، وتحديد عدد المعابد التى تتمتع بحق حماية اللاجئين ((asulia) وفرض ضرائب سنوية على الكهنة . لكن البطالمة اضطروا الى تغيير هذه السياسة بعد انبعاث الروح القومية نتيجة لانتصار المصريين فى معركة رفح عام ٢١٧ ق.م ، فحاولوا التقرب الى الكهنة لاستخدامهم كاداة لارضاء عامة المصريين . ويتبين من وثيقة العفو الكبرى (philanthrôpa) التى اصدرها بطلميوس الثامن (يورجتيس الثانى) عام ١١٨ ق.م ان الكهنة المصريين استردوا معظم ان لم يكن كل ما سلبه منهم البطالمة الاوائل . انظر ص ٨٢ فيما يلى .

ـ وهو كاهن مصرى ـ بكتابة تاريخ لمصر باللغة الاغريقية ، جمعه من سجلات المعابد وأفواه الناس ، وقد فقد هذا التاريخ ولم تبق منه سوى شذرات تافهة ، ومع ذلك ظل ـ حتى فكت رموز الهيروغليفية ـ مصدرنا الرئيسى لتاريخ مصر المبكر ، لأن المؤرخين الذين جاءوا بعد مانيثون نقلوا عنه كثيراً . وقد قامت وسط الحروب القاسية التى استنزفت قوى الملكية فى القرنين الثانى والأول ق.م. عدة ثورات ذات طابع وطنى . وإذا كنا نسمع عن ثورات أهلية منذ القرن الثالث ق.م. إلا أنه لم يحدث فى أى وقت من الأوقات أن ثار المصريون جميعاً ثورة عامة ضد حكامهم المقدونيين . ففى هذه الثورات التى وصلتنا أنباؤها كان هنـــاك بين المصريين من يقف إلى جانب الحكومة ، ومن يقف إلى جانب الشعب . وحتى فى عام ١٣٠ ق.م. نجد مصريا يدعى پاوس (Paôs) يتولى قيادة القوات الملكية فى إقليم طيبة بوصفه مديراً لهذا الاقليم .

اما عن الاغريق فى مصر ، فقد اعتز المواطنون الذين عاشوا منهم فى الاسكندرية وبطلمية بتقاليدهم الهلينية ، ونظروا إلى المصريين نظرة احتقار باعتبارهم من المتبربرين ، لكن الذين استقروا فى سائر انحاء البلاد سرعان ماتخلوا عن عزلتهم التى يحتمل انهم تمسكوا بها اول الأمر ، فتصاهروا مع الوطنيين وتسموا بأسماء مصرية واندمجوا تدريجيا وبطرق شتى فى بيئتهم الجديدة . ولدينا رسالة من القرن الثانى ق.م. (١) تتحـدث فيها سيدة عن ابنها الذى أخذ يتعلم اللغة المصرية كوسيلة لتحسين مركزه المالى . والواقع ان الاندماج كان أوضح ما يكون فى الناحية الدينية : فقد اظهر الاغريق دواما تسامحهم الدينى واستعدادهم لعبادة الآلهة الأجنبية وسرعان ما بدأوا يشبهون الآلهة والآلهات المصرية بنظائرها الاغريقية حتى ليتحتم علينا ونحن نقرأ أسماء الآلهة الاغريقية فى الوثائق البردية أن نسائل أنفسنا عما اذا كان المقصــود معبودا أو معبودة مصرية . ومن المحتمل أن إغريق مصر قد انصرفوا عن عبادة الآلهة الاولمبية [٣] ـ على

---

(١) انظر : P. Lond. I, p. 48, No. 43.

[٢] منذ منتصف القرن الثانى ق.م لم يعد الاسم اليونانى فى الوثائق يدل على أن صاحبه من عنصر يونانى اطلاقا ، اذ يمكن ان يكون صاحبه مصريا أو سوريا أو يهوديا أو يونانيا أو من ابوين مختلفى الجنسية .

[٣] نسبة الى جبل اوليمبوس (Olympus) الذى يقع بين مقدونيا وتساليا . وكان الاغريق يعتقدون ان الآلهة وعلى راسهم كبيرهم زيوس كانت تسكن فوق قمة هذا الجبل . واشهر الآلهة الاولمبية ، بعد زيوس ، ابولون واثينا .

الاقل ـ الى العبادات المنزلية او عبادة الآلهة المصرية . وفى عام ٩٨ وعام ٩٥ ق.م. نجد مجموعة من شباب الاغريق (ephêboi) ، الذين يتعلمون وفقاً للتقاليد الهلينية ، يقدمون اهداءات للتمساح إله الفيوم [١] .

عبادة سرابيس ومحاولة التوفيق العنصرى :

وعلى عهد بطلميوس الاول ظهرت عبادة جديدة ، هى عبادة سرابيس (Sarapis) التى قيل ان الملك ابتدعها لتكون رابطة بين رعاياه الاغريق ورعاياه المصريين . وقد ثار جدل طويل حول أصل هذه العبادة ومصدرها . وكان ما ذكره المؤرخون القدامى من ان بطلميوس الاول(٢) احضر تمثال هذا الإله من سينوب (Sinopê) او غيرها من مدن آسيا ، سبباً فى إرجاع سرابيس الى اصل اسيوى . وكذلك ذهب بعض العلماء الى ان سرابيس ليس إلا صورة اخرى للاله البابلى شار آبسى (Shar-apsi) . لكن الابحاث المستفيضة التى قام بها ڤليكن (٢) حول هذا الموضوع لم تدع مجالا للشك فى ان الاله الجديد هو المعبود المصرى اوزيرس ابيس « اوسر حابى » فى صورة هلينية . وكان العجل أبيس (Apis) الذى عبد فى منف ، اشهر الحيوانات المقدسة التى عبدها المصريون ، يصبح بعد موته صورة مطابقة الى درجة غريبة لأوزيريس (Osiris) إله العالم الآخر ، وفى واقع الأمر

---

[١] ويعرف فى الافريقية باسم سوخوس Souchos ، راجع ما تقدم ص٢٠ هامش[٣]

(٢) يروى كليمينس السكندرى(Protrept. IV) ان تمثال الاله ـ كماذكر بعضهم ـ قد ارسل الى بطلميوس الثانى ، لكن لاشك ان بطلميوس الاول هو الذى ابتدع هذه العبادة .

[وقد وضع بطلميوس الاول تمثال سرابيس فى معبد كان الاسكندر الاكبر قد شيده للربة ايزيس . ولعل هذا المعبد قدعرف عندئذ باسم معبد ايزيس وسرابيس . وقد ثبت من الكشوف الاثرية فى الاسكندرية ان بطلميوس الثالث الملقب بيورجتيس (الخير) هو الذى شيد معبد سرابيس الكبير (Serapeum) مكان معبد ايزيس القديم ، وفيه وضع تمثال سرابيس الفخم ، راجع :

Alan Rowe, **Discovery of the Famous Temple and Enclosure of Serapis at Alexandria** (Ann. Serv. Ant. Eg. Suppl. Cahier No. 2). Le Caire, 1946.]

(٣) انظر : U.P.Z. 1, pp. 18-37

وعن سرابيس انظر ايضا :

C.E. Visser, **Götter und Kulte im Ptolemäischen Alexandrien,** pp. 20-3. [P. Jouguet. Les premiers Ptolemées et l'hellénisation de Sarapis, **Collection Latomus** II, pp. 159-166.]

يتحـــول الى « اوزيريس آپيس » ولم يكن أوسر آپيس (Osorapis) فى نظر ڤيلكن هو الصورة المجسدة للعجل ابيس ــ وحده ــ عقب موته ، إنما كان الصورة المجسدة لكل العجول بعد موتها من اقدمها حتى أحدثها. ولدينا ما يدل على ان هذا الإله قد عبد فى المنطقة المجاورة لمنف ، وأن الاغريق انفسهم اشتركوا فى هذه العبادة قبل ظهور سراپيس [١] . ويبدو أن كل ما قام به بطلميوس كان رفع هذا الإله المحلى إلى إله مركزى ، وتصويره طبقاً للعقائد الاغريقية (وربما كان ذلك بالاستعانة بتمثال من سينوب أو غيرها) فى صورة رجل مثالى الجمال فى عنفوان قوته على غرار الإله زيوس الاغريقى [٢] .

وهكذا نجد إلها مصريا تكتنفه هالة من الاسرار الغامضة ، التى اكتنفت الديانة المصرية منذ العصور القديمة حتى ذلك الوقت نجـده يصور فى شكل آدمى كرب الأرباب عند الأغريق ، فاية قبلة خير من هذه يمكن أن يتجه اليها الاغريق والمصريون معا ؟ لكن اذا كان ذلك حقا هــو هو هدف بطلميوس ، فقد فشل فى تحقيقه ، ولا جدال أن استعـداد الاغريق لقبول العبادات المصرية كان كافياً لجعل رابطة كهذه التى ارادها بطلميوس غير ضرورية .

وتركزت عبادة سراپيس فى منف والاسكندرية (٣) ، ولم يجتذب الإله الجديد إلا قليلا من المصريين خارج هذين المركزين ، ولم يكن وضعـه بأفضل من ذلك كثيرا فى نظر الغالبية العظمى من المستوطنين الاغريق . وليس أبلغ فى الدلالة على الصبغة المحلية التى اتسمت بها عبادة هذا الإله من أن ورود اسمه فى خطاب خاص يؤخذ دليلا على أن كاتبه كان من مواطنى

---

[١] انظر : U.P.Z. I, No. 1

والبردية عبارة عن التماس من سيدة اغريقية تدعى ارتميسيا (Artemisia) الى الاله اوسرابيس ، لينزل نقمته على زوجها الذى هجرها بعد ان انجبت منه طفلة ، وكان ذلك فى ايام الاسكندر الاكبر .

[٢] شبه الاغريق سرابيس بعدد من الهتهم مثل اسكليبيوس اله الشفاء ، وديونيسوس اله الخمر والبعث ، وهاديس (بلوتو) اله العالم الآخر ، وهيليوس اله الشمس والوحى ، وزيوس كبير الآلهة (سرابيس زيوس آمون) ، ولقبوه بسيد العالمين (Kosmokratôr)

(٣) على ان كثرة اقامة المآدب الدينية [klinai] تكريما لسرابيس فى اوكسيرنخوس (وفى غيرها دون شك) تدل على أن عبادته لم تكن وقفا على الاسكندرية باية حال .

الإسكندرية او على أن الخطاب كتب فى هذه المدينة[١] . أما خارج مصر ، فقد كانت لسرابيس قصة مختلفة ، وليس بمستبعد أن تكون قد أسأنا فهم هدف بطليموس من ابتداع الديانة الجديدة : ذلك أنه بصرف النظر عن عبادته التى تركزت فى الاسكندرية حيث كان سرابيس إلها مشتركا ، وقبلة يتجه اليها كافة الناس على اختلاف الوانهم وتباين اجناسهم ، ورابطة بين هذه المدينة الهلينية الجديدة وسائر انحاء مصر ، بصرف النظر عن هذا كله ، فلعل بطلميوس قد ابتدع هذا الإله وهو يستهدف اغراضا خارجية اكثر منها محلية ، ولعله قصد أن يصبح سرابيس راعياً للامتراطورية البطلمية يضفى عليها مزيدا من المهابة بانضمامه كإله مصرى إلى مجموعة الآلهة الدولية فى العالم الهلينى [٢] . ولئن صح ذلك فقد وفق بطلميوس فى تحقيق هذا الهدف . والواقع أن أعراض القلق الروحى التى سادت فى خلال القرون الأخيرة من حياة الوثنية قد بدات تتضح منذ القرن الثالث ق.م. وإذا كنا نميل الى اعتبار الفترة الكلاسيكية فترة مرح وعدم مبالاة،

---

[١] عبد سرابيس فى منف وفقا للطقوس المصرية ، بينما عبد فى الاسكندرية وفقا للطقوس الاغريقية .

وأما خارج هذين المركزين فان المصريين لم يروا فى سرابيس سوى الههم القديم اوزيريس ابيس الذى ظل بالنسبة لهم الها مصريا صميما فى شكله وصفاته وطقوسه . ونجد فى ابيدوس Abydos (العرابة المدفونة) — وهى مركز ثالث المعابد الكبيرة لسرابيس — اسم أوزيريس يرد فى الادعية الموجهة لهذا الاله باللغة المصرية ، بينما نجد اسم سرابيس فى الترجمة اليونانية لهذه الادعية .

وهذا دليل آخر على ان سرابيس لم يكن غير أوزيريس الذى كان العجل المقدس أبيس يتحد به بعد موته ويصبح صورة مطابقة له .

[٢] انظر أيضا للمؤلف المقالات والكتب التالية التى لا يصر فيها على وجهة نظره :
H. Idris Bell, «Popular Religion in Graeco-Roman Egypt: I. The Pagan Period», **Journ. Eg. Arch.** 34 (1948), 82-97 ; «Graeco-Egyptian Religion», **Museum Helveticum X,** fasc. 3/4 (1953), 228 ff. ; **Cults and Creeds in Graeco-Roman Egypt** (Liverpool, 1953), 20 ff. انظر ايضا المراجع المشار اليها فى ص ٥٢ هامش (٣) فيما تقدم

وعن أصل عبادة سرابيس ، راجع أيضا :
P. Jouguet, **Trois Etudes sur l'Hellénisme** (Le Caire, 1944), 120 ff.; H. C. Youtie, «The **Klinê** of Sarapis», **Harv. Theol. Rev.** 41 (1948), 9-29; E. Kiessling, «La Genèse du culte de Sarapis à Alexandrie», **Chron. d'Eg.** 24 (1949), 317-323.

فإن الاحساس بالخطيئة لم يكن مع ذلك معدوماً تماماً بأية حال من الاحوال ، لكن سقوط المدن الحرة ، وظهور مدن ضخمة كالاسكندرية وانطاكية ، وقيام دول استبدادية عسكرية كبيرة قد ادى الى ازدياد واضح فى هذا الاحساس ، صحبه تشوق شديد إلى دين جديد يخلص الناس من ادران الخطيئة ويعدهم بحياة أخرى راضية يعوضون فيها شقاء الحياة الدنيا . وتلبية لهذه الحاجة انتشرت بعض العبادات ذات الطقوس السرية فى بلاد اليونان [١] ، كعبادة ديميتير (Demeter) فى إليوسس (Eleusis) وعبادة ديونيسوس زاجريوس (Dionysus-Zagreus) غير ان الناس فى هذا العصر الجديد بداوا يتطلعون الى الشرق بحثا عن الخلاص الدينى ، وسرعان ما انتشرت عبادة سرابيس ، الذى شبه بالإله المصرى أوزيريس ، ومعه إيزيس (Isis) زوجة هذا الإله الأخير ، وابنها حورس او هربوكراتيس (Harpocrates) ، انتشرت هذه العبادة فى أرجاء حوض البحر الأبيض المتوسط حتى وصلت آخر الأمر الى بريطانيا النائية فى عهد الرومان [٢] . والواقع ان الوثنية قد خاضت آخر معاركها ضد المسيحية فى خلال القرنين الثالث والرابع تحت لواء الاله المصرى سرابيس وامثاله من الآلهة [الشرقية] كالأم الكبرى الفريجية [كوبيلى Cybêlê [وميثراس الفارسى (Mithras) .

---

[١] العبادات ذات الطقوس السرية ، هى عبادات من نوع خاص ازدهرت عندئذ فى بعض نواحى بلاد اليونان مثل اليوسس فى اتيكا ، وكان يتحتم توافر شروط خاصة فيمن يريدون اتباع هذه العبادات ، فاذا قبلوا فيها اطلعوا على أسرار طقوسها ، و لايجوز لهم ان يبوحوا بها لغيرهم .

[٢] عن انتشار عبادة سرابيس خارج مصر :

Th. A. Brady, **The Reception of the Egyptian Cults by the Greeks 330-30 B.C.** (= Univ. of Missouri Studies, vol. X, No. 1). Columbia, Missouri, 1935; S. Dow, «Egyptian Cults at Athens», **Harv. Theol. Rev.** 30 (1937), 183 ff. ; G. La Piana, «Foreign Groups in Rome during the First Centuries of the Empire», **Harv. Theol. Rev.** (1927), 183-403; P. M. Fraser, «Two Studies on the Cult of Sarapis in the Hellenistic World», **Opuscula Atheniensia** III (Lund, 1960), 1-54 ; A. F. El-Samman, **The Egyptian Cults in Greece** (in mod. Greek). Athens, 1965.

وعلى هذا النحو ، ونتيجة للفتوحات العسكرية التى قام بها الإسكندر استمرت من تلقاء نفسها تلك الوحدة التى كان يحلم بتحقيقها بين أوروبا وآسيا بما فيها مصر . لكن هذه الوحدة لم تقم على اساس المشاركة أو المساواة كما اراد الاسكندر ، اذ كانت العلاقة بين الطرفين علاقة غالب بمغلوب . وإذا كان الشرقيون أو كثير منهم قد تعلموا اللغة الإغريقية ولبسوا الزى الإغريقى ، واخذوا بقسط لا باس به من الثقافة الإغريقية ، فإن الاغريق من ناحيتهم قد اقتبسوا الكثير من بيئتهم الشرقية ولا سيما فى الناحية الدينية . وينطبق هذا بوجه خاص على مصر حيث عاش معظم الاغريق المستوطنون لا فى مدن مستقلة منعزلة متمتعة بالحكم الذاتى بل مبعثرين بين الاهالى المصريين فى بلد يتمسك بطابعه الخاص تمسكا شديدا . وهكذا نبتت حضارة مختلطة امتزجت فيها العناصر الشرقية بالعناصر الاغريقية امتزاجاً معقدا . وكانت هذه الحضارة بمثابة التربة الخصيبة التى لابد منها لظهور المسيحية وانتشارها (١) غير ان الامتزاج لم يكن مستقرا راسخا ، فالحضارة الهلينية التى كانت لا تفتا تنهكها المؤثرات الشرقية ، لم تكن تستطيع ان تحتفظ بمقوماتها إلا اذا رعتها الحكومات رعاية فعالة ، والواقع انها لم تكن اكثر من قشرة رقيقة تكسو حضارة موغلة فى القدم تختلف عنها اختلافا جوهريا . وكانت هذه القشرة أرق ما تكون فى إقليم طيبة ، ابعد أقاليم مصر عن الإسكندرية وعالم البحر الأبيض المتوسط ، حيث كان نفوذ رجال الدين أقوى ما يكون ، وحيث كان عدد الإغريق المستوطنين ، فيما يحتمل ، اقل ما يكون (واقول فيما يحتمل لتعذر الكلام عن يقين) .

النظم الادارية والقضائية :

ولننتقل الآن الى الحديث عن نظم مصر البطلمية ، وذلك بطبيعة

---

(١) يجد القارىء بحثا ممتازا عن التاثيرات المصرية على الثقافة الهلينستية فى مصر فى المقال التالى :

C. Préaux, «Les Egyptiens dans la Civilisation Hellénistique d'Egypte», **Chronique d'Egypte,** XVII, 35 (1943), pp. 148-60.

وتؤكد الكاتبة فى مقالها هذا اهمية المعابد كمراكز رئيسية لاستعمال الكتابة القومية ومعاقل لحضارة صافية لم تمس .

الحال فى إيجاز شديد . تكاد معلوماتنا عن هذه النظم تنحصر فيما نمدنا به النصوص البردية وما يماثلها من الوثائق الاخرى . وإذا كانت البرديات التى ترجع إلى عهد بطلميوس الأول قليلة جدا ، تكاد لاتمدنا بشيء يذكر عن موضوع النظم ، فإننا نجدها فى عهد خليفته كثيرة وقيمة ؛ وإذن فإن اى وصف لمصر فى القرن الثالث ق.م. ينبغى أن يقوم أولا وقبل كل شيء على معلومات ترجع إلى عهد بطلميوس الثانى فيلادلفوس وليس قبل ذلك ومع هذا فليس ثمة مايدعو إلى الشك فى انه كان يتبع السياسة التى رسمها ابوه ، وفضلا عن ذلك فإن وثائقنا تاتينا بوجه خاص من الفيوم ، وهو إقليم لا يعتبر من وجـــوه كثيرة نموذجا لغيره من أقاليم مصر . ومعلوماتنا عن إقليم طيبة فى القرن الثالث قليلة ، واقل منها معلوماتنا عن الدلتا . اما تاريخ مصر على أيام البطالمة الاواخر فان وثائقه ليست على وتيرة واحدة ، فبينما نجدها وافية بالنسبة لبعض الأقاليم وخلال بعض الفترات ، نجدها قاصرة تماما بالنسبة لبعض الاقاليم الاخرى . على اننا نستطيع برغم ذلك أن نرسم صورة متسقة مترابطة ــ وان كانت غير كاملة ــ للنظام الذى كان قائما فى عهد بطلميوس الثانى ، وان نستعرض ما طرأ على هذا النظام من تطور استعراضا جزئيا .

وحتى إذا صرفنا النظر تماما عن الممتلكات الأجنبية ، برقة وقبرص وسوريا والمدن الإغريقية فى آسيا الصغرى أو فى الجزر ، وهى الممتلكات التى كان لها ابعد الأثر فى سياسة البطالمة خلال القرن الثالث ق.م. ، فاننا برغم ذلك لا نستطيع ان نقول ان مصر كانت دولة قومية موحدة . لقد كانت اقرب ما تكون إلى دولة تتألف من عدد من العناصر المتباينة وتخضع لحكومة بيروقراطية مطلقة ، فالاسكندرية ونقراطيس وبطلمية كانت من الناحية النظرية مدنا متمتعة بالأستقلال الذاتى على غرار دول المدن الإغريقية ، لكنها فى الواقع كانت تخضع للسيطرة الملكية خضوعا فعليا ، ومع هذا فقد كانت لها قوانينها الخاصة التى تحرم الزواج من المصريين ، كما كانت تتمتع بكافة مقومات الحكم الذاتى . وكان الإغريق وغيرهم من الأجانب الذين استقروا خارج هذه المدن يعيشون ــ كمــا ذكرت ــ فى جاليات (politeumata) لها بعض النظم والقوانين الخاصة وان لم تتحقق تماما من طبيعتها . وأخيرا كان هناك المصريون ، وقد اخذت الطبقات العليا منهم تزداد اصطباغا بالحضارة الهلينية وميلا للاختلاط بالإغريق ، بينما احتفظ الفلاحون بجميـــع تقاليدهم واساليب حياتهم

القديمة متمسكين بلغتهم الوطنية ومحررين عقودهم القانونية باللغـــة الديموطيقية ، وهى آخر صور الكتابة المصرية [١] .

وكانت المراسيم والأوامر التى يصـــدرها الملك تنســـخ قوانين المدن الإغريقية وقراراتها ، كما تنســـخ قوانين وقرارات الجاليات ، والقـــانون المدنى القديم الذى ظل معمولا به بين المصريين (٢) . وكانت محاكم القضـاة الإغريق المتنقلة (chrêmatistai) تفصـــل فى قضايا الإغريق المقيمين خارج المدن الإغريقيـــة الثـــلاث ، كما كانت محاكم القضـــاة الوطنيين (laokritai) تفصل فى قضايا المصريين [كلمة laoi تقابل فى معناها كلمة الوطنيين] . وأما القضايا المدنية التى تنشأ بين الاغريق والمصريين فقـــد شكلت لها فى خـــلال القـــرن الثـــالث ق.م. محكمـــة مختلطـــة (koinodikion) الغيت فيما بعـــد . ولدينـــا مرسوم ملكى صادر فى عام ١١٨ ق.م.(٣) ينص على عرض القضـــــايا التى تنشـــأ بين الإغريق والمصريين ، حول العقود المكتوبة باللغة الإغريقية ، أمام المحاكم الإغريقية ، أما القضايا التى تنشأ حول عقود محررة بالديمقراطية فتنظر أمام محاكم القضاة الوطنيين . وإلى جانب هذه المحاكم المختلفة ، كان مختلف الموظفين الاداريين يقومون بالفصل فى القضايا ذات الطابع الخاص ، كتلك التى تتأثر بها الاحتكارات الملكية . وكانت هذه العناصر المتباينة تشترك جميعا فى الخضوع لإرادة الملك الذى كان مصدر القوانين ، وصـــاحب السلطان

---

[١] ينبغى الا يغيب عن البال أن اللغة المصرية القديمة كانت لغة السواد الاعظم من الفلاحين المصريين الذين تفشت بينهم الأمية . وكانت هناك ثلاث صور لكتابتها : الهيروغليفية ، والهيراطيقية ، والديموطيقية . والأخيرة هى آخر صورة لها وكانت تدون بها الرسائل ومختلف انواع العقود ، وبعض النصوص الادبية والقانونية والسحـــرية ، فضلا عن عدد من النقوش .

(٢) فى عام ١٩٣٨ — ١٩٣٩ اكتشف المنقبون فى أطلال هرموبوليس القديمة وثيقة ديموطيقية هامة تتضمن جزءا من القانون المصرى ، ويجد القارىء موجزا عنها فى المقال التالى :

G. Mattha, «A Preliminary Report on the Legal Code of Hermopolis West», **Bull. de l'Inst. d'Egypte,** XXIII, 1941, pp. 297-312.

(٣) انظر : P. Tebt, I, 5, 207-220.

وعن الأوامر والمراسيم الملكية فى عهد البطالمة (prostogmata) ، انظر الآن :
M.-Th. Lenger, **Corpus des Ordonnances des Ptolemées** (C. Ord. Ptol.). Bruxelles, 1964.

الإدارى الأعلى ؛ فقد كانت مصر ضيعة الملك ، وكبار موظفيها الإداريين يؤلفون بطانته الخاصة ، وذلك معنى نلمسه واضحاً حتى فى اللقب الذى كان يحمله وزير المالية ، اهم موظفى الدولة ، وهو لقب (dioikêtês) الذى يعنى حرفيا «مدير الضيعة ومدبر شئونها» وكانت مصر تنقسم من اقدم الأزمنة الى اقاليم أو مديريات (nomoi) [١] ، يدير كلا منها نومارك (nomarchês) . وعلى ايام البطالة اخذت اختصاصات النومارك تتضاءل حتى غدا آخر الأمر مجرد موظف مالى صغير ، بينما أصبح الاستراتيجوس (stratêgos) — اى القائد — الذى كان فى اول الأمر إغريقيا دائما ، والذى عين فى الأصل لقيادة القوات العسكرية فى الاقليم ، اصبح صاحب الاختصاصات المالية والمدنية ، ثم صار فى النهاية المدير الفعلى للاقليم ، ويليه « الكاتب الملكى » (basilikos grammateus) الذى ينوب عنه فى غيبته ، ثم يأتى بعد ذلك كتبة المراكز ، ثم كتبة القرى [٢] .

نظام الاراضى والزراعة :

وكانت الأراضى الزراعية أقيم ما فى هذه الضيعة الكبيرة ، وهى أرض ذات خصوبة منقطعة النظير عندما تروى رياً سليما وتجدد تربتها كل عام بالغرين الذى يتخلف فوقها من فيضان النيل . وكان الملك ، من الناحية النظرية ، هو المالك الوحيد لهذه الأرض ، والواقع أن جزءا كبيرا من أجود الاراضى كان يظل تحت سيطرته الفعلية ، وتلك كانت « الارض الملكية » (gê basilikê) التى تؤجر لفلاحين يعرفون باسم « المزارعين الملكيين » (basilikoi georgoi) [٣] . وكانت عقود الايجار اختيارية ، لكن فيما بعد ، عندما اصبح العثور على المستأجرين عسيراً ، لجأ البطالمة إلى الإكراه فى بعض الأحيان . كذلك كان مزارعو الملك رجالا احراراً ، لا عبيداً للأرض ، غير أن حريتهم هذه كانت تخضع لبعض القيود ، فهم لا يستطيعون ترك أراضيهم فى خلال موسم العمل الزراعى ، كما نسمع

---

[١] وهى تقابل « المحافظات » فى الوقت الحالى .

[٢] راجع :
E. Van, T. Dack et T. Reekmans, «Recherches sur les institutions de village en Egypte ptolémaïque», **Studia Hellenistica** 7 (1951), pp. 5-38.

[٣] اى « مستاجرى الاراضى الملكية » .

عن نقــل مزارعى الأرض الملكيــة الى أماكن اخرى لاستصــلاح اراض جديدة . هذا وكان من حق الدولة أن تلغى عقود الإيجــار فى اى وقت تشاء ، وان تنقل الأرض الى مستأجر آخر يقوم عرضا أعلى ، ونظير ذلك تمتــع المســتاجرون ببعض الامتيــازات ، وبقســط معين من الرعاية الحكومية [١] .

وبرغم ان الملك كان نظريا المالك الوحيد للارض ، فانه لم يستحوز عليها بمفرده ، وفى وسعنا أن نتبين صورة من صور الامتلاك الخاص حتى فى ايام البطالمة الاول ، ثم تزداد هذه الصورة وضوحاً فى أواخر عهــد البطالمة . كانت الأرض التى لا تخضع لسيطرة الملكوادارته المباشرة تسمى (gê en aphesei) اى الأرض التى يتخلى عن ادارتها لغيره [٢] . ومن هذا النوع الضياع التى كانت دائما فى حوزة المعابد ، فهذه برغم ان البطالمة تولوا إدارتها ، كانت تستغل لصالح المعابد ، وتكون قسما خاصاً يسمى « بالأرض المقدسة » (gê hiera) . ثم كانت هناك أرض أخرى تمنح ــ كما ذكرنا آنفا ــ فى صورة حصص او إقطاعات (klêroi) للجنود المقيمين فى مصر الذين عرفوا باسم أرباب الإقطاعات (klêrouchoi) ، وبفضــل هذا النظام حقق البطالمة هدفين : ذلك انهم وقد اشترطوا للحصول على الإقطاع أن ينتظم صاحبه فى سلك الخدمة العسكرية ، ضمنوا لأنفســهم مدداً من الجند المدربين الذين ارتبطت مصالحهم بالبلاد ، ومن ثم يقــل احتمال انتقالهم للعمل فى خدمة سيد آخر كما يفعل مرتزقة الأســواق

---

[١] فلم يكن من الجائز ــ مثلا ــ ان يساق افراد هذه الطبقة الى المحاكم أو ان يستدعوا لأداء الشهادة مما قد يعطل الاعمال الزراعية وبخاصة فى موسم الزراعة فى أوقات بذر البذور وجنى المحاصيل ، وذلك خشية ان تضار الخزانة الملكية بسبب تعطيل الاعمال الزراعية .

[٢] انظر الآن :

J. Herrmann, «Zum Begriff **gê en aphesei**», **Chron. d'Eg.** 30 (1955), 95-106.

حيث اثبت ان هذا النوع من الارض انما هو إصطلاح يطلق على مساحات من انواع مختلفة من الارض (سواء أرض المعابد او الاقطاعات أو الامتلاك الخاص) . ويعنى ان زراعة الارض وما تغله من محصول خاضع لارادة الملك ، ولا يجوز لصاحب الارض أو مستغلها ان يتصرف فى المحصول الا بعد أن تاخذ الدولة نصيبها ، ويكون الباقى من المحصول بعد ذلك بمثابة الشيء المتخلى عنه سماحا (en aphesei) لصاحب الارض او مستغلها . اى ان هذا الاصطلاح ينصب على محصول الارض ، وليس على الأرض ذاتها .

الحرة . ومن ناحية اخرى ضمنوا ازدياد رقعة المساحات المنزرعة ازدياداً كبيرا . صحيح انهم خصصوا اراضى صالحة للزراعة لهذا الفرض ، ولعلهم اتبعوا فعلاً هذه القاعدة فى أول الامر (١) . لكنهم كثيرا ما منحوا الاقطاعات فى اراض غير جيدة أو مهجورة ثم تزايد هذا الاتجاه بمضى الزمن ، وكانوا يشترطون على اربابها استصلاحها وزراعتها ، ومع ذلك فان هذا الاستصلاح لم يكن يتم دائما — أو غالبا — على يد ارباب الاقطاعات انفسهم . وكانت الانصبة أو الاقطاعات تمنح مدى الحياة فقط ، لكن ازاء احتياج الملك لمدد لاينقطع من الجند القيمين تحت امرته فى البلاد ، جرت العادة على ان يؤول الاقطاع الى أكبر الابناء عقب وفاة الاب ، بل اننا نجد اقطاعات ممنوحة بصفة أبدية (٢) . وهكذا أصبحت الاقطاعات مع الوقت وراثية واكتسبت مظهر الامتلاك الخاص ، لكن لا يحتمل — من الناحية النظرية — انها اصبحت فى اى وقت من الأوقات خلال الحكم البطلمى ملكا خالصاً لأربابها ، وإن لم يمنعهم ذلك من التحايل للتصرف فيها [٣] .

وربما كانت « الضياع الكبيرة » (dôreai) التى منحت لكبار الموظفين والمقربين للملك قد خضعت هى الأخرى لشرط استصلاح الأجزاء البور منها ، ومثل هذه الضياع كانت تمنح لصاحبها مدى حياته فقط ثم يستردها التاج عقب وفاته . وغالباً ما كان يفرض على أصحاب المنازل

---

(١) هكذا يرى : E. Kiessling, «Streiflichter zur Katoekenfrage», **Actes du Vème Congrès International de Papyrologie,** 1938, 213-29 (see pp. 215 ff.).

(٢) انظر :
K. Sethe — J. Partsch, **Demotische Urkunden zum aegyptischen Buergschaftsrecht** (Abh. der Phil.-Hist. Klasse der Saechs. Akad. der Wiss. XXXII, 1920) No. 7, p. 129.

وهذه الوثيقة مؤرخة فى عام ٢٠٢ ق.م.

[٣] انظر : محمد عواد حسين « الاقطاعات العسكرية فى مصر البطلمية » المجلة التاريخية المصرية ، العدد الثانى من المجلد الثانى ، اكتوبر ١٩٤٩ ، ص ٣ وما بعدها .
راجع ايضا :
Fritz Uebel, **Die Kleruchen im ptolemäischen Aegypten bis um die Mitte des 2. Jahrh. v. Chr.** (Diss. Jena 1959).

القائمة حول الاقطاعات إيواء الجند فى منازلهم ، وكانت المساكن فى هذه الخالة تسمى (stathmoi) [١] .

واخيراً نسمع عما يسمى « بأرض الامتلاك الخاص » (gê idioktêtos) وهى تتالف عادة من البساتين ومزارع الخضروات والنخيل والكروم ، وكانت هذه تزرع كلها فى أرض تتطلب قسطاً من الإصلاح ، ولكنها لا تلائم زراعة القمح والفلال ، واغلب الظن أنها كانت تمنح لأصحابها بموجب عقود إيجار طويلة الأجل ، أو عقود وراثية . وبرغم ان القانون كان يسمح بانتقال ملكية هذه الأرض من شخص إلى آخر ، إلا اننا لا نرجح مع هذا أن اصحابها قد امتلكوها امتلاكا فعليا فى اية فترة خلال عهد البطالة . والحق كما قال الدكتور تارن (٢) ان الأرض الخاصة فى عهد البطالمة لم تكن ملكية حرة ، إنما كانت أرضا يتمتع حائزها بحق الانتفاع بها (الارتفاق) .

وعلى هذا النحو اضاف البطالمة مساحات شاسعة للأرض المنزرعة فى مصر . وتتصل معلوماتنا فى هذا الصدد بالفيوم أو اقليم أرسينوى (Arsinoïtês nomos) على أيام بطلميوس الثانى وبطلميوس الثالث ، ونستمد أغلبها من برديات پيترى (P. Petrie) التى تتضمن وثائق كليون (Cleôn) مدير المشروعات الكبرى التى قام بها بطلميوس [الثانى] فيلادلفوس (Philadelphus) لاستصلاح الأراضى الزراعية ، وكذلك من سجلات زينون (Zenôn) بن اجريوفون (Agreophôn) الذى كان يشغل حوالى نفس الوقت مركز وكيل أعمال وزير المالية ابولونيوس

---

[١] فرض فيلادلفوس على كل من يمتلك منزلا فى المناطق المحيطة بالاقطاعات العسكرية أن يتنازل عن نصفه لسكنى ارباب الاقطاعات الاغريق ، وقد كان ذلك مثار شكوى ومنازعات عديدة بين اصحاب المنازل وارباب الاقطاعات . واراد يورجتيس الثانى ان يخفف هذا العبء قليلا فضمن قرار عفوه الصادر فى ١١٨ ق.م. مادة تقضى باعفاء من يعملون فى خدمة الموارد الملكية ، وكذلك الاغريق الذين يعملون فى الجيش والكهنة ، من اسكان ارباب الاقطاعات ما دام الشخص لا يتملك اكثر من منزل واحد ، اما مازاد على ذلك فيتنازل عن نصفه ، انظر : P. Tebt, 5, lines 168-77

(٢) انظر :
W. W. Tarn, **Hellenistic Civilisation**, 2nd ed., 1930, p. 164.

(Apollonius) فى ضـــيعته التى كانت تضـــم عشرة آلاف أرورا (aroura) [١] فى فيلادلفيا (Philadelphia) (٢) [ومحلها الآن خـرابة جرزه فى شمال شرق محافظة الفيوم] وقد استخدمت امكانيات الهندسة الإغريقية جميعها للقيام بأعمال الرى والاصلاح فى أراضى هذا الإقليم . وبفضل اتباع الأساليب العلمية فى الزراعة أمكن زراعة بعض الأراضى بثلاثة محاصيل فى العام الواحد (وقد أمدتنا الصـــدفة بمذكرة لبعض الفلاحين يقولون فيها : « ان هناك كثيرا من الاخطاء التى ترتكب فى استغلال عشرة الآلاف أرورا ، لأن القائمين بالعمل فيها تنقصهم الخبرة ، فليستدع أولو الأمر عددا منا ، وليستمعوا الى ما نقول . » (٣) وإن هذه المذكرة لتوحى بأن النزاع بين الفلاحين الذين يعتمدون على خبرتهم ، وزملائهم الذين يتبعون الأساليب العلمية ليس بالأمر الجديد) .

---

[١] الارورا هى وحدة القياس فى الاراضى الزراعية وتساوى ٢٧٥٦ مترا مربعا .

(٢) عن زينون وبردياته انظر الابحاث الآتية بوجه خاص :

M. Rostovtzeff, **A Large Estate in Egypt in the Third Century B.C.** (University of Wiscossin Studies, No. 6), Madison, 1922; H. I. Bell, «A Greek Adventurer in Egypt», **Edinburgh Review,** CCXLIII, 1926, pp. 123-38 (والمقال نقد للكتاب السابق) ; C. C. Edgar's Introduction to P. Mich. I; V. Tscherikower, «Palestine under the Ptolemies» (A Contribution to the Study of the Zenon Papyri) ; **Mizraim,** IV-V, 1937, pp. 9-90 ; Claire Préaux, **Les Grecs en Egypte d'après les archives de Zénon,** Brussels, 1947.

[وانظر أيضا :

Anna Swiderek, «La société indigène en Egypte au IIIe siècle avant notre ère d'après les archives de Zenon», **Journal of Juristic Papyrology** VII (1954), 231-284 ; **Ead.** «La Société grecque en Egypte au IIIe siècle av. N.E. d'après les archives de Zenon», **ibid.** IX-X (1956), 365-400 ; **Ead.** «Zenon fils d'Agréophon de Caunos et sa famille», **Symbolae Raphaeli Tanbenschlag Dedicatae** II (1956), 133-141.

كذلك كان لأبولونيوس ضيعة أصغر فى اقليم منف ، انظر :

Ewa Wipszycka, "The dôrea of Apollonius the Dioikêtês in the Memhite Nome", **Klio** 39 (1961), 153-190.]

(٣) يوجد ذلك فى احدى برديات زينون المودعة فى المتحف البريطانى ولم تنشر بعد .

وتنوعت المحاصيل الزراعية فى مصر تنوعاً كبيراً بفضل إدخال أنواع جديدة منها ، كما زرعت المحاصيل القديمة على نطاق واسع . وقد غرست الكروم فى بعض انحاء مصر على أيام الفراعنة ، لكن الشراب القومى كان الجعة المصنوعة من الشعير . اما الإغريق فكانوا يشربون النبيذ ، ولهذا نشط البطالمة فى تشجيع زراعة الكروم فى الأراضى قليلة الخصوبة ، وحمت الحكومة مصالح زارعى الكروم بفرض مكوس باهظة على النبيذ المستورد. كذلك تقدمت زراعة الزيتون ؛ وإذا كان الزيتون قد زرع فى مصر على أيام الفراعنة كما غرس الكرم ، الا أن الغرض الاساسى من زراعته كان غذائيا ، فلما استقر الإغريق فى البلاد ، وكانت للزيتون عندهم اهمية حيوية ، انتشرت زراعته انتشارا واسعا ، ونشطت صناعة زيت الزيتون (ويعتقد استرابون Strabôn انه كان من نوع غير جيد) ، ولحماية إنتاجه فرضت الحكومة مكوساً باهظة على زيت الزيتون المستورد . واستنبطت فصائل جديدة من القمح ، كما ادخلت زراعة الثوم واصناف متنوعة وجيدة من الكرنب . وزرعت انواع متباينة من أشجار الفاكهة ، كما غرست الورود وغيرها من الأزهار على نطاق واسع لأن الإغريق كانوا يستعملونها فى صناعة الأكاليل التى يلبسونها فى المآدب والحفلات . واستوردت الحكومة سلالات جديدة من الحيوانات ولا سيما الأغنام التى تنتج اصوافا اجود من الأصواف المحلية ، وكان القصد من ذلك تحسين السلالات المحلية . ويبدو أن الجمل قد بدا يتأقلم فى مصر حينئذ للمرة الاولى على نحو فعال (١) . كما انتشرت تربية النحل ، وزاد الاهتمام بتربية الخنازير (ليستهلكها الإغريق ورجال البلاط الملكى لأن المصريين كانوا يعتبرون الخنزير حيواناً نجساً) . أما الأخشاب فقد كانت مصر فقيرة فيها دائماً ، ولم يغفل البطالمة علاج هذا النقص ايضاً ، ولهذا نرى أپولونيوس يكتب لزينون — وكيل اعماله — قائلا : « ازرع — بقدر المستطاع — ما لا يقل بحال عن ثلاثمائة شجرة من اشجار الشربين فى الحديقة كلها ، وحول مزارع الكروم والزيتون ، فهى شجرة جميلة المنظر، وفيها فائدة للملك (٢) .

---

(١) انظر : Athenaeus V. 200 f — 201.

(٢) انظر : P. Cairo Zen. 5915-7.

النظام الاقتصادى :

ولم يقتصر نشاط البطالمة على الميدان الزراعى ، وإنما وضعوا نظاماً اقتصاديا نقديا متكاملا فى بلد كان أساس المعاملة فيه ينهض على نظام المقايضة : فقد سك بطلميوس الأول عملية ذهبية وفضية وبرونزية ، وفيما بعد أدخلت على هذه العملة تعديلات كثيرة ولا تدعو الحاجة للدخول فى تفاصيلها هنا . وكانت النسب بين العملة الذهبية والفضية ، وبين هذه الأخيرة والعملة البرونزية ، تتغير من وقت لآخر . وانتشرت المصارف فى انحاء البلاد ، ونستطيع أن نتبين من وثائقنا وجود نظام مصرفى متكامل (١) ، لكن هذا لا يعنى أن النظام الاقتصادى الطبيعى القديم قد اختفى تماما ، لان ايجارات الارض الملكية ، وبعض المرتبات ، كانت تدفع عينا . كذلك لم تختف المقايضة من الحياة التجارية . وكانت المخازن الحكومية التى تجمع فيها الغلال (thêsauroi) تعتبر بمثابة مصارف للحسابات الفردية ، شأنها فى ذلك شأن المصارف المالية حيث كانت تدفع الضرائب النقدية .

وكانت الضرائب النقدية والعينية تدفع فى عهد الرومان — وإن لم يكن ذلك مؤكدا بالنسبة للبطالمة — بمجرد التحويل من حساب إلى آخر فى دفاتر المصرف أو مخزن الغلال (thêsauros) ، وكان ذلك يحدث حتى حين تتصل عملية الدفع بأكثر من مصرف واحد ، وقد عثرنا بين الوثائق البردية التى ترجع إلى هذا العصر على أوراق يمكن أن تقارن بالصكوك (الشيكات) التى نعرفها فى ايامنا هذه .

وكان هناك نظام احتكار حكومى واسع المدى ، اقتضت سياسة البطالمة العملية الواقعية البحتة تنويعه بحيث يتفق فى حالاته المختلفة مع احتياجات الدولة المتباينة . وكانت الأعمال المصرفية من بين هذه الاحتكارات الحكومية ، فوجدت المصارف الملكية (trapezai) التى كانت تقوم بالأعمال الفردية والحكومية على السواء ، كما وجدت

---

(١) عن المصارف (البنوك) فى مصر انظر :

F. Preisigke, **Girowesen im Griechischen Aegypten,** Strassburg, 1910 ; J. Desvernos, «Banques et Banquiers dans l'Egypte Ancienne», **Bull. Soc. Roy. d'Arch. d'Alexandrie,** No. 23, 1928, pp. 303 ff.

الى جوارها ـ فيما يبـدو ـ مصارف اهليـة كانت الحكومة تؤجرها للأفراد (١) .

اما الاحتكار الذى نعرف عنه أكثر المعلومات ، فكان احتكار الزيت . وقد أمدتنا الوثائق البردية التى نشرها جرنفل باسم « قوانين الدخل لبطلميوس فيلادلفوس (nomoi telônikoi) [٢] بمعلومات وفيرة عن هذا الاحتكار . وكانت مصر تزرع من قديم الزمن النبـاتات الزيتية مثـل السمسم والخروع وبذر الكتان والقرطم والحنظل . وعلى أيام البطالمة فرضت رقابة صارمة على زراعة هذه النباتات ، فحددت الحكومة مساحة الأراضى التى تزرع بها فى كل مديرية ، وراقبت زراعتها وحصادها مراقبة دقيقة . وكانت الحكومة هى التى تمد الزراع بالبذور ، ثم يحصر المحصول حصراً دقيقا ، ويقدم ربعه ضريبة للحكومة بينما يقوم الزراع بتسليم باقى المحصول للمتعهدين بأسعار محددة . وكان الزيت يستخرج من مصـانع خاضعة للرقابة الحكومية ، يعمل بها عمال لا يسمح لهم بمغادرة أماكن اقامتهم طوال موسم العمل برغم انهم كانوا احرارا لا عبيدا . اما المعاصر الخاصة التى ترجع إلى ما قبـل عصر البطالمة ، فقـد حرم استعمالها باستثناء معاصر المعابد التى سمح لها باستخراج الزيت اللازم لها فى خلال شهرين فقط من العام ، ثم تغلق بعد ذلك بقية السنة ، مثلما كانت تغلق المعاصر الملكية خلال فترة التوقف عن العمل . وكان حق بيع الزيت يمنح بطريق الالتزام لتجار الجملة وتجار التجزئة على السواء ، وعلى هؤلاء أن يبيعوه للجمهور بالسعر الذى تحدده الحكومة ، وهو سعر باهظ . وكان الملك يجنى من هذه العملية ربحا طائلا قدره الدكتور « تارن » بما يتراوح بين « ٧٠٪ على زيت السمسم ، ٣٠٠٪ أو أكثر على زيت الحنظل » (٣) أما زيت الزيتون الذى يبدو أنه لم يدخل فى نطاق الاحتكار ، فقد فرضت عليه ضريبة استيراد بلغت ٥٠٪ .

---

(١) انظر : M. Rostovtzeff, **Hellenistic World**, I, p. 406.
وفى هذا الكتاب يترك المؤلف باب الموضوع مفتوحا للبحث .

[٢] الترجمة الحرفية هى « قوانين التزام جباية الضرائب » . ويجد القارىء ترجمة لبعض هذه القوانين فى Hunt-Edgar, **Select Papyri** II, No. 203
وقد نشرت كلها من جديد فى كتاب :
SB (Beiheft I) 1952 (by Jean Bingen) ; Cf. Idem, **Chron. d'Eg.** 41 (1946), 127-148.

(٣) انظر : W. W. Tarn, **Hellenistic Civilisation**, 2nd ed., p. 167.

وثمة احتكار آخر هو احتكار المنسوجات سواء أكانت من الكتان أم من الصوف أم من التيل . وقد سمح للمعابد بالاستمرار فى صناعة منسوجاتها الكتانية الرفيعة (bussos) التى اشتهرت بها ، وذلك لاستخدامها أساسيا فى المعابد ذاتها (فقد كان محرما على الكهنة ارتداء الملابس الصوفية) : لكن كان عليها أيضاً أن تسلم للملك كمية معينة من إنتاجها للتصدير . كذلك احتكر البطالمة صناعة الملح والصودا والجعة، شراب المصريين القومى ؛ لكن لعلهم سمحوا للأفراد بتقطير هذه الأخيرة فى المنازل .

وبفضل هذه الاحتكارات ، ومن إيجارات الأرض الأميرية ، حصل البطالمة على دخل هائل ، عينا ونقدا على السواء . وازداد هذا الدخل بفضل الضرائب العديدة التى فرضوها : فقد كانت هناك ضريبة على أرض أرباب الإقطاعات وغيرها من الأراضى التى تخلى الملك عن إدارتها لغيره ، وضريبة على الميراث بالنسبة للضياع ، وعلى التراخيص التى تعطى لمزاولة مختلف انواع الحرف ، وضريبة على المبيعات ، وعلى كثير من السلع التى يتداولها الناس ، وضريبة على العقارات ، وعلى دخل الوظائف الكهنوتية ، وضريبة على الرأس ذات طابع خاص لا يزال أمرها موضع خلاف بين العلماء [١] . وأخيرا كان هناك نظام محكم دقيق للرسوم الجمركية التى فرض بعضها لحماية المنتجات المحلية كما كان الحال بالنسبة لزيت الزيتون ، بينما فرض بعضها الآخر لمجرد الحصول على دخل . وكانت طريقة جباية الضرائب ، باستثناء تلك التى كانت تدفع عينا والقيت مسئوليتها على كاهل موظفى الحكومة ، هى طريقة الالتزام ، اى ان حق جباية مختلف الضرائب كان يعرض فى المزاد كل عام ، ويرسو على من يتقدم بأعلى عطاء . وكان ملتزمو الضرائب يخضعون لرقابة صارمة فى كل خطوة حتى لا تضار مصالح التاج او مصالح دافعى الضرائب . ولهذا لم يكن من اليسير الحصول على ربح كبير من عملية الالتزام ، وبالتالى أصبح العثور على المزايدين — بمرور الزمن — أمراً عسيرا بعد ان كان فى أول الأمر شيئاً ميسوراً .

وبذل البطالمة جهدهم لتنشيط التجارة الخارجية ، فبرغم ثراء مصر الزراعى ، كانت البلاد فقيرة فى كثير من المنتجات ، وكان لزاما عليها ان

---

[١] فى اغلب الظن ان هذه الضريبة لم تكن موجودة فى عصر البطالمة ، وان الرومان هم الذين استحدثوها ؛ راجع :
V. Tcherikover, "Syntaxis and Laographia", **Jour. Jur. Pap.** IV (1950), 185-191.

تبحث عن هذه المنتجات في الخارج . ومن بين ما استوردته على أيام البطالمة ، الأخشاب والمعادن والنبيذ وزيت الزيتون والسمك المملح ومختلف انواع الفاكهة والجبن والعبيد والخيول . وفي مقابل هذه الواردات كانت مصر تصدر اثمن منتجاتها وهو القمح . لقد كانت مصر اكبر منتج للغلال في شرقي البحر الأبيض المتوسط ، لكنها صدرت أيضاً البردى الذى كانت تنفرد بتصديره إلى أرجاء العالم القديم ، كما صدرت الكتان الرفيع والزجاج ، ولا سيما النوع متعدد الألوان الذى اشتهرت به الاسكندرية ، وكذلك **الالبصطر** وغيره من مختلف الاحجار . وكانت مصر مركزا لتجارة عابرة نشيطة : فمن الصومال وشرق إفريقية وبلاد العرب والهند ، كان يأتى الذهب والأحجار الكريمة واللؤلؤ والعاج والتوابل والأصباغ وبعض انواع الأخشاب النادرة والقطن والحرير . وكانت هذه تنقل براً من موانى البحر الأحمر عبر الطرق الصحراوية إلى قفط (Coptus) على النيل . ولهذا ، وتيسيرا للنقل الداخلى ايضاً ، يحتمل كما ذكرنا أن يكون البطالمة اول من عمم استخدام الجمل في مصر . وفى بعض الأحيان كانت السلع سالفة الذكر تصدر من مصر إلى الخارج مباشرة عقب وصولها ، واحيانا اخرى تتناولها أيدى مهرة الصناع المصريين بالصقل ، ثم تستهلك محليا أو يعاد تصديرها .

الاسكندرية في عصر البطالمة [١]

كانت الاسكندرية أهم موانى مصر وأكبر مدنها التجارية والصناعية ؛ وهى أعظم المدن التى أسسها الاسكندر إزدهاراً . وما من شك في أن الاسكندر قد شيد هذه المدينة بتوجيه من الأهالى ، لكن عينه الفاحصة

---

[١] عن الاسكندرية في العصر اليونانى – الرومانى ، راجع :
Ev. Breccia, **Alexandrea ad Aegyptum** (Bergamo, 1922); H. I. Bell, «Alexandria», **JEA** 13 (1927), 171-184; W. L. Westermann, «Alexandria in the Greek Papyri», **Bull. Soc. Arch. Alex.** 38 (1949), 36-50; André Bernard, **Alexandrie La Grande.** Paris, 1966.

زكى على « الاسكندرية : تاسيسها وبعض مظاهر الحضارة فيها في عصر البطالمة » مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية ١٩٤٤ (ص ١١٧ وما بعدها) ؛ « الاسكندرية في عهد البطالمة والرومان » ، مطبعة دار المستقبل . الاسكندرية ١٩٤٨ .

هى التى رات فى قرية راكوتيس (Rhacôtis) الفقيرة مكاناً صالحا لمدينة عظيمة . وقام المهندس الرودسى دينوكراتيس (Dinocratês) بوضع تصميم المدينة الجديدة وفقاً لأحدث القواعد فى فن تخطيط المدن ؛ فاختار لها شريطاً من الأرض الرملية يقع بين بحيرة مريوط والبحر . وكانت تقع فى البحر قبالة هذا الشريط جزيرة فاروس (Pharos) التى وصلت باليابسة بواسطة جسر ، فنشأ عن ذلك ميناء واسع آمن فى الجانب الشرقى ، وميناء أكبر منه ، وإن كان أقل أمناً ، فى الجانب الغربى . وانتظم القسم الغربى من المدينة قرية راكوتيس [راقودة] القديمة التى اصبحت منذ ذلك الوقت الحى الوطنى الخاص بالمصريين . وعلى بضعة أميال إلى الشرق كانت تقع مدينة كانوب Canôpus [أبو قير] التى اصبحت مكانا سيء السمعة يرتاده طلاب اللهو والمتعة . وكانت المدينة مستطيلة الشكل ، يشقها من الشرق إلى الغرب شارع فسيح مستقيم يسمى « شارع كانوب » تحف به الأعمدة والبواكى ، وتقطعه مجموعة أخرى من الشوارع الفسيحة . وقسمت المدينة إلى خمسة احياء سمى كل منها باسم حرف من الأحرف الخمسة الأولى فى الأبجدية اليونانية ، وهى الفا وبيتا وجاما ودلتا وإبسيلون [١] .

وكان يعيش فى الاسكندرية منذ البداية خليط من السكان فى مقدمتهم مجموعة المواطنين المتمتعين بكافة حقوق المواطنة [٢] ، وهم من الإغريق أو ممن تجرى فى عروقهم دماء إغريقية . وكان هؤلاء كمواطنى المدن الاغريقية

=

وانظر ايضا :

« الاسكندرية منذ اقدم العصور » للفيف من اساتذة جامعة الاسكندرية (محافظة الاسكندرية ١٩٦٣) ص ١ ـ ٢١٤ .

ابراهيم نصحى « تاريخ مصر فى عصر البطالمة » ، الجزء الثانى (الطبعة الثالثة ـ القاهرة (١٩٦٦) ص ٢٧٣ ـ ٣٢١ .

[١] هذه الحروف ا ب ج د هـ ، ترمز الى الارقام ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥

[٢] كانوا يسمون بالاسكندريين (Alexandreis) أو بالمواطنين (politai او astoi) انظر :

M. A. H. El-Abbadi, «The Alexandrian Citizenship», **JEA** 48 (1962), 106-123.

الحرة ينقسمون الى قبائل (phulai) واحياء (dêmoi) [١] ، ولهم مجلس للشورى (boulê) وجمعية شعبية [ekklêsia] [٢] ؛ وفيهم الموظفون المعروفون فى المدن الإغريقية الحرة . ولم يكن بالاسكندرية مجلس للشورى تحت حكم الرومان حتى اعتلى العرش الامبراطور سبتيميوس سفيروس (Septimius Severus) ، ولا يزال الجدل محتدما حول مسألة مجلس الشورى ، وهل وجده اغسطس قائماً ، وهل هو الذى الغاه ؟ وعندى ان الاسكندرية لم يكن بها مجلس للشورى عندما فتحها الرومان ، لكن من العسير علينا ان نتصور أن الاسكندر قد شيد مدينة إغريقية بدون مجلس للشورى (٢) . ومن ثم يتحتم علينا أن نستنتج أن أحد الملوك الذين جاءوا بعده قد الغى هذا المجلس اثناء إحدى المنازعات العديدة التى احتدمت بين المدينة والتاج . ويبدو ان المقدونيين كمجموعة لم يكونوا جزءاً من جماعة المواطنين . وإذا كان المستعمرون الأول قد انتظموا عدداً من المقدونيين ، فإن بعضهم على الأقل قد كون طبقة ممتازة تالفت منها قوات الحرس ورجال البلاط وعدد من كبار الموظفين . وعاش بالاسكندرية

---

[١] يبدو ان مواطنى الاسكندرية كانوا منقسمين الى خمس قبائل ، موزعين على ٦٠ حيا . وكانت القبائل تنقسم ايضا الى بطون (phratrai) يبلغ عددها ٧٢٠ بطنا والاحياء هى بمثابة اقسام ادارية او دوائر سياسية ، وليس لها المعنى الطبوغرافى البحت ولا صلة لها باحياء المدينة الخمسة المكانية (gramma = moira)، وكان تسجيل اسم المواطن فى الحى دليلا مدنيا على تمتعه بحق المواطنة . واما البطون فكانت بمثابة جمعيات اخوية دينية لاقامة طقوس العبادة وعقد مراسم الزواج .

راجع مقال

Jutta Seyfarth, «Phratra und Phratria in nachklassischen Griechentum», **Aegyptus** 35 (1955), 3-38.

[٢] وقد تسمى ايضا dêmos (بمعنى جمهور المواطنين) . وتوجد قرائن على وجود جمعية شعبية (ekklêsia) فى مدينة بطلمية فقط .

(٣) يرى « تارن » فى ص ١٦١ فى كتابه سالف الذكر ان الاسكندر لم يؤسس مدينة بالمعنى المالوف لدى الاغريق (polis) وانما كانت المدن التى شيدها من طراز مختلط جديد فيما يرجح ، وعندى ان اعتناق هذا الراى دون ادلة حقيقية فيه كثير من التجنى .
[عن هذه المشكلة ، راجع :

H. I. Bell, «The Problem of the Alexandrian Senate», **Aegyptus** 12 (1932), 173-184].

وانظر ايضا مختلف المراجع المذكورة فى كتاب :
عبد اللطيف احمد على « مصر والامبراطورية الرومانية فى ضوء الاوراق البردية » (بيروت ١٩٧٢) ، ص ٨٥ هامش ٢ ، ص ١٠٦ هامش ٣ ، ص ١٠٧ هامش ١ .

عدد كبير من الاغريق الذين أتوا من بقاع أخرى من العالم القديم ، لكن هؤلاء لم يكتسبوا حقوق المواطنين ، كما عاش بها أيضاً عدد كبير من المصريين . اما الأجانب الآخرون الذين استقروا بها فكان اليهود أهم عناصرهم ، وقد اختص هؤلاء بالحى (الرابع) « دلتا » الذى يقع على مقربة من القصر الملكى ، ثم انتشروا بعد ذلك بالمدينة حتى احتلوا معظم أجزاء الحى الثانى « بيتا » . ويحدثنا « فيلون » بأن معابد اليهود كانت على أيامه منتشرة فى كل مكان بالمدينة . ولم يعتبر اليهود من المواطنين وإن تمتعوا ببعض الامتيازات : فكانت لهم محاكم خاصة ، ودار للسجلات، ومجلس للمسنين [١] ، كما كان لهم ــ كطائفة ــ رئيس خاص يدعى (genarchês) او (ethnarchês) . وكان يشاهد على أرصفة المدينة وفى شوارعها خليط من الناس ينتمون إلى عناصر مختلفة ويتحدثون بلغات ولهجات متباينة . وقد أمدنا « ثيوكريتوس » فى قصيدته أدونيازوساى (Adoniazusae) بصورة تنبض بالحياة لهذا الخليط من السكان حيث يقول احد الغرباء لامرأتين تتحدثان « سيدتى الطيبة ،كفتا عن هذه الثرثرة التى لا تنتهى ، لكأنكما زوج من الحمام . إنى لأضيق بهذه اللهجة الدورية » . فتجيبه پراكسينوا (Praxinoa) « يا إلهى ، من اى بلد اتى السيد ؟ وما الذى يعنيك من ثرثرتنا ؟ إنى لأراك تشترى عبيدك قبل أن تدفع الثمن ! إنك يا سيدى تصدر أوامرك لسيدتين من سراقوصة .. أو ليس من حق الدوريين ان يتحدثوا بالدورية ؟ » .

وشهدت الاسكندرية أيضاً بعض الهنود ، ولا سيما بعد اكتشاف الرياح الموسمية (ويحتمل أن ذلك قد حدث فى أوائل العهد الرومانى) [٢]

---

[١] اى مجلس شيوخ (gerousia) ولكن لم يكن له صفة دستورية او سياسية بل كان هيئة اجتماعية . ويبدو ان الاسكندريين كان لهم مثل هذا المجلس على الاقل منذ العصر الرومانى ، راجع M. El Abbadi, **JEA** 50 (1964) 164-9. وعن اليهود فى عصر البطالمة ، انظر الآن :

Tcherikover and Fuks. **Corpus Papyrorum Judaicarum,** (= **C.P.J.**) Vol. I (Harv. Univ. Press 1957).

مصطفى كمال عبد العليم « اليهود فى مصر فى عصر البطالمة والرومان » ، ١٩٦٨ .

[٢] انظر : M. Rostovtzeff, **Hellenistic World,** pp. 927 ff.

وهو يرى أن الرياح الموسمية لم تكتشف فى العصر الرومانى ، وانما خلال حكم الملك بطلميوس يورجتيس الثانى (١٤٥ ــ ١١٦ ق.م.) لكن ادلته لا تبدو فى نظرى اقوى من ادلة الرأى المعارض .

التى يسرت الملاحة من إفريقية إلى الهند مباشرة بدلا من التزام الشاطىء. لكن حدث قبل ذلك ان ارسل اسوكا(Asoka) ـ امبراطور الهند البوذى ـ رسله إلى بطلميوس الثانى يدعونه الى الهدى والصلاح ، وان المرء ليتوق الى معرفة اثر تعاليم جواتاما (Guatama) فى نفس بطلميوس ، هذا الملك الذى عشق الدنيا وملاذها .

وسرعان ما اصبحت الاسكندرية اعجوبة العالم ، ولا سيما بعد أن غدت ـ فى تاريخ غير معروف تماماً ـ عاصمة البلاد بدلا من منف . وكانت ترتفع فوق جزيرة فاروس هذه المنارة الشهيرة التى خلعت اسمها من بعد على مثيلاتها فى كثير من اللغات الحديثة . وفى المكان المعروف باسم « سيما »(Sêma) كان يرقد جثمان الإسكندر الأكبر ، وفى منطقة راكوتيس [راقودة] القديمة كان معبد السرابيوم (Serapeum) الشهير بدوره يقوم شاهدا على أن « سرابيس » كان الها مصريا (١) . وكان هناك غير ذلك عدد من المبانى الشهيرة مثل معهد التربية الفاخر (Gymnasium) ومضمار السباق (العدو)(Stadium)، وحلبةسباق الخيل (Hippodromos) والمسرح ، والقصر الملكى . وكان القصر يقوم فوق جزيرة صغيرة شرقى الميناء ، والى جواره دار العلم والمكتبة. وكانت دار العلم (Museum) [٢] فى الأصل معبداً لربات الفنون والعلوم (Musae)، وهى فى الواقع أشبه شىء بالأكاديمية والجامعة فى لغتنا الحديثة ، وكان يقيم فيها على نفقة الحكومة عدد من العلماء والأدباء لا تجبى منهم ضرائب .

وقد جمع البطالة لاستعمالهم الخاص مكتبة ضخمة (Bibliothêkê) تحتوى على ما يقرب من نصف مليون لفافة بردية [٣] . ولكى يزيد

---

(١) يبدو ان المكان قد عرف الآن تماما ، انظر على سبيل المثال :
J.H.S. LXV, 1945, pp. 106-8.

وتدل اللوحات التى عثر عليها بين الاطلال على ان المؤسس الاول كان بطلميوس الثالث ، غير ان البناء الذى شيده لا يمكن ان يكون الاول [راجع ما تقدم فى ص ٥٢ حاشية ٢ ويلاحظ ان اسم الاله سرابيس Serapis وصار يرسم احيانا سيرابيس Sarapis فى الفترات اللاحقة] .

[٢] لايجوز ترجمة كلمة «Museum» بمتحف لان هذا المعنى حديث .

[٣] انظر :

W. L. Westermann, **The Library of Ancient Alexandria**, Alex., 1954.

E. A. Parsons, **The Alexandrian Library**, London, 1952.

محمد احمد حسين « مكتبة الاسكندرية فى العالم القديم » ، القاهرة ١٩٤٣ .

بطلميوس الثالث من حجم هذه المجموعة اصدر امراً يقضى بأن كل مسافر ينزل بالاسكندرية عليه أن يسلم اى كتب توجد بين متاعة لضمها إلى المكتبة إذا لزم الأمر ، على ان يعطى نسخة رسمية بدلا منها . ويقال ايضا انه استعار من اثينا الأصول الرسمية لمؤلفات « آيسخيلوس » و « سوفوكليس » و « يوريپيديس » كي يقوم بنسخها نظير ضمان مالى قدره خمسة عشر تالنتا (١) لكنه فضل أن يخسر هذا المبلغ على أن يرد الأصول التى وصلته ، وأرسل بدلا منها نسخاً فقط . وفى مكتبة الإسكندرية وضعت أسس علوم التصنيف ونقد النصوص ، كما وضعت قوائم للمؤلفات اليونانية الأدبية ، وحققت مؤلفات هوميروس ثم اخرجت فى صورة لا تختلف كثيرا عن التى بين أيدينا الآن ، كذلك ابتكرت العلامات الصوتية التى يضيق بها الآن كثير من طلاب المدارس والجامعات ، كما ابتكرت علامات الاستفهام والتعجب وما اليها من فواصل الكلام ، ولم تهمل الرياضيات والعلوم البحتة : ففى الاسكندرية استطاع اريستارخوس (Aristarchus) (٢) أن يكتشف دوران الأرض حول الشمس قبل أن يكتشفه كوپرنيكوس (Copernicus) . وفى الاسكندرية استطاع إراتوستينيس (Eratosthenês) أن يقيس محيط الكرة الارضية قياسا يمكن أن يوثق بصحته ، وفيها ايضا ألف إقليدس (Euclidês) كتاب « الأصول » [فى علم الهندسة] ، واخترع هيرون (Hêrôn) الآلة البخارية ، أو لعله نقلها عن غيره ، كما اخترع الآلة الأوتوماتيكية [٣] . وقد ذاع صيت مدرسة الطب السكندرى ولا سيما فى التشريح والجراحة . وفى الاسكندرية أيضا ترجمت التوراة إلى اللغة اليونانية لينتفع بها اليهود المشتتون (Diaspora) وهى الترجمة المعروفة باسم السبعينية (Septuaginta) [٤] ؛ وفيها

---

(١) كان التالنت يساوى ستة آلاف دراخمة ، وبمقارنته بالجنيه الاسترلينى فى الوقت الحالى يتضح ان قيمة الفضة فيه قد تساوى حوالى اربعمائة جنيها .

(٢) يجد القارىء مقالا حديثا عن اريستارخوس فى :
M. Meyerhof, «Aristarque de Samos», **Bull. de l'Inst. d'Egypte,** XXV, 1943, pp. 269-74.

[٣] فى الاصل « آلة تدار بوضع عملة صغيرة فى ثقب بها »

[٤] السبتواجنتا هى الترجمة اليونانية للعهد القديم (التوراة) وقد سميت كذلك لانها تمت ـ فيما يقال ـ على يد سبعين من شيوخ اليهود ، وكان ذلك فى عهد بطلميوس فيلادلفوس .

أيضا فيلون (Philôn) مذهبه عن اللوغوس الإلهى (Logos) [١] .

بوادر التدهور :

وليس من شك فى أن الحكم البطلمى قد عاد على مصر فى أول الأمر بزيادة عظيمة فى الرخاء ، فقد اتى هذا الحكم فى ركابه بإدارة قوية قادرة استطاعت أن تحفظ النظام فى البلاد ، وبنظم جديدة فى الرى أدت إلى ازدياد واضح فى مساحة الأراضى المنزرعة ، وبمحاصيل جديدة لم تعرفها مصر من قبل ، استغلت فى زراعتها الأراضى المستصلحة استغلالا كاملا ، كذلك لقيت الصناعة تشجيعاً كبيرا ، وشهدت التجارة الخارجية نشاطا جما ، وهذه جميعاً من الفوائد الجوهرية التى تحققت لمصر . بيد أن الاحتفاظ بهذا الرخاء ، بعد أن فقدت طاقة النشاط الأولى ، كان رهنا بعاملين غير مؤكدين : فلا بد من كفاية متصلة فى الهيئة الحاكمة أولا ، ولابد من تجاوب وتعاون من جانب المحكومين ثانياً . والواقع أن هذا العامل الثانى لم يتحقق أبدا من ناحية المصريين ، فبعضهم فيما يظن قد رحب بالنظام الجديد ترحيباً شديدا ، كما حاول كثير منهم دون شك أن يستفيد منه اكبر فائدة ممكنة . لكن موقف الفلاحين بوجه عام ، ولا سيما فى مصر العليا ، كان فيما يبدو موقفا سلبياً فى خير حالاته ، وموقف معارضه واضحة فى أسوئها . ولقد نشك فيما إذا كان الفلاح المصرى العادى قد استشعر اى تحسن فى مصيره ، فقد ظل هذا الفلاح قرونا عديدة يكد فى أرضه ثم يؤدى ما عليه من التزامات للملك وللكهنة ولصاحب الأرض . واستمر حاله كذلك فى ظل الحكم المقدونى . وطالما استطاعت الحكومة الجديدة أن تحفظ السلم فى داخل البلاد ، وان تبعد شبح المجاعة ، فقد كان الفلاح المصرى يجنى بعض الفوائد ، لكنه لم يشعر إطلاقاً بانه شريك فى حكم بلاده . لقد كان سادته الجدد غرباء عنه اتوا من مكان بعيد ، وكانت

---

[١] اللوغوس اى الكلمة ، والمذهب فى جملته يقول بوجود وسيط بين الله والناس ، وقد تعددت فيه الاقوال « فهو تارة الوسيط الذى به خلق الله العالم ، والذى به تعرف الله ، والذى يشفع لنا عند الله ، وهو طورا ملاك الله الذى ظهر للآباء واعلن اليهم اوامر الله ، على ما تذكر التوراة ، وهو مرة قانون العالم وقدره ، ومرة أخرى ابن الله البكر ، ومرة ثالثة مثال الانسان أو الانسان الاعلى ، الى غير ذلك من الصور .... » انظر : يوسف كرم « تاريخ الفلسفة اليونانية » القاهرة (الطبعة الثانية ١٩٤٦) ص ٥٢٠ ـ ٥٢١.

سياستهم التى اتجهت خارج البلاد نحو عالم البحر الأبيض المتوسط تستهدف اغراضا لا يحيط بها ادراكه [١] . اما المجد الذى ادركتهمدينة الاسكندرية ، تلك المدينة الأجنبية التى كادت لا تعتبر جزءاً من مصر (اذ كانت توصف رسميا بعبارة « المتاخمة لمصر » وذلك على الاقل فى أواخر الحكم البطلمى) [٢] ، فلم يكن شيئا بالنسبة له . وطبيعى أن البطالمة الأقوياء قد فعلوا الكثير فى سبيل توفير الرخاء لضيعتهم ، لكن اهتمامهم بها كان يستوحى المصالح الشخصية . لقد كان هدفهم كما وصفته الآنسة پريو هو « جمع اكبر قدر ممكن من الثروة ، وتكبد اقل ما يمكن من النفقات ، وإجراء اقل تغيير مستطاع فى النظم القائمة ، والتعرض لأقل قدر ممكن من الخسائر » . وتلك دون جدال سياسة تنطوى على الحكمة وإن خلت من الشجاعة ، بالنسبة لصاحب اية ضيعة من الضياع . لكن الدولة شىء والضيعة شىء آخر : ففى الدولة جموع من الآدميين لهم حقوق ومطالب ، والأمر قبل ذلك ابعد من مجرد براعة فى الميدان الاقتصادى ، فلا بد من أهداف إنسانية خلقية يسعى إليها اذا اريد لهذه الجموع البشرية أن ترتبط برباط الوحدة القومية ، ولعل خير ما يقال فى هذا الصدد هو ما قالته پريو : « إن حصر التفكير فى الميدان الاقتصادى لا يمكن ان يبنى هدفا إنسانيا » (٣) .

---

[١] انظر :

P. Jouguet, «Les Lagides et les indigènes égyptiens», **Rev. belge de Philol. et d'Hist.** II (1923), 419-445; C. Préaux, «Politique de race ou politique royale?» **Chron. d'Eg.** 11 (1936), 111-138.

[٢] انظر :

H. L. Bell, «Alexandria ad Aegyptum», **J.R.S.** 36 (1946), 130-32; P.M. Fraser, «**Alexandria ad Aegyptum** again», **J.R.S.** 39 (1949), 56.

(٣) انظر المقال القيم الشائق التالى :

W. L. Westermann, «The Ptolemies and the Welfare of their subjects», in

Actes du Vème Congres International de Papyrologie, pp. 565-79.

وانظر ايضا :

(**Am. Hist. Rev.** XLIII, 1938, pp. 270-87.

ويعارض وسترمان فى مقاله بعض الانتقادات الشديدة التى وجهت للحكم البطلمى ويرى ان البطالمة قد ابدوا اهتماما وعناية برفاهية المصريين ، ويعتقد أن الكراهية التى

=

وهكذا اخذ رخاء المملكة وقوتها يتضاءلان نتيجة للتدهور الخلقي الذي أصاب الأسرة الحاكمة . لقد كان البطالمة الثلاثة الأول حكاما أقوياء . وبرغم ما عرف عن بطلميوس الثاني من حب للملذات والترف ، وبرغم أنه كان دون أبيه عزماً وبأساً حتى ليقف منه موقف سليمان من أبيه داود ، فانه يبدو في الوثائق البردية رجلا جم النشاط يتمتع بكفاية إدارية واضحة ، ولعله يدين ببعض ذلك لأخته أرسينوى (Arsinoê) التى نجحت في إبعاد زوجته الأولى – وكانت سميتها – وأصبحت هي زوجة شرعية له . والواقع أن الاغريق كانوا يستنكرون الزواج بين الأشقاء كما نستنكره نحن تماما ، ولهذا عبئت جميع مواهب شعراء البلاط ودعاته كي يصبح هذا الزواج شيئاً مستساغا (١) . ومع ذلك فقد برهنت أرسينوى الثانية هذه ، التى تعتبر نموذجا لنساء أسرتها ، بإرادتها القوية وكفايتها واستخفافها بصوت الضمير ، برهنت على أنها كانت شريكة نافعة لزوجها ، على استعداد لأن تغمض عينيها على خياناته العديدة . ولقد خلع عليها لقب فيلادلفوس (Philadelphus) أى « محبة أخيها » وبعد وفاتها وتأليهها شاركها بطلميوس شرف التأليه [٢] ، وخلع

انطوت عليها صدور المصريين للاسرة الحاكمة قد بولغ فيها مبالغة شديدة . وليس من شك في أن وسترمان قد أصاب حين استنكر هذا الحكم القاسي على البطالمة الذين يعتبر عصرهم خيرا من عصر الرومان بوجه عام ، لكن لعله أسرف في امتداحهم .

(١) من أجل هذا شبه ثيوكريتوس ذلك الزواج بزواج الاخوة بين الآلهة الاوليمبية فقال : « انه هو وشريكته » الجميلة النبيلة التى كانت له خير من أية زوجة اظلها سقف ، ذلك انها تحب من صميم فؤادها زوجا واخا في شخص واحد . وهكذا حدث في السموات حيث تم الزواج المقدس بين هؤلاء الذين انجبتهم ريا (Rhea) الجليلة ليكونوا سادة في أوليمبوس . وهكذا أيضا أعدت ايريس (Iris) – الوصيفة الامينة – بيديها المعبقتين بالبخور مضجعا واحدا لزيوس وهيرا ، انظر :

(**Idyll.** XVII. 128-34, trans. by J. M. Edmonds).

وعن تسمية عدد من شوارع الاسكندرية باسم ارسينوى مشبهة في كل حالة باحدى الالهات الاغريقيات ، انظر : H. I. Bell, **Archiv,** VII, 1924, pp. 21-24.

[وعن زواج الأخ بالاخت في مصر اليونانية الرومانية ، راجع :
H. Thierfelder, **Die Geschwisterehe im Hellenistischen-Römischen Aegypten.** Münster, 1960].

[٢] يتضح الآن من بردية نشرت اخيرا (P. Hibeh II, 199) ان ارسينوى (الثانية) قد الهت (مع اخيها وزوجها بطلميوس الثاني) اثناء حياتها في عام ٢٧٢/٢٧١ق.م لا بعد وفاتها (في ٧ يوليو عام ٢٧٠ ق.م.) . كما كان يظن من قبل .

عليهما لقب الإلهين الأخوين (theoi adelphoi) . ولقد عبد بطلميوس الأول تحت اسم سوتير (Sotêr) اى المنقذ ، كما لقب خليفة بطلميوس الثانى وابنه بلقب يورجتيس(Euergetês)اى « المحسن » أو « الخير » ، ومنذ ذلك الحين حمل جميع ملوك الأسرة (وكانوا بلا استثناء يسمون بطلميوس) القابا إلهية عبدوا بها حتى وهم على قيد الحياة [١] .

وشهد عهد بطلميوس الرابع فيلوپاتور . (Philopatôr) ، الإله المحب لأبيه ، بداية فترة الانهيار الشديد . وقد وصف فيلوپاتور فى نقش كهنوتى [٢] بأنه « حورس الممتلىء شباباً ، القوى ، الذى نصبه أبوه ملكا ، صاحب التاجين ، ذو القوة .العظيم الذى امتلأ قلبه بتقوى الآلهة ، حامى الناس ، المتفوق على أعدائه ، الذى أسعد مصر وملأ معابدها نوراً والذى وطد دعائم القوانين التى وضعها تحوت العظيم الأعظم ، سيد حفلات الثلاثين عاماً ، شبيه پتاح العظيم ، وشبيه الشمس ، ملك مصر العليا ومصر السفلى ، سليل الملكين الخيرين ، الذى باركه پتاح وحبته الشمس بالنصر ، صورة آمون الحية ، الملك بطلميوس ، الخالد ، حبيب إيزيس » (٣) هذا الملك الذى خلع عليه الكهنة هذه الصفات ، كان فى الواقع ملكا ضعيفاً خليعاً ، والعوبة فى يد وزيره الفاجر سوسيبيوس (Sôsibius) وخليلته الفاسقة أجاثوكليا (Agathoclea) وشقيقها ، الذى يفوقها فسوقاً ، أجاثوكليس (Agathoclês) ، وأمهما الرهيبة أوينانثى (Oenanthê) ، وتلك عصابة من الأوغاد الأفاقين لم تبتل بمثلهم إمبراطورية حتى قيام العهد

---

[١] انظر المراجع الواردة فى اسفل الصفحة التالية .

[٢] هذا النقش هو المعروف باسم « لوحة بيثوم » وهو قرار أصدره الكهنة فى منف فى شهر نوفمبر عام ٢١٧ ق.م. بمناسبة الانتصار فى معركة رفح ، وهو مكتوب بالهيروغليفية والديموطيقية والاغريقية ، وسمى باسم مدينة بيثوم « وهى هيروون بوليس Heroônpolis عند الاغريق ومحلها الآن تل المسخوطة » التى تقع شرقى الدلتا حيث عثرنا عليه . (وهذه غير لوحة بيثوم الهيروغليفية التى ترجع الى السنة الحادية والعشرين من عهد فيلادلفوس (يونيو ٢٦٥ ق.م) وتحمل قرارا لكهنة سايس (صا الحجر) يشيدون فيها بحملات ذلك الملك فى الشرق وكان الملك قد زار المدينة ثلاث مرات (٢٧٩/٢٨٠ – ٢٧٣/٢٧٤ ، ٢٦٤/٢٦٥ ق.م.) .

(٣) هذه هى ترجمة بيڤان للترجمة الالمانية التى قام بها شبيجلبرج ، انظر :
E. Bevan, **A History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty**, pp. 388-9.

النازى (١) . وادى الانغماس فى الملذات إلى إهمـال شـئون الجيش

---

(١) يقف تارن(C.A.H. VII, p. 727) موقفا اكثر عطفا على فيلوباتور من موقف بيفان (Egypt under the Ptol., pp. 220 ff.) غير انى اعترف بان حججه التى يسوقها غير مقنعة . ونحن لاننكر احتمال وجود مبالغات شديدة فيما قيل عن فيلوباتور ، كما يحتمل ان يكون بوليبيوس قد حكم حكما غاليا على هذا الملك (وان لم يقم على ذلك دليل) . لكن ماذا نقول فى مقتل والدة فيلوباتور وفى مقتل اخيه ماجاس (Magas) وهى حقائق ثابتة ، ولا بد ان كلتا الجريمتين قد باركهما هذا الملك ان لم يكن هو الذى حرض عليهما . واذا قيل أن اهمال الجيش والاسطول قد بدا فى اواخر عهد بطلميـوس الثالث ، فان فيلوباتور ووزراءه لم يحاولوا تدارك هذا الامر حتى أحدق بهم الخطر . ولا يقل عن هذه الامور وضوحا تلك المعاملة السيئة المشينة التى لقيتها منه زوجته ارسينوى [الثالثة] . ثم أن الحكم على الملك لابد ان يرتكز جزئيا على اخلاق اصفيائه والمقربين اليه ونحن نعرف ان سمعة بطانته كانت غاية فى السوء . وفى التاريخ امثلة عديدة تدل على ان هواية الجمال ، بل والاحساس الدينى الاصيل ، وكلاهما توافر فى فيلوباتور دون شك (انظر قراره عن عبادة ديونيسوس فى B.G.U. VI, 1211 حيث تجد قائمة بالمراجع) ، قد يقترنان فى الانسان بالانحلال الخلقى . انظر توندريو J. Tondriau «Les thiases royaux de la cour Ptolemaïque», **Chronique d'Egypte** XXI, No. 41 [1946] pp. 149-71. ويذهب توندريو فى مقاله المـذكور الى ان جلسات الشراب وغيرها من الحفلات والمآدب التى تذكر عن فيلوباتور وغيره من ملوك الاسرة لم تكن مجرد لهو وعبث ، وانما كانت جزءا من سياسة مرسومة وذات طابع دينى . وعلى فرض صحة هذا الزعم فان حفلات فيلوباتور الماجنة لم تكن فوق مستوى الشبهات ، مثال ذلك ما ابدته ارسينوى من ازدراء شديد رواه اراتوستنيس ، استاذ فيلوباتور ، ونقله لنا اثينايوس Athenaeus (VII, 267 b-c) « سالت ارسينوى حامل الاغصان عن هذا اليوم الذى يحتفلون به ، وعن اسم الحفل نفسه فاجابها : « انه يدعى حفل الدنان ، وفيه يضجع المدعوون على اسرة من البوص ويلتهمون ما احضروه معهم من طعام ويشرب كل منهم من دنه الخاص الذى اتى به من منزله » فلما انصرف عنها نظرت الينا وقالت : « انه يبدو حفلا مبتذلا ، ولا بد ان المدعوين فئات مختلطة كل منهم يتناول طعاما عفنا من أخط الاصناف ! »

وبعد ، فان كل ما نستطيع ان نقوله حقيقة دفاعا عن فيلوباتور هو ان سياسته ربما كانت على جانب من الصلابة صمتت عنه الروايات التى وصلتنا عنه .

[انظر قائمة المراجع على ص ٤٢ والفصل الخامس (ص ١٨٩ ـ ٢٢٧) من الكتاب الآتى :

L. Cerfaux et J. Tondriau, **Le culte des souverains dans la civilisation gréco-romaine** (Bibliothèque de Théologie, Sér. III, vol. V), Louvain, 1957;

وراجع الآن :

C. Préaux, «Polybe et Ptolemée Philopator», **Chron. d'Eg.** 40 (1965), 364-375].

والأسطول على السواء ، فلما هاجم انطيوخوس الأكبر (Antiochos) ـ ملك سوريا الطموح ـ املاك مصر فى سوريا ، لم يلق فى الواقع قوة فى البلاد تستطيع الصمود فى وجهه ، لكن أساليب السياسة البارعة عطلت تقدم انطيوخوس بينما كانت الاستعدادات فى مصر تجرى على قدم وساق (الواقع ان سوسيبيوس كان داهية بصرف النظر عن سلوكه الشخصى) ؛ فاستؤجر المرتزقة ، وعبىء أصحاب الإقطاعات العسكرية ودربوا تدريباً مركزاً ، واعيد تنظيم الجيش ، وسلح المصريون الذين كانوا حتى ذلك الوقت لايعملون إلا فى الصفوف الخلفية [machimoi] ، ودربوا على نظام الفيلق الإغريقى المقدونى المتراص (phalanx) ، ثم كشف سوسيبيوس النقاب عن وجهه ، ورفض مطالب انطيوخوس الذى استانف تقدمه فانزلت به القوات المصرية هزيمة فادحة ، وظفرت بنصر مؤزر فى معركة رفح (٢٢ يونيه عام ٢١٧ ق.م.) .

نتائج معركة رفح واطراد تحسن مركز المصريين :

ولم يكن الانتصار فى رفح ربحاً صافيا ، ذلك ان المصريين وقد عوملوا للمرة الأولى كانداد للاغريق من الناحية العسكرية ، قد أخذتهم العزة بأنفسهم ، فإذا بثوراتهم تتكرر على نطاق واسع فى فى منطقة طيبة وإن لم تقتصر عليها ، وكانت طيبة هى المرتع الخصيب للحركات القومية . وقد كان فى وسع البطالمة ان يعالجوا هذه الحركات بصورة أجدى لو انها كانت المشكلة الوحيدة التى واجهتهم[١] . لكن الأسرة

---

[١] عن ثورات المصريين ضد البطالمة بوجه عام ، وبعد معركة رفح بوجه خاص ، راجع :

محمد عواد حسين « حركات المقاومة الوطنية فى مصر البطلمية » القاهرة ، ١٩٤٩ .

C. Préaux, «Esquisse d'une histoire des révolutions égyptienne sous les Lagides», **Chron. d'Eg.** 11 (1936), 522-552; M. Alliot, «La Thebaide en lutte contre les roi d'Alexandrie sous Philopator et Epiphane: 216-184», **Rev. belge de Philol. et hist.** 29 (1951). 421-443; P. W. Pestman, «Harmachis et Anchmachis, deux Rois du temps des Ptolemées», **Chron. d'Eg.** 40 (1965), 157-170

=

البطلمية كانت تمزقها المنازعات الداخلية خلال معظم القرنين الثانى والأول ق.م. [1] ، كما تعرضت مصر فى نفس الوقت لتهديد خارجى متصل ؛ فقد ظهرت فى ارجاء عالم البحر الأبيض المتوسط قوة جديدة اوجدت فى جميع الممالك الهلينستية إحساساً قويا بالقلق ، وعملت هذه القوة الجديدة لصالح مصر فى أول الأمر : فمنذ عام ٢٧٣ ق.م. عقد بطلميوس الثانى معاهدة تجارية مع الجمهورية الرومانية ، وعندما بدات روما تتدخل فى شئون شرقى البحر الأبيض عقب انتصارها فى الحرب البونية الثانية ، وجدت فى مصر قوة نافعة لحفظ التوازن امام الدولة السليوكية ، وإذا كانت العلاقة بين الدولتين قد انطوت على شيء من تبادل المصلحة ، فقد عادت على مصر فى بعض الأحيان بأعظم الفوائد .

وقد اقترنت الأخطار الخارجية والاضطرابات الداخلية المستمرة ، سواء اكانت نتيجة للنزاع حول العرش بين افراد الأسرة المالكة ، أم للثورات القومية ، بتدهور اقتصادى بدأ منذ عهد بطلميوس الرابع ، بل إنها كانت سببا جوهرياً فى زيادة حدته . واستحدث فيلادلفوس عملة

=

[وقد استمرت ثورة هذين الزعيمين حوالى ١٩ عاما (من اكتوبر ٢٠٥ ــ اغسطس ١٨٦ ق.م.) وسيطرا على منطقة تمتد من ادفو جنوبا (Apollônopolis) حتى قفط شمالا ، وكان مركزهما مدينة طيبة (Diospolis Magna) وهى الاقصر حاليا] .

F. Uebel, «Tarachê tôn Aiguptiôn», **Archiv** 17 (1960-62), 147-162

[والوثيقة البردية تشير الى ثورة للمصريين حول ادفو ما بين سنتى ١٧٥ ــ ١٧٠ او بين ١٦٣ ــ ١٤٥ ق.م.] .

L. Koenen, «Theoisin Echthros», **Chron. d'Eg.** 34 (1959), 103-119

[وهذه الوثيقة الاخيرة تشير الى ثورة بقيادة زعيم وطنى يدعى هارسيئيسس Harsiêsis وامتدت ثورته من طيبة جنوبا حتى الحيبة (مركز الفشن) شمالا وذلك من عام ١٣١/١٣٢ حتى ١٥ سبتمبر عام ١٣٠ ق.م.] .

[1] انظر : محمد عواد حسين « الحرب السورية السادسة وبداية النزاع الاسرى فى مصر البطلمية » حوليات كلية الآداب بجامعة عين شمس ، المجلد الاول (١٩٥١) ، ص ٧١ ــ ١٢٥ .

وانظر ايضا : النزاع الاسرى فى مصر البطلمية من ١١٦ الى ٨٠ ق.م. حوليات كلية الآداب بجامعة عين شمس ، المجلد الثانى (١٩٥٣) ، ص ١١١ ــ ١٣٨ .

برونزية استعملت إلى جانب العملة الذهبية والعملة الفضية ، وبهذا انشأ نظام المعادن الثلاثة فى التداول النقدى . وكانت العملة البرونزية متداولة بين المصريين بوجه خاص ، بينما تداول الاغريق العملة الفضية والذهبية . وعندما اعتلى فيلوپاتور العرش ، اتخذ البرونز قاعدة اساسية للنقد ، وكانت نسبته إلى الفضة ٦٠ : ١ ؛ وفى عهود خلفائه نجد فترات يسود فيها التضخم النقدى الذى يؤدى إلى انكماش الدخل ، وبالتالى إلى ضغط الموظفين على الأهالى [١] . وكان هؤلاء يواجهون هذا الضغط بالمقاومة السلبية احيانا وبالثورات العلنية احيانا اخرى . وحاول الملوك وضع حد لهذه المساوىء ، لكن سلطانهم على الموظفين المحليين كان محدودا (٢) . وكان الاضطراب الاقتصادى وفساد الأداة الحكومية والقلق العام ، من الأمور الواضحة تماما فى النصف الثانى من القرن الثانى ق.م. واقترنت هذه المساوىء جميعا بكساد فى التجارة الخارجية . وادى الضعف المطرد فى الحكومة المركزية إلى قيام حركات انفصالية محلية ، وإلى ازدياد فى نفوذ الكهنة وإذعان لسلطانهم ، وإلى استسلام لذوى النفوذ والجاه ، وإلى مقاومة عنيفة ابدتها جموع الفلاحين ؛ اى انه ادى فى الواقع إلى حالة تذكرنا بفترات الانحلال التى شهدتها مصر على أيام الأسرة التاسعة عشرة الفرعونية ، وما سوف تشهده فى صدر العصر البيزنطى (٣) .

---

[١] انظر :
T. Reekmans, «The Ptolemaic Copper Inflation» **Studia Hellenistica** VII (Ptolemaica) [1951] pp. 61-118. **Idem,** «Economic and Social Repercussions of the Ptolemaic Copper Inflation», **Chron. d'Eg.** 24 (1949), 324-342.

(٢) راجع :
C. Preaux, «Un Problème de la politique des Lagides: la faiblesse des édits», in **Atti del IV Congresso Internazionale di Papirologia,** 1936, pp. 183-93.

(٣) انظر :
C. Preaux, «La Signification de l'époque d'Evergète II», in **Actes du V Congrès International de Papyrologie,** pp. 345-54. [Cf. P. Tebt. I, 5; Bevan, **A History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty** (1927), pp. 315-318].

وفى القرن الأخير من الحكم البطلمى ظفر المصريون الوطنيون بمكانة جعلتهم اقرب إلى المساواة مع الإغريق عما كانوا عليه فى عهود البطالمة الأوائل ، وذلك بفضل الضعف المطرد الذى اصاب الحكومة ، واحتياج الملوك المتنافسين على العرش إلى التأييد الشعبى ، ولهذا نسمع عن مصريين يحتلون المراكز السامية الرفيعة فى السلكين المدنى والعسكرى على السواء . ومنح الجنود المصريون المسرحون إقطاعات من الأرض كزملائهم الإغريق ، وإن كانت اصغر منها مساحة . وحصلت المعابد ، واحداً تلو آخر ، على حماية اللاجئين (asulia) . ولم يؤد هذا كله إلى تحسين العلاقات بين المصريين والإغريق ، بل على العكس ، ادى شعور المصريين بأهميتهم ، وتضاؤل احترامهم للأجانب ، إلى ازدياد روح العداء نحوهم . ولعله من الأمور ذات المغزى فى هذا الصدد ، ان بطلميوس الناسك المقدونى[١] ، الذى تؤلف اوراقه جزءاً كبيرا من برديات السراپيوم ، قد شكا عدة مرات فى منتصف القرن الثانى ق.م. من اعتداء الأهالى عليه « لأنه اغريقى » . كما نسمع عن نبوءات شائعة كانت تمنى المصريين بطرد الأجانب وتدمير مدينة الاسكندرية . اما الإغريق ، فبرغم انهم كانوا وقتئذ قد امتزجوا بالمصريين عن طريق الزواج ، وتمصروا بطرق شتى ، إلا انهم نظراً لموقف المصريين منهم قد ازدادوا تشبثاً بتقاليدهم الإغريقية ، فاستمروا يترددون على حلبات المصارعة ومعاهد التربية الثقافية والبدنية ومنظمات الشباب . وإذا كانت رسائلهم التى وصلتنا لا تدل على اهتمامهم بالآداب والفنون ، فاننا نعرف من الوثائق التى اكتشفت فى مصر الوسطى أن مؤلفات فحول الأدب الاغريقى ، مثل هوميروس بوجه خاص ، وغيره من كتاب المسرح ،

=

وعن فترات التضخم المالى انظر :

F. Heichelheim, **Wirtschaftliche Schwankungen der Zeit von Alexander bis Augustus.** Jena, 1930.

[١] لعله لم يكن ناسكا بالمعنى الدقيق بل كان لائذا بحمى معبد الاله سرابيس فى منف سواء بمحض ارادته لدافع دينى ام مضطرا لسبب آخر ، ويوصف فى اليونانية بانه katochos او enkatochos . والى جانب بحوث فيلكن فى UPZ راجع الآن :

E. Kiessling, «Die Götter von Memphis in griechisch-römischer Zeit», **Archiv** 15 (1953), 7-45.

L. Delekat, **Katochê, Hierodulie und Adoptionsfreilassung** (Muench. Beitr. Papyrusforsch. 47 Heft). 1964, ch. 1-2.

والخطباء والفلاسفة والشعراء الفنانيين ، كانت لا تزال تدرس ، ومع ذلك فينبغى الا نبالغ فى تصوير الكراهية العنصرية ، إذ توجد ادلة عديدة على قيام علاقات الصداقة ، بل والصداقة الحميمة بين الإغريق والمصريين .

وعاشت مصر فى خضم الحروب الأهلية خلال فترات طويلة من القرنين الثانى والأول ق.م. ، وبدا فى بعض الأحيان ان منطقة طيبة قد استقلت فعلا عن حكومة الاسكندرية [١] . وفى عام ٨٥ ق.م. اشتعلت بهذه المنطقة ثورة عنيفة انتهت بتدمير طيبة عاصمة مصر أيام مجدها التليد . واصبحت « طيبة ذات الأبواب المائة » كما أسماها هوميروس ، مجرد مجموعة من القرى المتناثرة فوق اطلال ماضيها القديم ، ولا تزال كذلك منذ ذلك الحين .

روما وكليوباترا وسقوط دولة البطالمة :

وفى عام ٢٠٢ ق.م. انتهز فيليب ملك مقدونيا وانطيوخوس ملك سوريا فرصة اعتلاء صبى للعرش المصرى ، هو بطلميوس الخامس إبيفانيس Epiphanês (الإله الظاهر) ، وتعاهدا معاً على أن ينتزعا من مصر ممتلكاتها الخارجية ، فاجتاح انطيوخوس [الثالث] ممتلكاتها فى سوريا ، وغزا فيليب [الخامس] ممتلكاتها فى بحر إيجة دون أن تبدى روما احتجاجا لكننا لا نستبعد ان نفوذ روما كان له أثره فى إبعاد انطيوخوس عن التفكير غزو مصر نفسها . وفى عام ١٧٠ ق.م. عندما حاول وزراء الملك الصغير بطلميوس السادس (Philomêtôr) (الإله المحب لأمه) إستعادة املاك مصر فى سوريا ومنوا بهزيمة ساحقة ، انتهز انطيوخوس [الرابع] إبيفانيس (Epiphanês) فرصة إشتغال روما بمحاربة مقدونيا ، وغزا مصر وتوج ملكا عليها كما جاء فى إحدى الوثائق البردية (٢) . لكنه لم ينعم بلقبه

---

[١] عن احداث هذه الفترة ، انظر :
W. Otto & H. Bengtson, **Zur Geschichte des Niederganges des Ptolemäerreiches** (= Abh. Bay. Akad. Wiss. Phil. — Hist. Abt. N.F. Heit 17) München, 1938.

(٢) انظر : P. Tebt. III. 698.

وعن تاريخ هذه الاحداث ، انظر :
Eric G. Turner, **Bull. of the John Rylands Library,** XXXI, 1948, pp. 4-6.

الجديد إلا قليلا ، إذ أرسلت له روما فى عام ١٦٨ ق.م. ، عقب الهزيمة النهـائية التى لحقت بفيليب ، سـفيرها جايوس پوپيليوس لايناس (C. Popillius Laenas) لكى يطلب إليه الانسحاب من مصر . وحاول انطيوخوس ان يماطل ، فما كان من سفير روما إلا أن رسم بعصاه دائرة فى الرمال حول الملك ، وأصر على أن يتسـلم منه الرد قبل ان يخطـو خارجها . لقد كانت أساليب روما الدبلوماسية تفتقر الى الذوق والكياسة فى بعض الأحيان ، إن لم توصف بالشراسة ، لكن قوتها كانت أخطر من أن يتحداها إنسان . واضطر انطيوخوس ، ان يبتلع الاهانة ويكظم غيظه ويذعن لطلبها . ومنذ ذلك الحين ، ولا سيما بعـد ان ادمجت سوريا ومقدونيا فى الأملاك الرومانية ، لم تحتفظ مصر باستقلالها إلا لأن روما لم تجد ان الوقت مناسب لابتلاعها .

واصبحت مصر — مرة اخرى — فى خلال الأعوام الأخيرة من حياتها كدولة مستقلة عاملا فى سياسة البحر الأبيض الدولية . وأنجبت اسرة البطالمة فى آخـر ايامها شخصية ذاع صيتها فى الآفاق . ولقـد يكون التعليق الشهير الذى علقت به سيدة من عصر « ڤكتوريا » على حياة كليوپترة ؛ بعد أن شاهدت عرضا لمسرحية « انطونيو وكليوباترا » حيث قالت « كم تختلف حياتك المنزلية عن حياة ملكتنا العزيزة » قد يكون هذا التعليق متفقا مع راى جمهرة الناس فى كليوباترا . لكن إذا نحن اعتبرنا هذه الملكة مجرد عاهرة كمـا وصفها شيكسبير فى مسرحيتـه متمشيا مع ما ذاع عنها ، أو إذا نحن اعتبرناها كفتـاة لعوب فى سن المراهقة كمـا صورها « برنارد شـو » فى « قيصر وكليوباترا » فإننـا لا نظلمها ظلما شديدا فحسب ، وإنما نكون قد خرجنا خروجا صارخا على الحقائق التاريخية . لقد وصفها أكبر اساتذة التاريخ الهلينستى الأحياء بأنها أعظم خلفاء الإسكندر الأكبر ، وإنها لمنزلة رفيعة ، لكنهـا لم تتبوءها فى نظر هذا الأستاذ دون جـدارة واستحقاق . وقـد تأثر

[- وراجع الآن :
T. C. Skeat, «Notes on Ptolemaic Chronology II: The Twelfth Year which is also the First: The Invasion of Egypt by Antiochus Epiphanes», **JEA** 47 (1961), 107-112].

عبد اللطيف احمد على « مصر والامبراطورية الرومانية » ، ١٩٧٢ ، ص ٧ — ٩ .

المؤرخون طويلا فى حكمهم على كليوباترا بالدعاية الرومانية الرسمية المفرضة التي شوهت سمعتها . ومهما قيل عن زلاتها الخلقية ، فقد كانت امراة ذات عبقرية فذة ، جديرة بأن تهابها روما كخصم ، وفى ذلك يقول الدكتور تارن (١) « إن روما التى لم تستسلم إطلاقا للخوف من أية دولة او اى شعب ، قد خشيت شخصيتين ، إحداهما هانيبال ، والأخرى إمراة » . ويبدو أن تارن كان على جانب كبير من الصواب (٢) حين اعتبر النبوءة السبوللية [٣] تتحدث عن كليوباترا وهى تنذر بسقوط روما على يد ملكة (despoina) يبدا بحكمها عصر ذهبى جديد : « سوف يسود السلام جميع ربوع آسيا ، وسوف تسعد عندئذ أوروبا ، وسوف يسود جو بديع مثمر لأطيب الثمرات خلال اعوام طويلة ، يقوم على اساس وطيد ، لا تفسده العواصف أو الأعاصير ، ولسوف ينعم بهذا الجو كل شيء فى الوجود حتى الطيور والحيوانات التى تدب على الأرض ... ذلك لأن السماء المتالقة بنجومها سوف ترسل العدل والنظام إلى الكون فينعم فى ظلهما الناس اجمعين ، وفى ركاب هذا وذاك يمشي الوئام والقناعة ، وكلاهما خير الناس وابقى من كنوز الدنيا جميعا . كذلك سوف تسود المحبة والوفاء والإخاء بين الفرباء ، وفى هذه الأيام يختفى الفقر والحرمان والفوضى والسباب والحسد والفضب والحماقة والقتل والتباغض والمهاترات المريرة ، والسرقات التى تحدث تحت جنح الظلام ، وكل انواع الشرور » .

---

(١) **Cambridge Ancient History,** X, p. 111

(٢) انظر ; **Journ. of Rom. Stud.** XXII, 1932, pp. 135-60.

ويعارض الاستاذ H. Fuchs وجهة نظر تارن فى كتابه :

Der geistige Widerstand gegen Rom in der antiken Welt, (Berlin, 1938), p. 36. (cf. F. Oertel, **Klassenkamph Sozialismus und organischer Staat im alten Griechenland,** Bonn, 1942, p. 63, note 133).

غير أنه لايحاول بصورة جدية هدم حجج تارن التى تعتبر مقنعة جدا وان لم تكن قاطعة حاسمة .

[٣] تنسب هذه النبوءة الى عدد من النسوة المتنبئات ، يقال ان عددهن قد اختلف باختلاف المكان ، بين ٢ ، ٢٠ ويطلق عليهن اسم (Sibyllae) وقد دونت نبوءاتهن فى مجموعة من الكتب باعتها احداهن للملك الرومانى تاركوينيوس . ومنذ ذلك الحين حفظت هذه الكتب فى الكابيتول بروما حيث كان يرجع اليها فقط عندما يرى السناتو ذلك .

ولم يكن المسيح المنتظر الذى انيط به إقامة هذا العصر الذهبى سوى هذه الفاجرة العنيدة التى تلوك سيرتها الألسنة ! وهل هناك من يستطيع الكشف عما كان يدور بخلد كليوباترا ؟ لعلها احبت انطونيوس كما احبها هو بكل تأكيد ، ولعلها لم تحبه إطلاقاً . لقد كان شغلها الشاغل دون ريب هو الاحتفاظ لمصر باستقلالها وتوسيع رقعتها إذا استطاعت ، وضمان العرش لأبنائها من بعدها . وهى لتحقيق هذه الأهداف تستغل افتتان انطونيوس بها ، غير انها كانت عند كثير من الشرقيين رمز المقاومة ضد الرومان ، والأمل المرتقب لتخليصهم من النير الرومانى ، واغلب الظن ان الالتواء الظاهر فى السياسة الرومانية لم يكن وليد تلاعب مقصود بقدر ما كان فى بعض الأحيان نتيجة للتردد وللتيارات الحزبية المتضاربة . ولكن الشرق كانت فكرته قد ساءت عن روما لأن الادارة الرومانية إبان تداعى الجمهورية كانت قد انتهجت مع سكان الولايات اساليب القهر وابتزاز الأموال . وهكذا وجدت المقاومة الطويلة ، والكراهية المتصلة ، والآمال التى داعبت الشرقيين اعواما عدة ، وجدت نصيراً لها فى كليوباترا . لكن هذه الملكة فشلت فى تحقيق الآمال التى عقدت عليها كما فشل هانيبال من قبل . وعقب معركة اكتيوم [٣١ق.م.] [١] وجد انطونيوس نفسه وحيدا بعد ان تخلى عنه اصدقاؤه ، فغرق فى لجج من اليأس ، ولم يعد ذا فائدة ترجى لكليوباترا ، وبرغم انها لم تفقد قطرة من شجاعتها ، فقد احست بأن حيلها الأنثوية لم تعد مجدية ولم يبق امامها إلا احد سبيلين : إما ان تموت ، أو ان تساق فى موكب النصر عبر شوارع روما . ولم يكن هناك مجال للتردد فى الاختيار [٢] .

وكان السؤال الذى القاه الجندى الرومانى على « خارميون » وهى تحتضر عندما وجد كليوباترا صريعة بين وصيفاتها « اتم ذلك على خير وجه ؟ » فكان الجواب كما ورد بدقة فى مسرحية شيكسبير : « لقد تم على خير وجه وبصورة تليق بأميرة تنحدر من اسرة كلها ملوك » . وكان اختيار

---

[١] تقع اكتيوم على خليج امبراكيا (Ambracia) على الساحل الغربى لبلاد اليونان المطل على البحر الادرياتيكى .

[٢] راجع :

H. Volkmann, **Cleopatra:** A Study in Politics and Propaganda. (London 1958).

كليوپترة للثعبان كى يخلصها من الأسر تصرف له مغزاه (١) : كان هذا الثعبان هو « الكوبرا » المصرية ، الثعبان المقدس فى مصر السفلى ؛ وكفرعونة وسيدة للأرضين ، لبست كليوپترة التاج المزدوج ، تاج العقاب لمصر العليا ، وتاج الكوبرا لمصر السفلى . وكانت الكوبرا خادمة لإله الشمس ، ولدغتها لا تمنح الخلود فحسب ، وإنما الألوهية أيضا . لقد سلكت كليوباترا إلى الموت طريق الملوك ، ولحقت بزمرة الآلهة . ولم يبق لاوكتاڤيانوس (Octavianus) من بعد إلا أن يضم مصر إلى ممتلكات الشعب الرومانى .



(١) انظر على سبيل المثال :
W. Spiegelberg, «Weshalb waehite Kleopatra den Tod durch Schlangenbiss?» in **Aegyptologische Mitteilungen** (Sitzungsber, der Bayerischen Akademie, 1925, Abh. 2, No. 1).

وقد دلل شبيجلبرج دلالة قريبة فقال ان الناچاهاچى (naja haje) او اليورايوس (uraeus) هى الافعى القرناء (ص ٥) . ولكن الناچاهاچى هى الكوبرا المصرية وان كان ثعبان جنوب اوروبا يسمى (vipera aspis) . وقد اصاب بيفان حين تحدث عنها بوصفها الكوبرا فى كتابه :
Egypt under the Ptolemaic Dynasty, p. 382.

[انظر الآن طريقة انتحار كليوباترا (بثعبانين) ومغزاه :

J. Gwyn Griffiths, «The Death of Cleopatra VII» **JEA** 47 (1961), 113-118].

الفصل الثالث

العصر الرومانى

وضع مصر كولاية فى الامبراطورية :

يقول اغسطس (Augustus) فى الوثيقة المشهورة التى سجل عليها اعماله المجيــدة والمعروفة باسم «Res Gestae» لقد ضممت مصر إلى ممتلكات الشعب الرومانى [١] . وقد جادل بعض العلماء المحدثين فى صحة هذه العبارة لأن مصر فى زعمهم لم تكن أبدا ولاية رومانيةـ بالمعنى الصحيح وإنما كانت ملكا خاصا للامبراطور . والحق أن هذا الرأى ليس من الميسور الدفاع عنه لأن مصر كانت فى الواقع ولاية (provincia) ، وإنما من طراز فريد . وبمقتضى التسوية التى تمت عام ٢٧ ق.م. كانت حكومة الإمبراطورية الرومانية من حيث الشكل ـ إن جاز لنا أن نستعمل مصطلحاً شائعاً اليوم ـ حكومة ثنائية . فلم يكن اغسطس إمبراطورا

---

[١] Mon. Ancyr. 27: **Aegyptum imperio populi Romani adieci.**
وتعرف الوثيقةايضا باسم «Monumentum Ancyranum» اى « اثر انقرة » نظرا لاننا عثرنا عليه فى تلك المدينة ، وهى صورة من الاصل الذى كان اغسطس قد امر بحفره على البرونز ووضعه فى ضريحه (Mausoleum) فى روما . والاصل اللاتينى فى اثر انقرة مشفوعبترجمة يونانية. وقدسمىالمؤرخالالمانىالمشهور مومسن (Th. Mommsen) هذه الوثيقة نظرا لاهميتها القصوى « غرة النقوش اللاتينية » . وقد عثرنا ايضا فى آسيا الصغرى على صورتين اخريين احداهما باللاتينية والاخرى باليونانية ، وهى لغة الشرق الهلينستى الذى كان خاضعا لروما . وعن هذه الوثيقة الهامة ، راجع :
E. G. Hardy, **The Monumentum Ancyranum.** Oxford, 1923.
F. W. Shipley, **Res Gestae Divi Augusti.** Loeb Classical Library. 1924.
V. Ehrenberg & A. H. M. Jones. **Documents illustrating the Reigns of Augustus and Tiberius.** Oxford, 1949.
J. Gagé, **Res Gestae Divi Augusti.** (Publ. Fac. Lett. Univ. Strasb. Textes d'Etudes 5). Paris, 1950.
Henrica Malcovati, **Imperatoris Caesaris Augusti Operum Fragmenta.** 4th ed. (Torino 1962), pp. 106-149.

مطلق السـلطة ، وإنما كان بمثابة المـواطن الأول فى جمهـورية حرة (princeps civitatis) وقد وزعت السلطة فى الولايات بينه وبين مجلس الشيوخ أو السناتو (senatus) ، وكما كان الحال فى الماضى ، فقد تولى إدارة الولايات التابعة للسناتو حكام مسئولون أمام هذه الهيئة يحمل كل منهم لقب بروقنصل (pro consule) [١] أو بروبريتور (pro praetore) ، وأما تلك التابعة للامبراطور فقد نصب عليها حكام يحمل كل منهم لقب نائب اغسطس ([legatus Augusti [pro praetore) . وكانوا يختارون عادة من طبقة السناتو .

هكذا كان النظام الجديد من حيث الشكل ، ولكن جوهره كان مختلفا عن ذلك بعض الاختلاف . وليس من الدقة فى شىء ان يقال ، كما يردد بعض الباحثين ، إن الولايات التى كانت تتطلب وجود حاميات عسكرية بها هى التى خصصت للامبراطـور ، بينما خصصت للسناتو الولايات التى لم تتطلب ذلك [٢] . فقد سمعنا عن حكام لولايات سناتورية يتولون قيادة الجيوش . ومع هذا فالكلام صحيح فى جملته . وكان اغسطس يتمتع فوق ذلك بسلطة أكبر او اعلى (maius imperium) من سواها كانت تخوله الاعتراض على أى سلطة اخرى فى كافة ارجاء الامبراطورية ،

[١] كان كبار الموظفين الرومان (magistratus) ، وعلى راسهم القنصلان ، وهما رئيسا الدولة ، (consules) فى العصر الجمهورى ، ينتخبون لمدة عام واحد ولا يجوز لهم ترشيح انفسهم لنفس المنصب الا بعد مرور عشر سنوات . وكان من عيوب هذا النظام اضطرار القناصل الاكفاء ذوى الخبرى العسكرية ، الى التخلى عن مراكزهم لمن يخلفونهم فى وقت قد تكون الدولة فيه منهمكة فى حروب خارجية . وقد تغلب الرومان على هذه المشكله باطالة مدة خدمة القنصل المشتغل بالحرب فى الخارج لفترة غير محدودة بعد موافقة السناتو على ان يسمى هذا القنصـل السابق فى هذه الحـالة (pro consule) ومعنـاها الحرفى « قنصل بديل » .

[٢] حرص اغسطس على أن يسند الى نفسه ادارة الولايات التى لم يكن الاحوال فيها قد استتبت وتحتاج الى عدد من الفرق الرومانية ، وهذه الولايات هى غاله (فى الشمال) واسبانيا (فى الغرب) وسوريا (فى الشرق) ومصر (فى الجنوب) . وبذلك ضمن بقاء القوة العسكرية الضاربة ، فى مختلف الجبهات تحت سيطرته . ومع هـذا فلم يلبث أن تدخل حتى فى شئون الولايات السناتورية ، وصارت قراراته تسرى عليها ، وقد تبادل والسناتو بعض الولايات فيما بعد .

والتدخل احيانا فى شئون الولايات السناتورية [١] . والواقع أنه احتكر السلطة العسكرية ، فقد أحرز اغسطس مركزه بحد السيف ، وكان السيف آخر الامر هو الذى يمكنه من الاحتفاظ به ، وإلى جانب السيف رضاء المحكومين عنه . ولامراء فى أنه من المستطاع إقامة حكومة دكتاتورية ضد رغبة السواد الأعظم من المواطنين ، لكن إذا لم يتيسر لهذه الحكومة ان تحيل مناوءتهم لها إلى رضاء عنها ، فلن يكون لديها أى أمل فى البقاء طويلا . ولئن كانت طبقة النبلاء الرومان ، التى اتاح لها نظام الجمهورية المحتضرة فرصاً جمة لاقتناء الثروة وإحراز المجد ، قد تبرمت من العهد الجديد لانه حرمها هذه الفرص ، فليس ثمة شك فى أن الأمبراطورية بأسرها ، بعد ما عانت الأهوال من جراء الحروب الأهلية الطويلة ، قد تنفست الصعداء باستقرار الأحوال على يد اغسطس ، بل إن كثيرا من الناس رحبوا بهذا الاستقرار ترحيبا شديدا . ومهما يكن من شيء ، فقد كان على اغسطس لكى يحتفظ برضاء الجماهير ان يحقق شرطين وهما : صيانة الأمن الداخلى ، وضمان وصول المؤونة بانتظام إلى إيطاليا والعاصمة . وكان اهم مستودعين للغلال فى الإمبراطورية هما إفريقية ومصر . وكانت إفريقية ولاية سناتورية ، قد استتب فيها السلام منذ امد بعيد ولا تتطلب وجود حامية عسكرية ضخمة فيها ؛ واما مصر ، التى لم تفتحها روما إلا فى وقت متأخر ، والتى اشتهر شعبها بالميل إلى الشغب ، فكانت بحاجة إلى حامية قوية . لذلك وضع اغسطس فيها

---

[١] هذه السلطة (imperium) التى خولت له كانت أكبر (maius) من أى سلطة فى يد حاكم لولاية ، وكانت تسمى بروقنصلية (proconsulare) لانه كان يمارسها بوصفه برو قنصلا اى حاكما على عدد من الولايات ، ومن ثم فانها كانت سلطة عسكرية لاتمارس الا خارج روما . وكان نواب اغسطس من حكام الولايات التابعة له يحكمون بتفويض منه . واما السلطة المدنيــة التى مارسـها اغسطس فى روما فكانت السلطة التريبيونيــة (tribunicia potestas) التى خولت له عام ٢٣ ق.م (بعد ان تنازل عن ترشيح نفسه للقنصلية نهائيا) . وهذه السلطة منسوبة الى كلمة تريبيون اى نقيب العامة ، حيث ان اغسطس منح سلطة نقيب العامة فى ذلك العام (٢٣ ق.م) عوضا عن السلطة القنصلية . وبهاتين السلطتين : البروقنصلية العليا ، والتريبيونية ضمن اغسطس السيطرة على الجيش من ناحية ، وعلى الشعب من ناحية أخرى ، راجع :

H. Last, «Imperium maius, A Note», **JRS** 37 (1947), 157-164
M. Grant, **From Imperium to Auctoritas.** (Cambridge 1949), 407-442 ; A. H. M. Jones, «The Imperium of Augustus» **JRS** 41 (1951), 112-119 (repr. in **Studies in Roman Government and Law**, 1960, pp. 3-17).

ما لا يقل عن ثلاث فرق رومانية (legiones) [١] — بالإضافة إلى القوات المساعدة الملحقة بها (auxilia) [٢] — ولم تكن الحالة تستدعى وجود مثل هذا الجيش الضخم ، حتى ان خليفته تيبيريوس (Tiberius) ادرك ذلك فسحب واحدة من هذه الفرق [٣] . ومصر ، كما اسلفنا ، بلد من السهل

---

[١] كان الجيش الرومانى (exercitus) يتالف فى عصر الامبراطورية من فرق بلغ اقصى عدد لها فى وقت ما ٣٠ فرقة (حوالى ١٦٠,٠٠٠ جندى) ، يحمل كل منها اسما ورقما وشعارا مميزا . ولم يكن يجند فيها سوى المواطنين الرومان (cives) سواء من ايطاليا نفسها — كما كان الحال فى أول الامر — أو من الولايات فيما بعد . وكانت الفرقة الواحدة (legio) تشتمل نظريا على ٦٠٠٠ جندى ، وتنقسم الى ١٠ كتائب ، تسمى كل منها (cohors) وتتالف من ٦٠٠ رجل . كما كانت الكتيبة تنقسم بدورها الى ٦ سرايا كل سرية منها (centuria) تتكون من حوالى ١٠٠ جندى . لكن الفرقة الرومانية كانت من الناحية الواقعية تشتمل على حوالى ٥٥٥٠ جنديا لان كل سرية كانت تشتمل على ٨٠ مشاة ، والكتيبة على ٤٨٠ ، يضاف اليهم ٦٦ جنديا مدفعية موزعين على السرايا الست وكذلك ٩ ضباط للكتيبة فيصبح عدد جنود الكتيبة كلها (٤٨٠ + ٦٦ + ٩) = ٥٥٥ . وكان يلحق بكل فرقة — على ما يبدو — ١٢٠ جنديا خيالة . وعلى ذلك يصبح المجموع الكلى لجنود الفرقة الرومانية ٥٦٧٠ .

وكان قائد الفرقة الرومانية عادة رجلا من طبقة السناتو يسمى (legatus legionis). واما فى مصر وحدها فكان رجلا من طبقة الفرسان يسمى (praefectus legionis) وكانت مدة خدمة الجندى فى الفرقة ١٦ سنة زيدت بعدئذ الى ٢٠ ثم الى ٢٥ سنة فى أواخر القرن الاول الميلادى . وكان الزواج محرما على جنود الفرق والقوات المساعدة (الكتائب والفصائل) وبحارة الاساطيل . ويعتبر زواجهم اثناء الخدمة غير شرعى ، وابناؤهم غير شرعيين (naturales-spurii)

[٢] وكانت تتالف من كتائب من المشاة (cohortes) وفصائل من الفرسان (alae) كل منها تضم اما ٥٠٠ أو ١٠٠٠ رجل تحت أمرة قائد (praefectus) مجندين غالبا من بين سكان الولايات غير المواطنين . وكانت بعض هذه الكتائب تنتظم مشاة وخيالة وتعرف باسم (cohortes equitatae) وقد قدر عدد رجالها جميعا فى كافة انحاء الامبراطورية على عهد اغسطس بحوالى ١٣٠,٠٠٠ ، وفى القرن الثانى بحوالى ٢٢٥,٠٠٠ ، وكانت مدة الخدمة فيها ٢٥ او ٢٦ سنة ، يمنح بعدها الجندى المسرح او المحارب القديم (veteranus) الجنسية الرومانية (civitas) هو وابناؤه ، مع حق الزواج الشرعى (conubium) وما يترتب عليه من آثار اهمها اكتساب الابناء جنسية الاب حتى لو كان متزوجا بامراة غير رومانية . ولا نعرف على وجه التحقيق عدد الكتائب والفصائل المساعدة التى كانت مرابطة فى مصر نظرا لتغيره من وقت لآخر . على اننا نعرف حتى الان اسماء ١٨ كتيبة ، ٨ فصائل على عهد الامبراطور انطونينوس بيوس : P. Mich. VII, 441 (introd. p. 50 f.)

[٣] اسم هذه الفرقة غير معروف حتى الآن ، ولعلها سحبت فى عهد اغسطس . واما الفرقتان اللتان بقيتا فى مصر فهما « ديوطاروس الثانية والعشرين » (legio XXII Deiotariana) و «فرقة قورينى الثالثة» (legio III Cyrenaica)

الدفاع عنه ، فكان فى وسع أى قائد طموح ، اذا وطد مركزه فيها ، أن يقطع عن روما مؤونة الغلال ، وأن يقطع عليها فى نفس الوقت إحدى الطرق التجارية الهامة التى تصل الإمبراطورية بالشرق . وقد رأى أغسطس أنه من الخطر إتاحة مثل هذه الفرص لحاكم من طبقة السناتو ، ولذلك لم ينصب عليها واليا من هذه الطبقة ، بل واليا من طبقة الفرسان[١] . ولا نجد إلا فى مصر وحدها دون سائر ولايات الإمبراطورية

=

وقبل عام ١٢٧ م أضيفت اليهما ثالثة ، وهى « فرقة تراچان الثانية (legio II Traiana) وقد سحبت « فرقة قوزينى الثالثة » من مصر بعد عام ١١٩ م. وأبيدت « فرقة ديوطاروس الثانية والعشرين » فى الحرب اليهودية (١٣٢ — ١٣٤ م .) فى عهد الامبراطور هادريان . وبذلك لم تبق فى مصر بعد هذا التاريخ سوى « فرقة تراچان الثانية الباسلة » ومعها القوات المساعدة . ومن العسير تقدير عدد جنود الجيش الرومانى المحتل فى مصر فى وقت بعينه . ولكن لسكيه (Lesquier) يرى انه لم يزد أبدا عن ١٧٫٠٠٠ او ١٨٫٠٠٠ بعد عام ٢٣ م . على أن غيره من العلماء يعتقد استنادا الى الوثائق المكتشفة حديثا ، انه كان يزيد عن هذا العدد ، انظر :

P. Mich. VII, 441, p. 49.

راجع أيضا المقال التالى الذى يثبت فيه الكاتب انه كان يوجد بمصر وحدات عسكرية اخرى لم يذكرها استرابون :

S. Daris, «Note per la storia dell'esercito romano in Egitto». **Aegyptus** 36 (1956), 235-246

وقد جمع هذا الكاتب أهم الوثائق العسكرية (دون النقوش) فى مصر الرومانية فى مجلد واحد :

S. Daris, **Documenti per storia dell'esercito Romano in Egitto.** Milano, 1964.

ويجد القارىء كل البرديات اللاتينية العسكرية وما اليها مجموعة فى :

R. Cavenaile, **Corpus Papyrorum Latinarum** (= CPL) [Wiesbaden 1956-58] pp. 200-264.

G. Forni, **Il reclutamento delle legioni da Augusto a Diocleziano.** Milano-Roma, 1953.

Abdullatif A. Aly, «A Latin Inscription from Nicopolis», **Ann. Fac. Arts, Ain-Shams Univ.** III (1955), 113-146.

CIL (= Corpus Inscriptionum Latinarum) XVI (= Diplomata Militaria) ed. by H. Nesselhauf (Berlin 1936), Appendix (pp. 143 ff.).

[١] كانت طبقة الفرسان (equites = ordo equester) طبقة اجتماعية (لا عسكرية كما قد يفهم من اسمها) وكانت تلى طبقة السناتو من حيث المركز والثروة . وكان

=

رجلا عاديا من طبقة الفرسان يتولى قيادة جيش مؤلف من الفرق [١] . وفضلا عن ذلك فقد استن اغسطس قاعدة ، غدت بمثابة سر من أسرار الإمبراطورية (arcana imperii) ، التى ائتمن عليها تيبيريوس ، مؤداها أنه لا يجوز لعضو من طبقة السناتو أو رجل ذائع الصيت من طبقة الفرسان (eques illustris) أن يدخل مصر دون إذن صريح من الإمبراطور .

وبينما كان اغسطس يحرص فى روما على أن يظهر فقط بمظهر المواطن الأول ، فإنه كان فى مصر وريثا للبطالمة ، وفى نظر المصريين فرعونا و « سيد الأرضين » ، وترسم صورة على الآثار مقرونة بالألقاب الإلهية المألوفة . وكان نائبه فى مصر ، المسمى والى مصر (praefectus Aegypti) محظورا عليه ، كأى ملك من ملوك مصر القدامى ، أن يركب النيل فى زمن الفيضان [٢] ، وظلت الأرض الحكومية تحمل اسم « الأرض الملكية » .

=

الالتحاق بها مشروطا بامتلاك نصاب مالي لا يقل عن ٤٠٠,٠٠٠ سسترتيوس . وقد تألفت فى عصر الجمهورية من رجال المال والاعمال كملتزمى جباية الضرائب والصيارفة والتجار والمتعهدين . وبدأت تنافس طبقة السناتو الارستقراطية منذ أيام جايوس جراكوس (١٢٢ ق.م) وبقيام الامبراطورية ازداد اعتماد الاباطرة على رجال طبقة الفرسان واستعانوا بهم كوكلاء (procuratores) من مختلف الرتب وبخاصة فى الشئون المالية والادارية سواء فى الولايات أو بعض المصالح الحكومية أو فى الديوان الامبراطورى أو فى قيادة الاساطيل . وكان لهم سلك وظيفى خاص بهم (غير سلك المناصب العامة السامية cursus honorum الخاص برجال طبقة السناتو) وقد يرتقى البعض منهم أعلى مناصب سلك الفرسان فيعين قائدا للحراسة الليلية والمطافىء ، أو مديرا للتموين ، أو واليا على مصر ، أو قائدا للحرس البريتورى (الامبراطورى) . انظر :

H. G. Pflaum, Les procurateurs équestres sous le Haut-Empire romain. Paris, 1950 ; A. H. M. Jones, «Procurators and Prefects in the Early Principate», **Studies in Roman Government and Law** (Blackwell 1960), 115-125.

[١] لذلك فوضه اغسطس سلطة الامبريوم (imperium) ليتمكن من ممارسة مختلف اختصاصاته . وعن هذا الامبريوم ، راجع :

H. Last, «The **Praefectus Aegypti** and his Powers», **JEA** 40 (1954), 68-73. وكتاب « مصر والامبراطورية الرومانية » ، ص ١٧٥ – ١٧٨ .

[٢] عن هذا الموضوع ، انظر الآن :

Danielle Bonneau, «Le Souverain d'Egypte voyageait-il sur le Nil en crue?», **Chron. d'Eg.** 36 (1961), 377-385.

وظل كل اقليم محتفظا « بكاتبه الملكى » لقد . كانت مصر ، كما أسلفنا ، ولاية ، ولكنها ولاية من طراز فريد فى الامبراطورية[١] .

الادارة المركزية :

ومع أن البلاد وقفت ، فيما يبدو ، جبهة واحدة إلى جانب اكليوباترا ، إلا أن السلطة الملكية كانت بلا ريب ضعيفة خلال الشطر الأكبر من القرن الأخير من عصر البطالمة ، حتى أن منطقة طيبة كادت أن تستقل فى بعض الأحيان . وكانت أولى المهام التى واجهت روما هى إقرار النظام ، وإقامة حكومة قوية . وقد خصص اغسطس لمصر ، كما ذكرنا ، قوات حربيـــة تفوق القدر اللازم لها ، وجعل معسكرها الرئيسى فى الاسكندرية[٢] ولو أن بعض كتائب منها كانت ترابط فى مواضع مختلفة من مصر العليــا . وقد تركزت السلطة العليا فى يد الوالى الذى كان فى نفس الوقت قائدا اعلى للجيش ، ورئيساً للادارة المدنية ، ومديراً للشئون المالية ، كما كان هو المتصرف الوحيد فى شئون العدالة ، بغض النظر عما كان فى يد بعض الموظفين المركزيين من سلطات محدودة للفصل فى قضايا معينة (٣) . والواقع أن الإدارة القضائية اصبحت مركزة إلى حد بعيد . إذ استبدل

---

[١] عن وضع مصر كولاية ، انظر :
A. Piganiol, «Le statut augustéen de l'Egypte et sa destruction», **Museum Helveticum X,** fasc. 3/4 (1953), 193-202.

عبد اللطيف احمد على « مصر والامبراطورية الرومانية فى ضوء الاوراق البردية » بيروت ١٩٧٢) ، ص ٤١ — ٥٧ .

[٢] كان هذا المعسكر (castra) يقع فى ضاحية للمدينة تعرف باسم نيقوبوليس (Nicopolis) وموضعها الآن سيدى جابر ومصطفى كامل . وفى هذا المكان رابطت ايضا قوات الاحتلال البريطانية ، وبعدئذ رابطت فيه قوات الجيش المصرى عقب الجلاء ، انظر :
Ev. Breccia, **Alexandrea ad Aegyptum.** Bergamo 1922, p. 86 f.

(٣) وخاصة تلك السلطة التى كانت مخولة للموظف القضائى الكبير المعروف باسم Iuridicus . ومن الجائز ان الـ Archidikastês كان هو الاخر مستقلا ببعض السلطات القضائية ، كما كان الحال بالنسبة للـ «Dioikêtês» (وهو موظف مالى) والـ «Idios Logos» (مراقب الحسابات الخاصة) ، كل فى المسائل الداخلة فى نطاق اختصاصه . وعن والى مصر الذى كان يلقب « بوالى الاسكندرية ومصر » (praefectus Alexandreae et Aegypti)
O. W. Reinmuth, «The Prefect of Egypt from Augustus to Diocletian» (**Klio,** Beiheft XXXIV, Neue Folge, 21), Leipzig, 1935.

بالمحاكم المتنقلة القديمة المجلس القضائى (conventus) الذى كان ينعقد دوريا ثلاث مرات فى السنة برئاسة الوالى ، مرة فى بيلوزيم (Pelusium) – وهى الفرما – للنظر فى قضايا اقاليم شرق الدلتا ، ومرة فى الاسكندرية للنظر فى قضايا غرب الدلتا ، ومرة فى منف للنظر فى قضايا اقاليم مصر الأخرى . وتيسيرا للمشاق التى قد يتجشمها المتقاضون من جزاء هذا النظام ، فقد جرت العادة على ان يفوض الوالى امر الفصل فى القضايا للموظفين المحليين أو غيرهم من رجال الإدارة ، أو يقوم هو نفسه بجولات تفتيشية كانت الظروف تسمح اثناءها احيانا بعقد المجلس القضائى لمنطقتى مصر العليا ومصر الوسطى فى بعض البلاد الواقعة جنوب الدلتا. ولم تكن مهمة هذا المجلس مقصورة على النظر فى القضايا او الإجراءات المشابهة ، بل كانت تفحص فيه ايضا التقارير والحسابات المقدمة من موظفى الأقاليم [١] .

=

] وانظر ايضا :

A. Stein, **Die Praefekten von Aegypten in der roemischen Kaiserzeit** (Diss. Bern. Ser. 1 Fasc. 1) 1950 ; O. W. Reinmuth, «Praefectus Aegypti», **Pauly-Wissowa,** RE XXII (1954), cols 2353-2377 & Suppl. Bd. VIII (1956), cols 525-539 ; **Id.** «A Working List of the Prefects of Egypt: 30 BC-299 AD», **Bulletin of the American Society of Papyrologists** IV (1967), 75-129 ; M. Humbert, «La Juridiction du préfet d'Egypte» in **Aspects de l'Empire romain,** chap. III, pp. 95-144 (Trav. et Rech. de la Fac. de Droit et des Sc. écon. de Paris – Série «Sciences Historiques, No. 1) 1964 ; P. Bureth, «Documents papyrologiques relatifs aux Préfets d'Egypte», **Bull. Fac. Lettres Strasbourg** t. 33 (1954), 135-148, (nouv. éd. sous presse dans **Rev. hist. de droit franç. et étr.,** 4ème sér. 46 [1968]).

وعن والى مصر منذ عصر دقلديانوس ، انظر :

H. Huebner, **Der Praefectus Aegypti von Diokletian bis zum Ende der roemischen Herrschaft.** Muenchen, 1952 ; Cl. Vandersleyen, **Chronologie des Préfets d'Egypte de 284 à 395.** Bruxelles, 1962].

[١] راجع : عبد اللطيف احمد على « مصر والامبراطورية الرومانية فى ضوء الاوراق البردية » (بيروت ١٩٧٢) ص ١٦٨ – ١٨٥ .

وأما عن كبار موظفى الحكومة المركزية فكان من بينهم اليوريديكوس (Iuridicus) [١] ، الذى كان يختار دائمـا من الرومان المنتمين إلى طبقة الفرسان ، ولا تتبين لنا بصورة واضحة مهام هذا الموظف ، لكن من الجائز أنها كانت تتضمن بعض اختصاصات وزير العدل فى العصر الحديث ، كما كان من بينهم الأرخيديكاستيس (Archidikastês) ، وهو موظف قضائى آخر ، وربما تجوز مقارنته ، إزاء ما كان له من سلطة على دار المحفوظات العامة ، « بأمين المحفوظات » فى انجلترا[٢] ، ومنهم أيضـاً الإيديوس لوجوس (Idios Logos) أو « مراقب الحسـابات الخاصة » الذى كان مختصاً بجميـع موارد الدخل غير المنتظمـة مثل الغرامات والمصادرات والأملاك التى لا أصحاب لها . وكان « الكاهن الأعلى للاسكندرية وسائر مصر »[٣] موظفاً هاماً من كبار الموظفين ، ومع أنه لم يكن هو نفسـه كاهناً بل موظفاً مدنياً رومانى الجنسـية ، إلا أنه كان صاحب السلطة العليا على كافة المعابد ، والمشرف العام على العبـادة والهيئة الكهنوتية ، وبواسطته كانت روما تسيطر سيطرة تامة على هذه الهيئة التى كانت تنبعث منها دائماً الحركات القومية . وكان الكهنة مطالبين بأن يقدموا سنوياً لمدير الإقليم (stratêgos) [٤] بياناً بأسماء

---

[١] ومعناها اللغوى « القاضى » ، ويعرف فى الوثائق اليونانية باسم ديكايودوتيس (Dikaiodotês) وعن هذا الوظف ، انظر :

H. Kupiszewski, «The Iuridicus Alexandreae», **Journ. Jur. Pap.** VII-VIII (1953-54) 187-204.

[٢] ويعرف هناك باسم «Master of the Rolls» وهو قاضى محكمة الاستئناف المهيمن على بعض المحفوظات العامة . وعن هذا الوظف الذى كان يختار عادة من بين كبار المواطنين الاسكندريين ، انظر الآن : P. Oxy. 2349 وكذلك القائمة الكاملة فى :

Anna Calabi, «L'Archidikastês nei primi tre secoli della dominazione romana», **Aegyptus** 32 (1952), 406-424.

[٣] ويسمى فى اليونانية

Archiereus alexandreias kai aigyptou pasês.

ويبدو أن الايديوس لوجوس كان يشغل أحيانا هذا المنصب ، راجع :

J. Scherer, «Idiologue et archiereus», **BIFAO** 41 (1942). 60-66.

[٤] استراتجوس معناها الحرفى قائد ولكنه لم يعد له اى سلطة عسكرية وصار بمثابة حاكم او مدير المديرية أو « المحافظ » .

سدنة المعبد وممتلكاته ، مع كشف بحساباته [١] ، وكانت الحكومة تقوم بتفتيش المعابد تفتيشاً دورياً ، وتحدد عدد الكهنة فى كل منها ، وتفرض على الزائدين عن هـذا العدد ضريبـة الرأس التى كان الكهنة فى عصر البطالمة يعفون منها [٢] . على أن الحكومة كفلت من ناحية أخرى للكنيسة ، إن صح استعمال الكلمة فى هـذا المقام ، التمتع بحقوقها وامتيازاتها المحدودة ، ولا نسمع أن الكهنة بدأوا يناوئون الحكم الرومانى مناوأة جدية إلا بعد انقضاء فترة طويلة على الفتح الرومانى .

وفى أواخر عهد البطالمة كانت الحكومة المركزية تدعيما لسيطرتها على إقليم طيبـة ، قـد عينت هناك موظفـاً يحمـل لقب إبيستراتيجوس epistratêgos [أى قائد أو حاكم نائب عن الملك] مزودا بسلطات مدنية وعسكرية واسعة . وراقت لأغسطس الفكرة فقسم مصر إلى ثلاث مناطق كبرى ، على رأس كل منها epistratêgos [أو « مدير عام »] [٣] ، وكانت المناطق الثلاث هى منطقة طيبة (Thêbais) ومصر الوسطى (التى سميت رسمياً « الأقاليم السبعة والإقليم الأرسينوى ») والدلتا . ولم يكن لمديرى عموم المناطق الثلاث الذين كانوا دائماً من المواطنين الرومان ، أى سلطة عسكرية ، ولا — فيما يبدو — دخل بالشئون المالية الا فيما ندر ، وإنما كانت اختصاصاتهم إدارية بحتة ، ومن بينها تعيين الموظفين المحليين .

التمييز بين طبقات المجتمع :

ومن المرجح برغم اعتراضات بعض العلماء أن الاسكندرية كانت قد فقـدت قبل نهاية العصر البطلمى ، المجلس التشريعى أو بالأحرى مجلس

---

[١] انظر الآن :
J. A. S. Evans, «A Social and Economic History of an Egyptian Temple in the Greco-Roman World», **Yale Classical Studies** XVII (1961), 149-283.

[٢] وجود هذه الضريبة فى مصر البطلمية أمر مشكوك فيه .

[٣] نلقبه كذلك لانه جرد من كل سلطة عسكرية فى عصر الرومان . وترجع نشأة وظيفته الى بداية القرن الثانى ق.م. على الاقل [P. Tebt. 778; cf. **Archiv** XII, 1936, 40-3] وكان يقيم عادة فى الاسكندرية مكتفيا بجولات تفتيشية فى المديريات التابعة له ويقوم اثناءها باى تحقيقات ادارية ، الى جانب رفع الترشيحات للوظائف الادارية المحليـة (ولا سيما الالزامية) الى الوالى لاقرارها بصفة نهائية .

الشورى (boulê) الذى يعتقد انه كان موجوداً بها منذ تأسيسها . ومن المقطوع به ان اغسطس رفض مطلب مواطنى الاسكندرية الخاص بإنشاء مجلس للشورى أو إعادته للمدينة . وطالما انه لم يستجب لمطلب الاسكندرية ، فلم يكن من المتوقع ان يسمح بقيام مجالس للشورى أو ما يشبهها فى عواصم الأقاليم (mêtropoleis) التى وإن كانت فى الغالب بلدانا كبيرة ، فقد ظلت من الناحية الدستورية البحتة ، قرى متضخمة(kômai). على أن سياسة اغسطس ادت إلى رفع مركز هذه العواصم . وكانت هذه السياسة تقوم على أساس تقسيم المجتمع إلى طبقات محددة إحداها فوق الأخرى ، وهو نظام كان الرومان مولعين به . وقد ساد الاعتقاد فى وقت من الأوقات ان سياسة التمييز العنصرى التى تعزى إلى البطالمة والتى تراخوا فى تنفيذها اثناء الحقبة الأخيرة من عصرهم ، انبعثت من جديد بشكل متطرف على عهد الرومان . وقد رأينا كيف ان هذا الرأى فى حاجة إلى التعديل بالنسبة للعصر البطلمى ، ويبدو انه لابد من تعديله أيضاً بالنسبة للعصر الرومانى . كانت الحكومة الرومانية ، وفقاً للرأى القديم ، تميز تمييزاً دقيقاً بين الإغريق بما فيهم المتأغرقين من سكان عواصم الأقاليم المختلطين بغيرهم من الأجناس وبين المصريين الذين كانوا على حد تعبير الرومان بمثابة « مستسلمين » (dediticii) [١] ، أى أدنى مرتبة من غيرهم ولا حقوق سياسية محددة لهم ، خاضعين — كرمز لخطتهم — لضريبة الرأس . وقد جادل الدكتور بيكرمان(E. Bickermann)فى صحة هذه النظرية ، وساق من الحجج

---

[١] « الاجانب المستسلمون — حسب تعريف الفقيه جايوس — هم الذين شهروا السلاح فى وجه الشعب الرومانى وقاتلوه ثم استسلموا له بعد الهزيمة » . ولا يبدو ان المصريين كانوا مستسلمين او بمثابة مستسلمين . وعن هذه الفئة ووضعها ، راجع :
H. W. Benario, «The Dediticii of the Constitutio Antoniniana», **Trans. Amer. Philol. Assoc.** 85 (1954), 188-196 ; J. H. Oliver, «Free men and Dediticii», **Amer. Journ. Philol.** 76, 3 (July 1955), 278 ff. ; A. H. M. Jones,, «The Dediticii and the Constitutio Antoniniana», in **Studies in Roman Government and Law** (Blackwell, Oxford 1960) 127-140 ; R. Böhm, **Aegyptus** 44 (1964), 206-310.

ما يبدو ـ فى نظرى ـ مقنعاً [١] ، وإن لم يقتنع بها بعد كافة الباحثين . ففى رايه ان جميع سكان مصر كانوا فى نظر الحكومة الرومانية بمثـابة « مصريين » فيما عدا المواطنين الرومان ومواطنى المدن الإغريقية الحرة الثلاث ، وأكبر الظن أيضاً ، وإن لم يكن من المؤكد ، من يعرفون باسم المسـتوطنين (katoikoi) وهم سـلالة ارباب الإقطـاعات العسـكرية بالفيوم [٢] . وتؤيد نظريته الأدلة المستقاة من أوراق البردى الخاصـة بضريبة الراس . فقد كانت هناك [بلا ريب] على عهد البطالمة ضريبة من هذا النوع تعرف باسم syntaximon ، ولو ان بعض الغموض لا يزال يكتنف طبيعة هذه الضريبة والطوائف الخاضـعة لها فى ذلك العصر . ويبدو ان ضريبة الراس فى الفترة الرومانية المسماة «لاوجرافيا» (laographia) والتى لدينا عنها معلومات أوفر ، كانت صورة معدلة من نفس الضريبة البطلمية القديمة [٣] . هذه الضريبة كانت تجبى من جميع الخاضعين لها نقدا ، بمعدل ثابت ، بغض النظر عن الدخل الفردى(٤) . وقد اعفيت منها سـلالة ارباب الإقطاعات فى الفيوم على ما يرجح ، والمواطنون الرومان

---

[١] انظر مقاله :
«Beiträge zur antiken Urkundengeschichte» **Archiv,** VIII (1927), pp. 216-39. غير ان حجج بيكرمان بالنسبة للعصر البطلمى غير مقنعة كل الاقناع .

(٢) كان الجنود الافريق الذين منحهم البطالمة انصبة او اقطاعات زراعية (klêroi) يسمون بارباب الانصبة او الاقطاعات العسكرية (klêrouchoi) . لكن بمرور الزمن اصبحوا مستوطنين (katoikoi) وبالتالى صار يطلق على اقطاعاتهم اسـم ارض المستوطنين (gê katoikikê) بينما صار الاسم الاول (klêrouchoi) يطلق غالبا على المصريين الذين جندهم البطالمة فى الجيش قرب نهاية القرن الثالث ق.م ومنحوهم اقطاعات صغيرة فى حدود خمس أو سبع ارورات .

[٣] لا توجد حتى الآن ادلة قاطعة على وجود هذه الضريبة فى مصر البطلمية ؛ راجع ما تقدم فى ص ٦٧ ، حاشية [١] ، ص ٩٨ هامش [١] .

(٤) عن ضريبة الراس ، انظر مقالى الذى نشر حديثا :
«The **Constitutio Antoniniana** and the Egyptian Poll-Tax», **J.R.S.** XXXVII (1947), pp. 17-23.

[وانظر ايضا المقال التالى الذى يختلف كاتبه مع الاستاذ « بل » فى الرأى :
V. Tcherikover, «Syntaxis and Laographia», **Journal of Justice Papyrology,** IV (1950), 179-207

راجع ايضا :
J. A. S. Evans, «The Poll-Tax in Egypt», **Aegyptus** 37 (1957), 259-265].

بالتأكيد ، ومواطنو المدن الإغريقية الثلاث ــ فيما عدا يهود الاسكندرية ــ وكذلك عدد معين من الكهنة فى كل معبد . واما سائر السكان دون الطبقـات التى ذكرناها فكانوا خاضعين لهـا ، ولو ان الحكومة لم تكن تعامل هؤلاء السكان معاملة واحدة . كان سكان الريف يدفعون ضريبة الرأس كاملة ، بينمـا كانوا مواطنـو عواصـم المـديريات او الأقاليم (mêtropolitai) يدفعونها مخفضة وبالأحرى يدفعون نصف قيمتها. كما كان الحال بلا ريب فى الفيوم ، وربما فى سائر الاقاليم أيضاً . على ان مواطنى عاصمة الإقليم كانوا لا ينتظمون كافة سكانها بل كانوا طائفة ممتازة منهم يحتمل ان اغسطس حددها وفقاً لمستواها المالى ومركزها الاجتماعى ، ثم طالبت هى نفسها فيما بعد بحقها فى الإعفاء من ضريبـة الرأس بحجة انتسابها إلى أرباب الإقطاعات الأوائل . ومغزى التفرقة مفهوم ، فقد استهدفت الحكومة الرومانية بذلك تأكيد تفوق الحضـارة الهلينية ، والتمييز بين الصفوة المتأغرقة المقيمة بالحواضر وبين جموع الفلاحين . ولم يقتصر الأمر على ذلك ، فكانت هناك تفرقة بين مواطنى العواصم انفسهم برغم أنهم كانوا جميعاً يدفعون ضريبة الرأس بالفئة المخفضة ، ومعنى هذا أنه كانت هناك صفوة داخل الصفوة ، وهى الطبقة المعروفة باسم « طبقة الجيمنازيوم » (hoi apo gymnasiou) [١] وكانت تتألف من المواطنين الموسرين الذين تلقـوا تعليمهم فى معهـد التربيـة (gymnasium) والتحقوا « بمنظمة تدريب الشباب » (ephêbeia) وكانوا وحدهم هم اللائقين لتولى المناصب البلدية بعواصم الأقاليم .

الادارة المحلية فى العواصم والقرى :

وكانت هـذه المناصب هى الأخرى من الأشـياء التى استحدثهـا الرومان . لقد كان الجيمنازيوم أحد المظاهر الخاصة بالحياة الإغريقية ، مثله فى ذلك مثل النادى او ملعب الكريكيت فى حياة الانجليز ، وحيثمـا كان يسـتقر الإغريق على شكل جاليـات منظمة ، كان لابد من إنشـاء

---

[١] لم توجد هذه الطبقة فى اقليم أرسينوى (الفيوم) وكان يقابلها هناك فئة تسمى بال « ٦٤٧٥ هلينى » وهم من سلالة ارباب الاقطاعات العسكرية ؛ انظر : (Plaumann, **Archiv,** VI, 176 ff.) . وعن طبقة الجيمنازيوم فى اكسورونخوس » راجع :

P. Mertens, **Les Services de l'Etat Civil et le contrôle de la population à Oxyrhynchus** (Brux. 1958), pp. 99 ff.

الجيمنازيوم الذى كان مركزاً عالياً للتربية ، البدنية منها والثقافية [١] ، وكان مرتبطا اشد الارتباط بمنظمة تدريب الشباب ، التى كانت بالنسبة للشباب الإغريقى شرطاً جوهريا لإدراج اسمه فى قائمة المواطنين أو فى الجالية (politeuma) ، وهى تلك الهيئة الاجتماعية السياسية التى استعاض بها كثير من الإغريق المستوطنين فى مصر عن المدينة الحرة . وقد انشئت على ايام البطالمة كثير من معاهد التربية حتى فى القرى حيثما كان يوجد عدد كاف من الإغريق المستوطنين . غير ان هذه المعاهد كانت خاصة . ويبدو ان اغسطس ألغى ما كان موجودا منها فى القرى [٢] ولكنه منح المعاهد الكائنة بعواصم الأقاليم ومديريها « الجيمنازياركيين » (gymnasiarchoi) صفة رسمية . كما انشأ الى جانب ذلك مناصب بلدية اخرى ، اقتبست اسماؤها واختصاصاتها من انظمة المدن الاغريقية الحرة، مثال ذلك منصب الاكسيجيتيس (exêgêtês) صاحب الاختصاصات الادارية المتنوعة ، لا سيما ما يتعلق بالأوضاع القانونية ، والكوزميتيس (kosmêtês) الذى كان مختصا بكل مايتصل بمنظمة تدريب الشباب [٣]

---

[١] عن الجنميازيوم بوجه عام ، انظر :
J. Delorme, **Gymnasion: Etude sur les monuments consacrés à l'éducation en Grèce** (des origines à l'Empire romain), Paris, 1960.

وعن الجيمنازيوم « فى العصر البطلمى » ، راجع ايضا :
Launey, **Recherches sur les armées hellénistiques** II. (1950) 836-869.

C. A. Forbes, «Expanded uses of the Greek Gymnasium», **Class. Philol.** 40 (1945), 32-42 ; M. P. Nilsson, Die hellenistische Schule (München, 1955), 85 ff.

[٢] عن جيمنازيارك القرية ، راجع :
F. Zucker, «Gymnasiarchos Kômês», **Aegyptus** 11 (1931), 485-496.

والى وقت قريب لم يرد ذكر الجيمنازيوم فى القرى بعد عام ٢ م (BGU 1201)

لكن انظر الآن الوثيقة التالية التى يرد فيها ذكر جيمنايوم فى قرية يوهيميريا (قصر البنات بالفيوم) فى عام ٢٠٦ م :
W. Müller, «Papyri aus der Sammlung Ibscher», **Journ. Jur. Pap.** XIII (1961), No. 4 (p. 50 f.).

[٣] انظر ، على سبيل المثال ، النقش التالى ، وان كان يرجـــع الى وقت متاخر (٢١٢/٢٢٠ م) :
Marcus N. Tod, «An Ephebic Inscription from Memphis», **JEA** 37 (1951), 86-99.

« والأرخيريوس (archiereus) الـكاهن الأعلى ، المهيمن على الشـئون الدينيـة ، والهيبومنيماتوجرافوس (hypomnêmatographos) « أمين السجلات » والأجورانوموس (agoranomos) « مراقب السوق العامة » الذى انيط به أيضا توثيق العقـود ، واليوثينيـارك (euthêniarchês) «مراقب التموين » . وكان هؤلاء الحكام المحليون (archontes) فى اول الأمر مستقلين أحدهم عن الآخر ، وكل منهم مسئولا عن اختصاصاته وحدها، لكن بمضى الزمن ، وقبل نهاية القرن الثانى بكل تأكيد ، أصبحوا يؤلفون لجنة (koinon) كانت بمثـابة نواة لمجالس الشـورى الذى انشـأها الإمبراطور سبتيميوس سفيروس (Septimius Severus) . كما كان يوجد بكل عاصمـة من عواصم الأقاليم ما يشـبه الجمعية العمومية للمواطنين (١) . وهكذا اكتسبت هـذه العواصم برغم أنها لم تكن مدنا حرة (poleis) بالمعنى المفهوم لدى الإغريق ، ولا بلاداً متمتعـة بالحكم الذاتى (municipia) بالمعنى المفهوم لدى الرومان ، اكتسبت على عهـد هؤلاء نظاما شبيهاً بنظام البلديات .

وكان يوجد فى مصر البطلمية نظام القيد اى إدراج أسماء السكان فى قوائم ، فأدخل الرومان نظام التعداد المنتظم ، الذى كان يجرى مرة كل أربع عشر سنة ، وكان يعرف باسم « السجل أو الاحصاء السكنى » (apographê kat'oikian) ويشمل إحصاء العقار المنزلى وتعداد النفوس على السواء . وكان المالك فى بعض الأقاليم أو مستأجر المنزل فى بعض الأقاليم الأخرى ، مطالبا بتقديم إقرار [apographê] مؤيد بالقسم عن منزله وجميع سكانه ، على اختلاف اعمارهم وأحوالى إلى لجنة معينة لهذا الغرض . وعلى أساس هذه الإقرارات كانت السلطات تعد كشوف

---

(١) عن المناصب البلدية وطريقة الاختيار لها ، أنظر :
A. H. M. Jones, «The Election of the Metropolitan Magistrates in Egypt», **J.E.A.** XXIV, pp. 65-72.

وعن مدير معهد التربية ، أنظر البحث التالى :
B. A. van Groningen, **Le gymnasiarque des métropoles de l'Egypte romaine,** Groningen, Noordhoff, 1924.

[وانظر الآن : الكتاب التالى الذى يتضمن قائمة وافية بمديرى معاهد التربية فى العصر الرومانى :
P. J. Sijpesteijn, **Liste des gymnasiarques des métropoles de l'Egypte romaine.** Amsterdam, 1967].

السكان [١] . وكانت شهادات الوفاة والميلاد تستعمل فى الفترة الواقعة بين تعداد وآخر لتصحيح البيانات الواردة بهذه الكشوف وجعلها متمشية مع الواقع (٢) . وكان التسجيل فى طبقة من الطبقات الممتازة يتم بعد فحص مستندات الطالب (epicrisis) التى يتقدم بها ابواه عادة عند بلوغه سن الرابعة عشر (وهى السن التى يبدأ عندها دفع ضريبة الرأس) للجهات المختصة على صورة إقرار يتضمن ما يثبت انه من سلالة اجداد ينتمون إلى هذه الطبقة [٣] .

وقد انشأ الرومان ايضاً إلى جانب دور المحفوظات المركزية بالاسكندرية دوراً اخرى لحفظ السجلات الرسمية فى جميع عواصم

---

[١] S. L. Wallace, **Taxation in Egypt** (1936), 96 ff.
M. Hombert & C. Préaux, **Chron. d'Eg.** 18 (1943), 291-305 ; P. Brux. Inv. E 7616 = P. Lugd-Bat. V (1952) ; R. Taubenschlag, **Law of Greco-Roman Egypt** (1955), p. 611 & n. 2; H. Braunert, **Die Binnenwanderung**... (1964) : **Idem**, P. Lugd-Bat. XVII (1968), 11-21 ; M. Faletti, **Chron. d'Eg.** 39 (1964), 111-119; P. T. Sijpesteijn, **Aegyptus** 46 (1966), 20 ff.

(٢) يشك بعض العلماء فى ان هذه الشهادات كانت اجبارية . فقد كان تسجيل الوفيات من الامور التى يمكن تركها لاسرة المتوفى فتقوم به من تلقاء نفسها ، لان الشخص كان يبقى خاضعا لضريبة الراس ما بقى اسمه مدرجا فى قوائم دافعى الضريبة . لكن انعدام المصلحة كان لايغرى على تسجيل المواليد ، على الاقل بالنسبة لمن هم غير معفيين من الضريبة ، مما يرجح انه كان اجباريا فى هذه الحالة . ومع هذا فالامر غير مؤكد .

[وعن اعلامات الوفاة وشهادات الميلاد ، راجع :
O. Montevecchi, «Ricerche di Sociologia V : Le denunce di morti», **Aegyptus** 26 (1946), 111-129 ; **Ead.** «Ric. d. Soc. VI : Denunce di nascita di greco-egizi», **ibid** 27 (1947), 3-24 ; «Ric. d. Soc. VII : Certificati di nascita di cittadini romani», **ibid** 28 (1948), 129-167; F. Schulz, «Roman Registers of Births and Birth Certificates», **JRS** 32 (1942), 78-91 ; **ibid** 33 (1943), 55-64; Cf. also P. Pescani, «Osservazioni su alcune sigle ricorrenti nelle 'professiones liberorum'», **Aegyptus** 41 (1961, 129-140].

[٣] انظر :
J. Bingen, «Les pap. Fond. Eg. Reine Elisabeth XIV: Déclaration pour l'Epicrisis», **Chron. d'Eg.** 31 (1956), 109-117; S. L. Wallace, **Taxation,** 403 ff.: Cf. also SB III 7239; IV, 7427; V 7561.

الأقاليم . وقد انقسمت هذه الدور فيما بعد فى أوقات تختلف باختلاف الأقاليم إلى اثنتين ، اولاهما «دار المحفوظات العامة» (bibliothêkê dêmosiôn logôn) التى كانت مختصة بحفظ جميع الأوراق الرسمية كالمكاتبات ، وكشوف الضريبة ، وسجلات الأراضى ، وقوائم التعداد ، وما إلى ذلك[١] . والأخرى هى « دار التسجيل العقارى » (bibliothêkê enktêseôn) المختصة بتسجيل الأراضى والمنازل (وكذلك العبيد) [٢] . وكانت الإقرارات وغيرها من العقود المرسلة الى هاتين الدارين تلصق أطرافها بعضها بالبعض الآخر فتتكون منها « كشوف جامعة » ، كما كانت تعد فيهما كشوف أخرى تتضمن «مستخلصات الوثائق» ، وغيرها تحتوى على « قوائم بعناوين الوثائق » . وكانت الكشوف ترتب غالبا ترتيبا ابجديا حسب الحروف الأولى من اسماء أصحاب المستندات ، كما كانت « اعمدة الكشوف » ترقم لتسهيل الرجوع إليها (٣) .

وفيما عدا ذلك بقيت الحال على ما كانت عليه فى عصر البطالمة ، إذ احتفظ الرومان بتقسيم البلاد القديم إلى اقاليم ، على راس كل منها « قائد » ولو انهم جردوه من جميع اختصاصاته العسكرية . وكان يعاونه

---

[١] كاليوميات اى دفاتر قيد الاعمال اليومية المسماة (hypomnêmatismoi) والخاصة بمختلف الموظفين ، ودفاتر صور الخطابات والمستخلصات منها ، وشهادات المواليد والوفيات ، والعرائض ومختلف الالتماسات ، والمكلفات ، وكشوف مسح الاراضى الخ .

[٢] يبدو ان دار التسجيل العقارى كانت ايضا دارا لايداع السجلات . وكانت لا تحتوى فقط على بيانات خاصة بالملكية بل أيضا على مستخلصات (diastrômata) من كل المعاملات او الصفقات التى تتاثر بها الملكية .

(٣) هناك بحوث كثيرة عن هذين الدارين ، وخاصة « دار التسجيل العقارى » ، انظر مراجع الفصل العاشر فى موسوعة كمبردج للتاريخ القديم (**C.A.H.** X, pp. 927-8) تحت عنوان : «The Document» ولا سيما كتب von Woess. Preisigke, Lewald, Eger عن الموضوع .

ويسمى الكشف الجامع «synkollêsimon» والمستخلص «eiromenon» وقائمة عناوين العقود «anagraphê» والعمود (اى الصفحة) «selis» . وكان الترقيم بالحروف الابجدية اليونانية . وتسمى الصورة (النسخة الرسمية) ekdosimon . وكان مكتب التسجيل فى عاصمة المديرية يسمى agoranomeion ، وفى القرية grapheion ويسمى اجراء التسجيل anagraphê والتوثيق dêmosiôsis . راجع :
H. Idris Bell, «The Custody of Records in Roman Egypt» **The Indian Archives.** Vol. IV, No. 2 (July-Dec. 1950), 116-125.

« كاتب ملكى » [١] . وظل الجانب الأكبر من الأراضى الجيـدة يؤلف الأراضى العامة ، ويحمل نفس الاسم القديم وهو « الأرض الملكية » ، كما ظل اسم « الأرض المقدسـة » يظهر فى سجلات الأراضى ، ولو أن جانبا كبيرا منها صادرته الحكومة عقب الغزو ، كما وضعت المعابد تحت رقابة أشد مما كانت عليـه فى أواخر عصر البطـالمة . وأما « أراضى الهبة » البطلمية ، فكانت تقابلها بعض الضياع الكبيرة (ousiai) التى منحها الأباطرة فى صدر العصر الرومانى لأعضاء من الأسرة المالكة ، أو النبلاء من الرومان ومواطنى الاسكندرية ؛ ولكن سرعان ما ادمجت هذه الضياع الواحدة تلو الأخرى ، عن طريق المصادرة او غيرها من الطرق[٢] ، فى املاك الامبراطور الخاصة (patrimonium) ، التى اصبحت من ذلك الحين تؤلف قسما خاصا من الأراضى يسمى « أرض الضياع » (gê ousiakê) ووضعت تحت إشراف وكيـل للامبراطور [هو ناظر الضـياع] (procurator usiacus) . وأما أرض الاقطاعات العسكرية (gê klêrouchikê) التى اصبح اربابها وقتئـذ يمتلكونهـا تملكا تاما ، فـكانت لا تزال تؤلف قسما منفصلا ، ولو ان الحكومة اوقفت منحها للعسكريين . وقد شجع الرومان ملكية الأراضي الخاصة فزادت مساحتها ، لأن الرومان كانوا يفضلون إرساء الجهاز المـالى والإدارى على عاتق سكان يملكون عقارا ثابتا ، يكفل اضطلاعهم بالمسئوليات ، ويضمن تحصيل التعويض منهم فى حالة حدوث عجز او تقصير . وقد صادرت الحكومة الرومانية جانبا كبيراً من الأراضي على اثر الغزو ؛ وباعت بعضها بالمزاد ، بينمـا عرضت الأراضى المهجورة أو غير الجيدة للايجار بشروط مرضية حتى تغرى الناس على استئجارها واستصلاحها للزراعة .

هكذا كانت الحـال فى مصر الرومانية بوجه عام : حكومة مركزية

---

[١] راجع :
J. G. Tait, **JEA** 8 (1922), 166-173; Henne, **Liste des Stratèges**, (1935) p. 43 ff.; G. Mussies, **P. Lugd. Bat.** XIV (1965) 13-46.

[٢] عن هذه الضياع ، انظر الآن :
Alfred Tomsin, «Notes sur les **ousiai** de l'époque romaine», **Studi in onore di Calderini e Paribeni** II (1957), 211-224 ; **Id.** «Le recruitment de la main d'œuvre dans les domaines privés de l'Egypte romaine», **Festschrift Oertel** (Bonn, 1964), 81-100.

قوية ، ذات جهاز إدارى واضح المعالم ، تسندها قوات عسكرية كافية لحفظ الأمن الداخلى وصد إغارات البدو من الصحراء ، ونظام بيروقراطى محكم حافل بالسجلات والرقابات ، ومجتمع هرمى الشكل منقسم إلى طبقات ممتازة وغير ممتازة ، وتفرقة فى المعاملة بين المتاغرقين من سكان العواصم وبين جمهرة الأهالى المصريين من سكان الريف .

وعندما تحل حكومة قوية قديرة لا تنقصها النزاهة محل حكومة ضعيفة فاسدة يستتبع ذلك حتما أن تزداد على الفور درجة الرخاء . ومهما قيل عن أحوال مصر على أيام كليوباترا ، فمما لا شك فيه أن الحكومة خلال الشطر الأكبر من عصر البطالمة الأواخر ، كانت حكومة عاجز متخاذلة . فقد خربت الخروب الأهلية المتصلة مساحات واسعة من الأراضى ، وركدت التجارة ، وتعطلت الصناعة ، وانهار نظام الرى بسبب الإهمال . ولكن الحكومة الرومانية ، بعد أن أخمدت لهيب الثورة العنيفة التى اندلعت فى منطقة طيبة على اثر ظهور جباة الضرائب الرومان هناك ، أعادت الأمن إلى نصابه ، وامنت الحدود من خطر الغزو [١] . وقد راجت التجارة الخارجية رواجا كبيراً بدخول مصر فى نطاق الإمبراطورية الرومانية ، وخاصة بعد تطهير البحر المتوسط من القراصنة ، وهى خدمة من أجل خدمات العصر الامبراطورى ، وادى اكتشاف الرياح الموسمية ، الذى يرجح انه تم فى أوائل العصر الرومانى (٢) ، إلى نشاط التجارة مع الهند والشرق نشاطا ملحوظاً . كما عهد اغسطس إلى جنوده فى مصر بمهمة اصلاح قنوات الرى وتعميقها ، وترتب على ذلك ، كما يقول استرابون (Strabon) (٣) ، انه بينما كان المحصول الوفير يتطلب قبل الفتح الرومانى ارتفاع منسوب ماء النيل إلى ١٤ ذراعاً ، وكان ارتفاعه

---

[١] عن هذه الثورة ، راجع :
عبد اللطيف احمد على « مصر والامبراطورية الرومانية » ص ٥٨ وما بعدها .

(٢) قارن ، مع هذا ، ص ٧١ ، حاشية ٢ ، من الفصل الثانى .

(٣) XVII, 788.

[واسترابون مؤرخ وجغرافى (٦٣/٦٤ ق.م. ـ حوالى ٢١ م .) وهو اغريقى تجرى فى عروقه دماء آسيوية . ولد فى بلدة اماسيا (Amasia) باقليم بنطوس (Pontus) بآسيا الصغرى ، وعاش فى روما بين ٤٤ ، ٣٥ ق.م. وزار مصر بين ٢٥ ، ١٩ ق.م. حيث جمع معلومات جغرافية لكتابة مؤلفه ، وقد عاد الى وطنه الاصلى فى ٧ ق.م. حيث توفى =

إلى ٨ اذرع معناه المجاعة ، صار ارتفاعه إلى ١٢ ذراعاً على عهد الرومان يأتى بمحصول وفير جدا ، ولم تكن البلاد تشكو قلة المحصول حتى عندما كان منسوبه يبلغ ٨ اذرع .

لكن إذا استندت حكومة قديرة إلى نظرية فاسدة ، فإن مقدرتها هذه قد تجعلها بمرور الزمن اكثر ضررا للبلاد من حكومة اقل منها كفاية . وهذا ما حدث بالفعل . فليس بين المؤرخين من لم يعجب بروما، تلك المدينة الإيطالية الحرة ، التى انشأت امبراطورية اوسع رقعة واطول بقاء واكفأ ادارة من اى امبراطورية اخرى ظهرت فى عالم البحر المتوسط من قبل ، والتى كفلت فى كافة ارجاء ممتلكاتها طوال قرون عدة سهولة فى المواصلات ، ووحدة فى الثقافة لم يشهد العالم مثلها ثانية إلا فى العصر الحديث . وجدير بنا [نحن الغربيين] ان نعترف دواما بجميل تلك الدولة التى نشرت المدنية فى غرب اوربا ، واستنت هناك تقاليد الأمن العام والحكم الذاتى ، تلك التقاليد التى قدر لها ان تعمر بعد زوال الإمبراطورية نفسها ، وان تنبت فى تربتها الحريات العامة التى ننعم فى ظلالها . بيد أن روما كانت اقل توفيقا فى الشرق ، حيث اتصلت بحضارة اعرق من حضارتها وارقى .

سياسة الاستغلال وبداية التدهور :

ان تاريخ مصر الرومانية قصة محزنة من قصص الاستغلال الذى يدل على قصر النظر وينتهى حتما بالانهيار الاقتصادى والاجتماعى . وقد سبق ان أشرنا الى فساد النظرية القائلة بمعاملة الأمة على انها مجرد ضيعة تستغل لصالح الحكام . ومهما قيل عن اساءة بعض الملوك البطالمة الأواخر إدارة ضيعتهم ، فقد كان معظم الثروة الناتجة عن هذه الضيعة يبقى على الأقل فى مصر ، ولكن روما كانت مالكا متغيبا ، فكان معظم القمح المحصل كإيجارات من مزارعى الأرض الملكية او كضرائب من ملاك الأراضى ، يرسل إليها مع الضرائب النقدية العديدة لينتفع به الشعب

=

هناك . وكان استرابون من الرواقيين ومن المعجبين بالرومان والامبراطورية . ولم يبق لنا من مؤلفاته سوى « الجغرافيا » — وهى فى الواقع جغرافيا تاريخية وفلسفة للجغرافيا — وتقع فى ١٧ كتابا ، يتناول الاخير منها مصر ، ويجده القارىء مترجما الى العربية فى كتاب « استرابون فى مصر » لوهيب كامل (القاهرة ١٩٥٣)] .

الرومانى فتخسره مصر تماماً . ولم يكن سبب ذلك ان الأباطرة كانوا يضمرون لمصر نوايا سيئة ، فكثيرا ما حذروا المسئولين من مغبة ابتزاز اموال الأهالى . وقد قيل إن الإمبراطور تيبيريوس عنف واليا ارسل إليه حاصل الضريبة زائداً عن النصاب السنوى ، وذكره بأنه إنما ولى على مصر ليجز وبرها لا ليسلخ جلدها [١] . ولدينا امثلة وردت متفرقة فى اوراق البردى تشير إلى ان السلطات كانت فى بعض الحالات الفردية تعامل الناس معاملة مشربة بروح الإنسانية (٢) . غير أن النوايا الحسنة كانت عديمة الجدوى . ما كانت الحكومة متمسكة بنظريتها الأصلية وهى ان مصر بقرة ينبغى حلبها لصالح روما . وليس ثمة شك فى أن البقرة كانت حلوباً ، ولكن روما دابت على استدرار لبنها حتى استنزفته . ويكفينا فى هذا الصدد ان نلقى نظرة على بردية برلين المشهورة باسم P. Gnomon ، اى القـــواعد المـــالية لمراقب الحســابات الخاصــة

---

[١] اتسمت سياسة تيبريوس بالحزم وعرف برعايته لشئون الولايات ، واليه يرجع الفضل فى تنظيم علاقة مصر الاقتصادية بالامبراطورية ، ووضع اساس ثابت للتبادل التجارى بينهما . وكان أغسطس قد منع اصدار العملة الفضية فى مصر ، مكتفيا بالدراخمات البرونزية التى تصدرها دار السكة فى الاسكندرية . فجاء تيبريوس وقرر اصدار عمـــلة فضية جديدة فى مصر من فئة التترادخمة (tetradrachmos) اى الاربع دراخمات (وهى فى الواقع خليط من الفضة والبرونز) وكانت تعادل فى قيمتها الدينار الرومانى (denarius) . وبذلك يسر طريقة تحديد الجزية السنوية وتقديرها وجبايتها ، وكذلك عملية الدفع بالدينار أو تحويله مباشرة الى تترادراخمة سكندرية وبالعكس ، راجع : J. Schwartz, «Réflexions sur les tetradrachmes d'Alexandrie au premier siècle p. C.», **Chron. d'Eg.** 41 (1966), 371-379.

(٢) لا ينصف رستوفتزف الرومان كل الانصاف حين يقـــول عنهم فى موسوعة (**C.A.H.** VII, p. 154): « ونسمع بين الفينة والفينة فى مراسيم بعض الاباطرة هذه النغمة (نغمة العطف على المصريين) ، لكن فيما عدا ذلك ، ننتقل بمجىء الحكام الرومان الى عهد لا يسمع فيه صوت الشفقة » . فالى جانب « بعض الاباطرة » (وعلى الاخص هادريان) ، نجد من وقت لآخر فى احكام الولاة أو غيرهم من المسئولين ما ينم عن روح انسانية . ولعل اروع مثل على ذلك هو تقاضى تيتيانوس (Titianus)، والى مصر ، عن القانون المصرى القديم الذى يخول للاب فصل ابنته عن زوجها ، اذ قضى ذلك الوالى بما يتمشى مع رغبة الابنة لا القانون الذى يجافى الروح الانسانية (انظر (P. Oxy. II 237, vii, 34 f. كان الاب يطالب بحق مشروع لا يقبل الجدال ، غير ان تيتيانوس توخى فى حكمه مبدا العدالة لانه راى أن القانون غير انسانى (apanthrôpos). ومع هذا فقد كان الحكم الرومانى متسما بوجه عام ، من الناحية المالية والادارية ، بروح استغلالية تفوق التصور . =

(Idios Logos) [١] ، أو ندرس قوانين تأجير الأراضى [٢] أو جبـــاية الضرائب [٣] ، لنرى مدى اصرار الحكومة على مطالبة مزارعيها بأعلى الإيجارات ، فى الوقت الذى لا تجزيهم عن مجهودهم الطويل الشاق إلا بادنى الأجور . ولم تكن السلطات تعالج كل ازمة أو مشـكلة مستجدة بإصلاح النظام إصلاحا جذريا مما كان وحده كفيلا باستئصال الداء ، وإنما بالالتجاء إلى إسعافات مؤقتة تعود بعدها الى الإمعان فى سياسة الإكراه . وكان صالح الخـزانة يتقـدم دائماً على غيره من الصوالح : فلا يجوز أن يتم شىء أو يرخص بأى امتياز قـد يؤدى إلى عجـز فى الايراد . وكان ضحايا هذا النظام يعلمون ذلك جيدا ، ويدركون أن صالح الخزانة هو الوتر الحساس الذى يستطيعون الضرب عليه باطمئنان ، عندما يرفعون شكاواهم إلى المسئولين . لقد كان الجهاز كله يقوم على اكتافهم ، فلو قصر احد من المكلفين بخدمة إلزاميـة فى ادائها ، أو إذا هجر مزارع مثقل بالضريبة ارضه ، لعاد ذلك بالضرر على الخزانة . ولذلك كانت اربح ورقة فى يد هؤلاء البؤساء هى التهديد بعدم التعاون ، وبهذا التهديد كانوا يختتمون دائماً شكاواهم المرفوعة إلى المسئولين . وتتردد هذه النغمة منذ عهد نيرون (Nero) فى الشكوى التالية على لسان جباة ضريبة الرأس فى بعض قرى الفيوم « هناك إذن خطر من أن نضطر بسبب عدم مقدرتنا المالية إلى التخلى عن تحصـيل الضرائب » (٤) . وبمرور الزمن أصبحت هذه النغمـة مألوفة فنسمعها على لسان أمراة اختيرت خطأ فى عام ١٨٠ م لاداء خدمة إلزامية « إننى فى خطر بسبب ذلك من أن أضطر إلى الرحيل عن محل إقامتى (٥) .

] راجع للمؤلف :
H. I. Bell, «Philanthrôpia in the Papyri of the Roman Period». **Hommages à J. Bidez et Fr. Cumont = Coll. Latomus** II (Bruxelles 1949), 31-37].

[١] انظر الآن :
S. Riccobono, jr., **Il Gnomon Dell'Idios Logos.** Palermo, 1950.

(٢) J. Hermann, **Studien zur Bodenpacht** (Münch. Beitr. 41 Heft). 1958.

(٣) S. L. Wallace, **Taxation in Egypt from Augustus to Diocletian.** Princeton 1938.

[٤] SB. 7462.

[٥] P. Tebt. II 327 = W. Chrest. 394.

والواقع أن هذه البوادر المنذرة بالشر ظهرت قبل منتصف القرن الأول الميلادي . وينقل إلينا فيلون (Philon) ، الفيلسوف اليهودى ، الذى عاش فى عصر الإمبراطورين كاليجـــولا (Caligula) وكلوديوس (Claudius) صورة مؤثرة عن الأحوال المعاصرة له . يحدثنا فيلون عن جبـــاة الضرائب الذين لا يتورعون حتى عن الحجز على جثة الشخص الذى قصر فى اداء الضريبة لارغام ذويه على دفع المتأخر عليه . ويحدثنا عن زوجات واطفال واقارب آخرين يزج بهم فى السجن ويسامون سوء العذاب للارشاد عن مكان اختفاء أحد الهاربين ، وعن قرى بأسرها ، بل بلاد اقفرت من سكانها (١) . وكان من الجائز لنا ، طالما لم يكن لدينا من الأدلة ما يؤيد فيلون ، ان نعتبر كلامه ضرباً من التهويل البلاغى ، بيد أن الوثائق التى وجدناها فى مصر فى تعزز كلامه فى جملته . فمنــذ عام ۲۰ م . اى منذ فجر العصر الرومانى ، نسمع عن فرار (anachôrêsis) المطالبين بدفع الضرائب (٢) ، كما نسمع على لسان جباة ضريبة الراس من ست قرى بالفيوم فى بردية مكتوبة بين عامى ٥٥ ، ٦٠ م . « إن سكان القرى المذكورة ، بعد ان كانوا كثرة ، قل عددهم حتى غدوا حفنة من الأفراد ، لأن البعض لاذوا بالفرار ، لانقطاع مواردهم ، والبعض الآخر ماتوا دون ان يتركوا اقارب » (٣) . ولدينـــا فوق ذلك أيضا القـــرائن المستمدة من المنشـــور الذى اصـــدره تيبيريوس يوليوس الإســكندر (Ti. Iulius Alexander) ، ابن شقيق فيلون ، الذى ارتد عن اليهودية والتحق بالجيش الرومانى برتبة ضابط ونصب واليـاً على مصر من سنة ٦٦ إلى ٦٩ م [٤] . نحن لا ننكر ان هذا المنشور [٥] — كما يرى بعض

(١) **De Spec. Leg.** II, 92 ff.; III, 159 ff.

(٢) P. Oxy. II, 251; 252; 253.

(٣) SB. 7462.

(٤) عن تيبريوس يوليوس الاسكندر ، راجع كتاب « مصر والامبراطورية الرومانية فى ضوء الاوراق البردية » (بيروت ۱۹۷۲) ص ١٤٠ ، هامش ٣ .

(٥) **OGIS** 669 = **SB** 8444 = **SEG VIII,** 793 = Evelyn-White & Oliver, **The Temple of Hibis in El Khargeh Oasis** (Metrop. Mus. Art; Eg. Exp. Publ. vol XIV) New York 1939. pp. 23-45 = A. C. Johnson, **Roman Egypt,** No. 440 (translation). Cf. also **BGU** VII, 1562.

وتاريخ هذا المنشور هو ٦ يوليو سنة ٦٨ م (وهى السنة الاولى من حكم الامبراطور جالبا (Galba) . ويتصدى لمعالجة اربع مظالم رئيسية هى : ضرائب الاراضى ، والديون ، والخدمات الالزامية ، وتعسف السلطة الادارية .

الباحثين ـ ربما كان الغرض منه هو الدعاية لصالح الحـزب المناوىء للامبراطور نيرون ، وان والى مصر الذى كان من انصـــار ڤسپسيان (Vespasianus) (١) ، خصم الامبراطـــور ، قد تعمـــد تهويل الشرور الموجودة . غير أن المظالم المشار إليها فى المنشور ، والشكاوى التى يزعم انها رفعت إليه بشأنها ، والتدابير التى وعدت الحكومة باتخاذها للقضاء عليها ، محـددة تحديداً لا يدع مجالاً للشك فى ان الوثيقة تمدنا بدليل صـادق على ارتكاب السلطات مخالفات بالغـة الخطورة ، فنسمع عن اشخاص يكرهون على التعهد بالتزام جبـاية الضرائب وعلى استئجار الأراضى العامة (وهذه النقطة تؤيدها الوثائق البردية كل التأييد) ، وعن وشاة لا هَم لهم ســوى التبليغ عن المتهربين من دفع ما فى ذمتهم « لمراقب الحسابات الخاصـة » [٢] ، وعن فلاحين فى شتى انحاء البلاد مرهقين بضرائب جديدة غير مشروعة (٣) .

---

(١) تنقل الينا الوثيقة (P. Fouad, 8) برغم انها لسوء الحظ مهلهلة جدا ، صورة ممتعة عن مظاهرات حدثت فى الاسكندرية ترحيبا بفسپسيان ، واسم الوالى مذكور فى السطرين ١٧ ، ١٨ ، وفيما يحتمل فى سطر ٢ ايضا ، [راجع عبد اللطيف احمد على ، « مصر والامبراطورية الرومانية فى ضوء الأوراق البردية » (بيروت ١٩٧٢) ص ١٤١ ـ ١٤٣] .

[٢] من هؤلاء المبلغين او المرشدين لديوان الحسابات الخاصة وهو ديوان الايرادات غير العادية اى غير المنتظمة ، راجع :

Naphtali Lewis, «On Legal Proceedings under the Idios Logos: Katêgoroi & Sukophantai», **JJP** IX-X (1955-56), 117-125.

(٣) انظر :

H. I. Bell, «The Economic Crisis in Egypt under Nero», **J.R.S.** XXVIII, pp. 1-8.

[وعن منشور تيبريوس يوليوس الاسكندر ، راجع ايضا :

W. Schubart, «Zum Edikt des Tiberius Iulius Alexander», **Archiv** 14 (1941), 36-43; W. Mueller, **Das Edikt des T. Iulius Alexander** (Doct. Diss., Muenchen) 1950; M. Rostovtzeff, **Soc. & Econ. Hist. of Rom. Emp.** 2nd ed. rev. by P. M. Fraser (1957), pp. 294 f. ; 673-674, notes 46-47 ; G. Chalon, **L'Edit de Tiberius Julius Alexander.** Etude historique et exégétique. Bibliotheca Helvetica Romana. Olten et Lausanne, 1964 ; M. El Abbadi, «The Edict of Tiberius Julius Alexander», **BIFAO** 65 (1967), 215-226].

مبدأ الالزام :

ويبدو ان التدابير التى اتخذها تيبيريوس يوليوس الإسكندر كانت ناجعة ، لانه ليس من باب المصادفة وحدها ، فيما يرجح ، الا تتضمن وثائق النصف الثانى من القرن الأول الميلادى سوى إشارات طفيفة عن وقوع اضطرابات خطيرة . لكن السلطات الرومانية ابتكرت نظاماً إدارياً ترتبت عليه اوخم العواقب . لقد كانت البيروقراطية البطلمية مهنية فى جوهرها ، يزاول فيها الناس حرفهم بمحض اختيارهم ، فكانت جباية الضرائب تعهد الى ملتزمين يتقدمون بعطاءاتهم مختارين ، وكان مزارعو الأرض الملكية ، برغم تقييد حريتهم فى التنقل ، يتقدمون من تلقاء انفسهم بطلبات استئجار الاراضى . صحيح ان الحكومة البطلمية كانت لا تتردد عند الأزمات فى تجنيد الأشخاص اللائقين لتولى الوظائف ضد مشيئتهم ، او فى ارغامهم على تحرير عقود بالتزام جباية الضرائب ، او اجبار الفلاحين على استئجار الاراضى الملكية . ولكن هذه كانت حالات استثنائية . فلما جاء الرومان ابقوا فى اول الامر على النظام البطلمى ، بيد انهم اخذوا يطبقون بالتدريج خلال القرن الأول الميلادى مبدأ جديداً وهو مبدأ « الإلزام » . (leitourgia) [١] ، وهى كلمة ماخوذة عن نظم المدن الاغريقية الحرة ، حيث كان المواطنون الاثرياء يلزمون بتأدية بعض الخدمات العامة كتمويل الجوقات المسرحية فى الأعياد [chorêgia] وتجهيز السفن الحربية [triêrarchia] وقد طبق هذا المبدأ فى مصر بالتدريج ، اولا فى حالة الوظائف المحلية الصغيرة ، وبعدئذ فى حالة المناصب الكبيرة ، فكانت السلطات ترغم الأشخاص اللائقين على شغل وظائف عامة معينة ، كوظيفة شيخ القرية وكاتب القرية والخفير والموظف المالى ومحصل الضريبة (عندما حل نظام التحصيل المباشر محل الالتزام بالنسبة لمعظم الضرائب) [٢] . وكان الملزمون بتولى هذه الوظائف يتقاضون

---

[١] الليتورجيا (leitourgia) هى الالزام بمعنى العمل الجبرى او العبء المفروض او التكليف . وينبغى عدم الخلط بين الالزام والتزام جباية الضرائب .

[٢] عن شيوخ القرية انظر البحث التالى والمراجع الواردة فى ذيل ص ٩٥ منه عن ادارة القرية بوجه عام :

A. Tomsin, **Etude sur les Presbuteroi des villages de la chôra égyptiennes.** (Acad. Roy. Belg. Bull. Class. Lettre. 5e Sér. t. 38). Bruxelles, 1952.

بعض مرتبات عنها فيما يرجح (١) ، ولو أن معلوماتنا عن هذا الموضوع طفيفة جدا ، وعلى اى حال فلم تكن المرتبات كافية لسد النفقات التى تتطلبها الوظائف ؛ هذا فضلا عن أن الموظفين كانوا مسئولين بأشخاصهم وأملاكهم عن كل ما يحدث من عجز أو خسارة مالية . وقد عمم مبدأ الإلزام فانتشر كالوباء فى جميع مرافق الإدارة ، فيما عدا المراكز العليا ؛ وطبق بمرور الزمن حتى فى حالة المناصب البلدية التى كانت من الوجهة النظرية ، مناصب اختيـارية ، وشرفا يطمع فيه الناس (فقـد كانت تسمى فى اللاتينية honores اى المناصب الشرفية للتفرقة بينها وبين الوظائف أو الأعباء العامة المسماة munera) . هذا النظام الذى طبق بمنتهى الدقة ، انتهى بالقضاء أولا على طبقة الفلاحين الميسورة ، وبعدئذ على الطبقة المتوسطة الأكثر يسارا(٢) . ولم يقف الإرغام عند هذا الحد ، فقد كانت شروط استئجار الأراضى العامة مجحفة ، وامتيازات التزام جباية الضرائب أو مزاولة غيرها من الأعمال فى وقت الضائقات المالية مشـوبة بروح التقتير الشـديد ، إلى حـد انه اصـبح من المتعـذر ان تجـد الحـكومة فى كثير من الأحيـان من يتقـدم لهـا بعطـائه مختـارا ، وعنـدئذ كانت تلجـأ إلى الإرغام . وكانت إحـدى وسائلها فى هذا الصدد الإجراء المعروف باسم (epimerismos) ، ومعناه أن ترغم قرية من القرى على زراعة الأراضى غير المسـتأجرة الكائنة فى

---

(١) هذا ما يفهم قطعا من وثيقة مثل (P. Harris 64) . لكن لما كان المرتب المذكور هو مرتب شخص قائم بالعمل نيابة عن آخر ، فالدليل المستمد من الوثيقة غير قاطع . ولدراسة موضوع « الخدمات الالزامية » بوجه عام ، انظر :
F. Oertel, **Die Liturgie.** Leipzig, 1917.

[وراجع الآن :
Naphtali Lewis, «Leitourgia Studies», **Proc. IXth Intern. Congr. Pap. Oslo** 1958 (London 1961), 233-245 ; **Idem,** «Exemption from Liturgy in Roman Egypt». **Actes du Xe Congr. Intern. Pap. Varsovie** 1961 (Varsovie 1964), 69-79 ; **Idem, Leitourgia Papyri** (P. Leit.). **Documents on Compulsory Public Service in Egypt under Roman Rule.** (Trans. Amer. Philos. Soc. N.S. —.vol. 53, part 9). Philadelphia, 1963].

(٢) انظر مقال A.E.R. Boak بعنوان «An Egyptian Farmer...» المشار اليه فى الفصل الرابع .

قرية أخرى ، وتوزع مسئولية زراعتها بالقرعة بين أهالى تلك القرية[١] .
وكانت وسيلتها الأخرى هى الإجراء المعروف باسم (epibolê) ، ومعناه
أن تلحق قطعا من الأراضى العامة بالأراضى الخاصة وبرغم أصحاب
الأخيرة على زراعة الأولى مع أراضيهم سواء بسواء[٢] . وهكذا اختفت
معظم الأراضى العامة آخر الأمر فى العصر البيزنطى باندماجها فى الأراضى
الخاصة التى كانت تلحق بها (٣) . وبمقتضى الإجراء الأول (epimerismos)
كانت القرية كلها مسئولة عن الزراعة ، وتبعاً لذلك مسئولة أيضاً
(وهو ما يهم الحكومة) عن دفع الضرائب المستحقة ؛ وبمقتضى الإجراء
الثانى (epibolê) كانت المسئولية فردية ، لكن بمرور الزمن ، كما يقول
فيلون ، صارت جماعية ، فإذا فر أحد مطالب بدفع الضريبة ، يلتزم
أهالى قريته بسدادها عنه متضامنين ، واذا عجز مستأجر أو مالك عن
الوفاء بالتزاماته او اختفى عن الأنظار ، يلقى عبء زراعة أرضه على
الآخرين . وفضلا عن ذلك فإن المكلفين بترشيح غيرهم سواء للأعباء
العامة (munera) أو للمناصب البلدية (honores) ، كانوا يعتبرون
ضامنين لمرشحيهم ، بل كانوا أنفسهم مسئولين عن أى عجز مالى يتسبب
فيه هؤلاء . وهكذا بالتدريج بدأ الفرد يحس على مر السنين بأنه حبيس
فى شبكة ضيقة الثغرات لا يستطيع منها فكاكا .

---

[١] راجع :

P. Ryl. II, 209 introd.;
P. Bour. 42 (p. 175 ff.).

[٢] انظر :

A. C. Johnson, «The **epibolê** of Land in Roman Egypt», **Aegyptus** 32 (1952), 61-72.

حيث يسوق من الأدلة ما يثبت ان اجراء الـ epibolê لم يكن له فى العصر الرومانى تاثير كبير فى توسيع رقعة الأراضى الخاصة .

راجع أيضا :

A. C. Johnson and L. C. West, **Byzantine Egypt : Economic Studies** (Princeton, 1949), 39 ff.; A. C. Johnson, **Egypt and the Roman Empire** (Ann Arbor, 1951), 67 ff.

(٣) انظر على سبيل المثال :

H. I. Bell, «An Epoch in the Agrarian History of Egypt», **Recueil Champollion**, Paris, 1922, pp. 261-271.

ازدياد التدهور :

لكن حالة الرخاء ، كما سبق ان نوهنا ، كانت مع كل هذا ، فى تدهور مطرد . ولم يأت القرن الثانى حتى كان مبدأ الإلزام قد طبق تطبيقا تاما على كافة الوظائف العامة (munera) ، فيما عدا العليا منها ، وكان على وشك ان يطبق ايضاً على المناصب البلدية (honores) . وفى عام ١١٥ م، كان منصب مدير معهد التربية فى بلدة هرموبوليس [الأشمونين] لايزال فى العادة اختياريا (١) ، لكن عندما اسس الإمبراطور هادريان المدينة الإغريقية الجديدة انتينوپوليس Antinoopolis [الشيخ عباده فى محافظة المنيا] فى عام ١٣٠ م تخليداً لذكرى صفيه انتينوس (Antinoos) واحضر المواطنين لتعميرها من شتى المديريات ، منحهم بجانب الامتيازات الخاصة الأخرى حق الإعفاء من عبء الوظائف الصغيرة العامة (munera) والمناصب البلدية الشرفية (honores) خارج حدود مدينتهم (٢) . ولدينا قرار من عهد خلفه الإمبراطور انطونينوس پيوس (Antoninus Pius) اصدره اهالى اوكسيرينخوس [البهنسا] تكريماً لأحد مواطنى بلدتهم ،

---

(١) انظر : P. Amh. II, 70, 2-4 لقد امر سعادة الوالى روتيليوس لوپوس (Rutilius Lupus) بتخفيف عبء النفقات التى يتطلبها منصب مدير معهد التربية حتى يقبل المرشحون على تحملها عن طيب خاطر . وفى ذلك دليل على ان السلطات بدات وقتئذ تجد صعوبة فى ايجاد مرشحين لائقين ، ولكن هؤلاء كان لا يزال فى استطاعتهم ان يرفضوا المناصب . وكان روتيليوس لوپوس واليا على مصر من ١١٣ (أو ١١٤) الى ١١٧ م .

(٢) يفهم من بردية نشرها ك.س.جاب ان هذا الامتياز الغى حوالى عام ٢٥٤ م . ، انظر :

K. S. Gapp, **Trans. Am. Phil. Ass.** LXIV (1933), pp. 89-97.

قارن ايضا :

E. P. Wegener, **Symbolae van Oven.** Leyden, 1946, p. 182 m. 117.

وعن انتينوپوليس ووضعها القانونى وامتيازاتها ، انظر :

P. Oxy. VIII, 1119 = W. Chrest. 397, 16. [Cf. Bell, «Diplomata Antinoitica, **Aegyptus** 13 (1933), 514-528].

وعن وجود الامتياز ، انظر :

H. I. Bell, «Antinoopolis: A. Hadrianic Foundation in Egypt». **J.R.S.** XXX (1940), pp. 133-47.

[ولكن راجع الآن المقال التالى الذى يتضح منه عدم الغاء الامتياز فى العام المذكور (٢٥٤ م) :

Hélène Cadell, «**P. Caire IFAO** Inv. 45; **P. Oxy.** XIV, 1719 et les privilèges Antinoïtes», **Chron. d'Eg.** 40 (1965), 357-363].

يؤكدون فيه انه قبل « بمحض إرادته » أن يتولى منصب مدير معهد التربية (١) . ولم ينته القرن الثانى حتى كان الإجبار هو القاعدة المتبعة التى لا تتغير (٢) ، واختفى تقريبا مبدأ الاختيار حتى غدت كلمة (leitourgia) فى القرن الثالث تستعمل للدلالة على الوظائف العامة (munera) والمناصب البلدية (honores) على السواء . ولدينا بردية بتاريخ ٢٠٢ م . يطلب فيها أحد ثراة الاسكندرية من الإمبراطور أن يأذن له بإنشاء صندوق خيرى لإعانة المكلفين بالخدمات الإلزامية فى بعض القرى بإقليم أوكسيرينخوس لأن هذه القرى على حد قوله « قد أصبحت من جراء الأعباء السنوية المرهقة الملقاة على عاتق أهلها ، مهددة بالخراب مما يعود بالضرر على الخزانة ويؤدى إلى ترك أراضيك غير مزروعة (٣) . واخذت مشكلة إيجاد مرشحين لائقين للمناصب البلدية تزداد صعوبة على مر الأيام . وتسجل برديات عديدة انتهاك السلطات لحق الإعفاء الذى منحه هادريان لمواطنى انتينوپولس ، وترينا كيف كان سكان العواصم ، وقد ناءت كواهلهم بالأعباء ، يحاولون بدورهم إرغام سكان القرى على تولى المناصب البلدية ، وهو أمر اضطر الإمبراطور سپتيميوس سفيروس أن يحظره . وإزاء تناقص عدد القادرين على تحمل هذه الأعباء المضنية مدة عام كامل ، فقد اخذ المنصب الواحد يسند لا إلى فرد بل إلى لجنة يباشر أعضاؤها مهام المنصب بالتناوب ، ففى أواخر القرن الثالث نجد بعض مديرى معاهد التربية مثلا يتولون منصبهم لأيام معدودات .

الثقافة والتعليم والحياة الاجتماعية :

ولم تتضح جميع آثار هذا النظام فى أول الأمر . وما لدينا من قرائن يشير فى جملته إلى أن معظم أنحاء مصر كانت تتمتع بدرجة لا بأس بها من الرخاء فى القرن الأول الميلادى ، وأما مظاهر الأزمة الحادة التى ألمعنا إليها فكانت أكبر الظن مؤقتة أو محلية . ويميل بعض الكتاب ، حتى بالنسبة إلى القرن الثانى الذى اخذت الحالة تسوء فيه تدريجياً ، إلى

---

(١) P. Oxy. III, 473 = W. Chrest. 33.

(٢) أنظر P. Ryl. II, 77 (بتاريخ ١٩٢ م .) ونجد فيها وصفا مفيدا (وفكها بالنسبة للقارىء الحديث) عن ترشيح رجل لمنصب « كوزميتيس » ومحاولاته اليائسة غير المجدية للتهرب من اعبائه .

(٣) P. Oxy. IV, 705 = W. Chrest. 407.

المغالاة فى تصوير حلكته [١] . لكن ينبغى الا ننسى انه قد تعاقب على العرش فى الشطر الأول من ذلك القرن بعض الأباطرة الأكفاء المستنيرين ، وكان من بينهم هادريان (Hadrianus) الذى اشتهر بالذات بعطفه على اهالى الولايات ، وقد ارتفع بفضل جهود هؤلاء الاباطرة مستوى الكفاية والعدالة فى الأداة الحكومية . ولا يتبين من المخلفات الأثرية ، كتلك التى وجدتها جامعة ميشيجان (Michigan) اثناء قيامها بالحفريات المنظمة فى قرية كرانس Karanis [كوم أوشيم] بالفيوم ، اى تدهور ملموس فى مستوى العمارة او فى رونق الحياة الاجتماعية قبل اواخر القرن الثانى ، فدب النشاط بصورة واضحة فى المجالس البلدية بعواصم الأقاليم وظل لواء الثقافة الهلينية مرفوعاً . وقد اظهرت الاكتشافات فى اوكسيرينخوس [البهنسا] ، التى لم تكن مدينة إغريقية بل مجرد عاصمة للاقليم ، انه كان فى متناول قرائها عدد ضخم من المؤلفات المتنوعة فى الأدب اليوناني الكلاسيكى بصورة تبعث على الدهشة [٢] . كانت اشعار هوميروس ، وهى الكتاب المدرسى الرئيسى فى التعليم اليوناني ، منبثة بداهة فى كل مكان [٣] ، ولا ينبغى ان ندهش لوجود قصائد هيسيود (Hesiodus) [٤]،

---

[١] تتفق الانسة بريو مع بل فى الراى فيما يتصل باحوال مصر فى القرنين الأول والثانى وانها كانت مستقرة وغير سيئة ، راجع مقالها :
Cl. Préaux, «La stabilité de l'Egypte aux deux premiers siècles de notre ère», **Chron. d'Eg.** 31 (1956), 311-331.

[٢] انظر :
E. G. Turner, «Oxyrhynchus and its Papyri», **Greece and Rome** XXI, no. 63 (Oct. 1952), 127-137; **Idem,** «Roman Oxyrhynchus», **J.E.A.** 38 (1952), 78-93; **Idem,** «Scribes and Scholars of Oxyrhynchus», Akten d. VIII Intern. Kongr. Pap. (Wien 1956), 141-146.

[٣] انظر :
J. A. Davison, «The Study of Homer in Graeco-Roman Egypt», **Akten d. VIII Intern. Kongr. Pap.** (Wien 1956), 51-58.

[٤] شاعر اخلاقى تاريخه غير معروف وان كان يرجح انه عاش بعد هوميروس فى القرن السابع ق.م. وفد من ايوليس (Aeolis) بآسيا الصغرى الى بلدة اسكرا (Ascra) باقليم بويوتيا (Boeotia) ببلاد الاغريق . وقد بدا حياته بنزاع مع اخيه برسيس (Persês) على الميراث الذى حاول الاخير بتقربه الى الحكام ان يحصل على اكثر من نصيبه فيه . ومن اشهر مؤلفاته « الأعمال والأيام » وهى قصيدة يندد فيها الشاعر بجور النبلاء
=

لكن المثير للدهشة حقا هو أن نجد ، بالإضافة إلى المؤلفات التى قدر لها البقاء إلى ما بعد العصور الوسطى ، وأغانى سافو وروايات منساندر (Menander) [١] وقصائد كاليماخوس ، التى كان معظمها قد ضاع وقتئذ ولو أنها كانت معروفة للقراء فى القرون الأولى الميلادية ، من المثير للدهشة أن نجد كثيراً من المؤلفات التى كان بعض علماء اليوم قد تعجلوا فى الحكم بأنها لم تكن متداولة فى ذلك الوقت [٢] ، ومن بينها أجزاء من قصائد الشعراء الغنائيين وروايات الكتاب المسرحيين الأوائل ، « كأناشيد الشكر » وغيرها من المنظومات لپندار والشعراء المعاصرين ، وروايات آيسخولوس المفقودة (التى يمكن أن نتبين إثر حوالى ٤٠ منها) فضلا عن روايات أخرى لسوفوكليس ويوريپيديس وأرسطوفان ، ومقتطفات من الشعر الليامبى والخولياميى[٣] . ومن الواضح أنه كان فى وسع المقيم بأوكسيرينخوس [البهنسا] وربما أيضا بجهات أخرى من مصر ، أن

=

وتعسف الحكام مع صغار الفلاحين ، ويحث فيها هؤلاء على العمل المضنى ، ويورد فيها الى جانب ذلك كثيرا من الارشادات والحكم والأمثال . وشعره كشعر هوميروس من الوزن أو البحر السداسى الوحدات (hexametron) الذى تتألف فيه الوحدة (metron) من مقطع طويل يليه مقطعان صغيران (dactylus) أو من مقطعين طويلين (spondeus)

[١] شاعر مسرحى من أثينا (٣٤٢ — ٢٩١ ق.م.) ، ويعتبر أمير الكوميديا المعروفة باسم « الكوميديا الجديدة » التى ازدهرت منذ صدر العصر الهلينستى . وبرغم غزارة انتاجه فليس لدينا رواية واحدة كاملة من رواياته التى بلغت المائة . وبفضل البرديات المكتشفة فى مصر أصبح لدينا الآن أجزاء كبيرة من خمس روايات له وهى (التحكيم) ، (فتاة ساموس) ، (مقصوصة الشعر) ، (البطل) ، « المتبرم بالناس » ، «السيكوونى» و « المكروه » . وتتميز كلها بالفكاهة ، وبراعة تصوير الشخصيات ، وسهولة الأسلوب ، وعدم التكلف ، وبساطة اللغة التى تقرب أحيانا من اللغة الدارجة (koinê) ، وتعطينا صورة صادقة عن الحياة اليومية والأحوال الاجتماعية فى عصره . وقد حاكاه كتاب المسرح الرومان أمثال بلاوتوس (Plautus) وترينتيوس (Terentius) وكان له أثر كبير على كتاب القرون الحديثة مثل موليير .

[٢] عن رواج مؤلفات بعض الكتاب فى مصر دون الآخرين راجع :
W. H. Willis, «Greek Literary Papyri from Egypt and the Classical Canon». **Harv. Libr. Bull.** vol. XII, No. 1 (Winter 1958). 5-14.

[٣] عن الشعر الليمابى ، انظر ص ١٤ حاشية ٢ . وأما الخولياميى (choliambus) فهو ضرب من الوزن الايامبى غير أن آخر وحدة فيه مكونة من مقطعين طويلين (spondeus) بدلا من مقطع قصير يليه مقطع طويل (iambos)

يحصل على مجموعة كبيرة من المؤلفات التى لم يصلنا منها سوى جانب ضئيل . ولا ريب فى انه كان هناك جمهور كبير من القراء ، وتجارة رائجة فى الكتب . ولدينا خطاب بردى طريف نشر من عهد غير بعيد (١) ، ينقل

---

(١) انظر: P. Oxy. XVIII, 2192، والترجمة للاستاذ الذى نشر البردية . ولم يرد لكتاب هوبسيكراتيس ذكر فى اى مكان آخر ولم يكن ثرساجوراس معروفا من قبل .

انظر ايضا :

H. I. Bell, «The **Thyestes** of Sophocles and an Egyptian Scriptorium», **Aegyptus** II, pp. 281-8.

وقد ورد فى كتالوج احدى المكتبات التى يجد القارىء نبذا منه منشورة فى مقالى سالف الذكر ، اسم رواية بلوطس «Plutus» لارسطوفان ، واسماء غيرها من المؤلفات ، الى جانب رواية « ثويستيس » الثالثة . وقد نشرت القصاصة البردية كلها التى يرجع انها من اكسورونخوس ، فى المقال التالى :

K. Ohly, **Stichometrische Untersuchungen** (Leipzig, 1928), pp. 88-9.

ومن المؤلفات الادبية التى كانت فى متناول القراء فى اوكسيرينخوس انظر :

Sir F. G. Kenyon, «The Library of a Greek of Oxyrhynchus», **J.E.A.** VIII, pp. 129-38.

وفى وسعنا الآن ان نضيف كثيرا من الاسماء الى القائمة التى نشرها سير كينيون ، فيجد القارىء قائمة بالمؤلفات الادبية المدونة على أوراق البردى او الشقف والتى كانت فى متناول القراء وقتئذ فى الكتاب التالى :

C. H. Oldfather, **The Greek Literary Texts from Greco-Roman Egypt.** Madison, 1923.

وقد اكملت هذه القائمة واضافت اليها ما اكتشف حديثا الاستاذة :

L. Giabbani, **Testi letterari greci di provenienza egiziana** (1920-45). Florence, 1947.

[انظر الآن :

W. Schubart, **Griechische literarische Papyri** (= Berichte über die Vernhandl. d. Sächs. Akad. d. Wiss. in Leipzig, Phil.-Hist. Kl. Bd. 97, Heft 5.), Berlin, 1950.

واوفى قائمة للبرديات الادبية توجد الآن فى الكتاب التالى :

R. A. Pack, **The Greek and Latin Literary Texts from Greco-Roman Egypt.** Second Revised and Enlarged Edition. Ann Arbor, 1965.

وعلى ص ٢ توجد قائمة بالبرديات الخاصة بالسحر]

ويجد القارىء جانبا من البرديات الادبية منشورا ومترجما فى الكتاب التالى :

D. L. Page, **Greek Literary Papyri** (Poetry, vol. I) L.C.L. 1942.

إلينــا طرفا ممتعا من حياة جمــاعة من هواة الكتب فى أوكسيرينخوس ويقول مرسله فيه : « انسخ لى الجزئين الســادس والسابع من كتـــاب شخصيات فى الكوميـــديا لهوپسيكراتيس (Hypsicrates) وارسلهما لى لأن هرپوكراتيون يقول إنهما بين كتب پوليون ، وإن كان من المحتمل أن آخرين ايضاً قــد اقتنوهمـــا . ولديه كذلك موجز منثور لكتـــاب ثرساجوراس (Thersagoras) عن اساطير التراجيديا » . وتضيف يد اخرى إلى ما فات هـــذه الملاحظة : « وكما يقول هرپوكراتيون فهما يوجدان لدى ديميتريوس بائع الكتب » [١] .

وبالرغم من انتشار الامية [٢] ، وخاصة بين النســاء ، فإن التعليم لم يكن مقصوراً بأى حال على الصفوة من الاثرياء ، فقــد ادركت قيمتـــه وسعت فى طلبـــه تلك الطبقـــة المتوسطة التى بذل الرومان قصـــارى جهدهم فى سبيل بنـــائها . كان التعليم يبـــدأ بالقراءة والكتابة ، أولا الحروف الأبجدية ، فالمقاطع المكونة من حرفين ، فالمكونة من ثلاثة ، ثم المكونة من اكثر من ذلك ، وبعدئذ الكلمات الكاملة التى تكتب عادة مقطعاً مقطعاً (٣) .

وكان منهج الدراســـة يتدرج بعـــد ذلك فى المراحل الآتية : النحو

---

[١] راجع :
C. H. Roberts, «Literature and Society in the Papyri», **VIIe Congr. Intern. de Pap.** Génève (Museum Helveticum, X, fasc. 3/4) 1953, pp. 264-279; E. G. Turner, «L'Erudition alexandrine et les papyrus», **Chronique d'Egypte** 37 (1962), 135-152; **Idem, Greek Papyri: An Introduction** (Oxford, 1968), 97 ff.

[٢] عن الأميين فى مصر اليونانية ــ الرومانية ، راجع :
E. Majer-Leonhard, **Agrammatoi**, Diss. Frankfurt, 1913; R. Calderini, «Gli **agrammatoi** nell'Egitto greco-romano», **Aegyptus** 30 (1950), 14-41; H. C. Youtie, «Pétaus, fils de Pétaus, ou le scribe qui ne savait pas écrire», **Chronique d'Egypte** 41 (1966), 127-143.

(٣) مثال ذلك : a di kos ê the os (= adikos hê theos)
انظر :
O. Guéraud & P. Jouguet. **Un livre d'écolier du IIIème siècle avant J.-C.** Cairo, 1938, p. 14, 1. 121.

والبلاغة والأدب والرياضة (بما فى ذلك المقاييس) ، والفلسفة . وكان التلاميذ يطالبون بكتابة موضوعات إنشائية ، وفى مرحلة اعلى ، بكتابة خطب فى موضوعات مقررة . وإلى جانب ذلك كانوا يدرسون شيئاً عن القصص والأساطير الإغريقية . ويتبين من كثرة اختيار الحكم والأمثال لتمرين التلاميذ على المطالعة ، إهتمام المربين بالناحية الاخلاقية ، ولو ان بعض هذه الأقوال المأثورة (gnômai) كانت من النوع التهكمى الساخر — مثل الأبيات المنسوبة إلى سيمونيديس (Simonidês) [١] . وكان هوميروس هو حجر الزاوية فى نظام التعليم : وتقول ام فى خطاب إلى ولدها « لقد حرصت على الكتابة إليك لأستفسر عن صحتك واعرف ماذا كنت تقرأ . فقد قال لى [المدرس] إنه الكتاب السادس » فلم يكن هنالك ما يدعو إلى تحديد الاسم لأنه كان معروفاً انها تقصد الكتاب السادس من الإلياذه (٢) . وإلى جانب ذلك كان التلاميذ يدرسون كتاب القصص التمثيلى ، التراجيدى منه والكوميدى ، وائمة الشعر الغنائى ، وبالطبع الخطباء .

وفى المراحل الإولية من التعليم على الأقل كانوا يكثرون من استعمال كسر الفخار (الشقف) ، وكذلك الألواح المكسوة بالشمع ، التى كانوا يستطيعون الكتابة عليها اكثر من مرة . وطبيعى ان الحاجة كانت شديدة إلى الكتب المدرسية . ويقول تلميذ فى خطاب يرجع إلى القرن الثانى (٣) « أرجوك ان (تطلب ؟) من الوصى ان يمدنى بلوازمى المدرسية ومنها كتاب للمطالعة من أجل هيرايدوس » . ولما كان هيرايدوس (Hêraidous)

---

[١] شاعر غنائى مجيد (٥٥٦ — ٤٦٨ ق.م.) ولد فى جزيرة كيوس (Ceos) وقد كتب فى موضوعات متنوعة منها المديح (Encomia) وتقع فى هذا الباب اهازيج النصر (Epinicia) التى نظمها تمجيدا للفائزين فى الالعاب الرياضية ، ومنها المراثى (Threnoi) وتدخل فيها ابياته الجنائزية التى تكتب على شواهد القبور (Epigrammata) واشهرها رثاؤه لابطال اسبرطة الذين استماتوا فى الدفاع عن ثرموبيلاى (٤٨٠ ق.م.) ، ومنها خمرياته (Scolia) وهى اغانى تنشد فى المادب وتعبر عن الاحاسيس الشخصية . كما كتب قصائد قصيرة متنوعة من الشعر الاليجى (Elegeia) وهو شعر تتالف فيه وحدة القصيدة من بيتين احدهما من الوزن السداسى يليه آخر من الوزن الخماسى . كما تنسب اليه بعض الحكم والاقوال المأثورة (gnômai) ويمتاز سيونيديس ببراعة فى انتقاد الالفاظ ، وطلاوة الشعر ، وموسيقية الاسلوب .

(٢) P. Oxy. VI, 930 = **Select Papyri** I, No. 130.

(٣) P. Giss. 85.

اسماً لتلميذة ، هى إبنة احد مديرى الأقاليم ، فالخطاب يتضمن إشارة إلى نظام التعليم المختلط . ويرى بعض العلماء (١) أن كثيراً من البرديات المأخوذة من لفافة كانت مستعملة من قبل لكتابة وثيقة رسمية ، والتى نجد نصاً ادبياً مكتوباً على ظهرها ، ربما تكون مسنودات مدرسية . وكان يوجد فيما يبدو إلى جانب المدارس المحلية ومعاهد التربية مدرسون خصوصيون لهم مكانة فى المجتمع يفد اليهم التلاميذ من جهات نائية مما يقابل إلى حد ما المدارس الداخلية فى العصر الحديث . وعندما يتم التلاميذ المراحل الأولى من التعليم ، كان الراغبون منهم فى التعليم العالى يلتحقون بجامعة الاسكندرية . ويعطينا خطاب نشر حديثاً (٢) كتبه طالب يحتمل أنه كان مقيما بتلك المدينة ، فكرة واضحة عن عقلية الطالب الجامعى القديم . ومع أن مضمون الخطاب مفهوم ، إلا ان كاتبه للأسف لا يذكر لنا شيأ عن مقرر دراسته . وليس ثمة ما يدعو إلى أن نحمل حكمه على التدريس محمل الجد حين يقول « أما عن نفسى ، فلو اننى وجدت بعض المدرسين الأفاضل ، لما كنت والله نظرت إلى ديدوموس (Didymus) حتى من بعيد ــ إن ما يدخل اليأس على قلبى هو ان ذلك السيد الذى لم يكن سوى معلم ريفى ، يعتبر نفسه نداً لبقية المدرسين . ولما كنت أعلم ــ بغض النظر عما أتكبده من مصروفات باهظة تذهب هباء ــ انه لا خير يرجى من المدرس ، فانا اعتمد على نفسى » [٣] . وأما

---

(١) الاقتراح للإستاذ اولدفاذر (Oldfather) على صفحة ٦٨ وما بعدها من كتابه المذكور اعلاه (انظر ص ١٢٠ حاشية ١)

(٢) P. Oxy. XVIII, 2190. والترجمة هنا أيضا بقلم الناشر

[٣] عن التعليم فى مصر اليونانية ــ الرومانية ، راجع :
Cl. Préaux, «Lettres privées grecques de l'Egypte relatives à l'éducation», **Rev. Belge de Philol. et d'Hist.** 8 (1929), 757-800; P. Collart, «A l'école avec les petits Grecs d'Egypte». **Chron. d'Egypte** 11 (1936), 489-507; **Idem,** «A propos de quelques exercises scolaires», **BIFAO** 30 (1930), 417-423 ; E. Ziebarth, **Aus der antiken Schule** (Bonn. 1910) = Lietzmann, Kleine Texte, No. 65; J. G. Winter, **Life and Letters in the Papyri** (Ann Arbor, 1933), pp. 63-69 ; P. Collart, «Les Papyrus scolaires», **Mél. Desrousseaux** (1937), 69-80; H. I. Marrou, **A History of Education in Antiquity.** 3rd Eng. ed. (1956);

=

الراغبون فى تعلم المواد الخاصــة كالاختزال الذى كانت تتطلبه حاجة العمل فى المحاكم والمصالح الحكومية ، فكانوا فيما يبدو يتتلمذون فترة معينة على يد معلم يلقنهم اصول الحرفة (١) .

كان هذا التعليم اليونانى فى طابعه يتضمن بداهة ، كنعصر لا غناء عنه ، التربيــة البدنية كالألعــاب التى كان يمارسها الصــبية فى حلبة المصارعة (palaestra) ، والتدريبات شبه العسكرية الخاصة بالشباب (ephêboi) . وكانت استعراضات الشباب ، والاحتفالات الرســمية

=

ويجد القارىء الآن ثبتا بكل الوثائق المتعلقة بالتعليم فى مصر حتى العصر البيزنطى فى المقال الطويل التالى :
G. Zalateo, «Papiri scolastici», **Aegyptus** 41 (1961), 160-235.

(١) انظر : P. Oxy. IV, 724 = **Select Papyri** I, No. 15.

والوثيقة عبــارة عن عقــد يرتبط فيه شخص بابقــاء عبده سنتين لدى معــلم يلقنه خلالهما اصول الاختزال .

ومن الاختزال فى اللغة اليونانية : انظر :
H. J. M. Milne, **Greek Shorthand Manuals.** London, 1934.
A. Mentz, «Beiträge zur hellenistischen Tachygraphie», **Archiv,** XI, pp. 64-73.

[وعن التعليم المهنى ، راجع :
W. L. Westermann, «Apprentice-contracts and Apprentice system in Roman Egypt», **Class. Philol.** IX, no. 3 (July 1914), 295-315; Angela Zambon, «DIDASKALIKAI», **Aegyptus** 15 (1935), 1 ff.; **ibid.** 19 (1939), 100-102; R. Böhm, «La **Didaskalikê** de Varsovie», **Aegyptus** 34 (1954), 231-249; L. C. Haft, «A Note on the Didaskalikai», **Aegyptus** 37 (1957), 266-270; J. Hermann, «Vertragsinhalt und Rechtsnatur der DIDASKALIKAI», **JJP** XI-XII (1957-58), 119-139

قارن بين عقود التعليم المهنى وبين عقود العمل الاخرى . وعن هذه الاخيرة ، انظر
W. L. Westermann, «The Paramonê as General Service Contract», **JJP** II (1948), 9-50 ; O. Montevecchi, **I contratti di lavoro di servizio nell'Egitto greco-romano e bizantino.** Milano, 1950 ; B. Adams, **Paramoné und verwandte Texts.** Studien zum Dienstvertrag im Rechte der Papyri (Neue Kölmer Rechtswiss. Abh. Heft 35). Berlin, 1964].

أعياد ميلادهم [١] ، تتخللها مهرجانات يتمتع بمشاهدتها سكان عواصم الاقاليم ، كما كانت تقام حفلات رياضية دورية يتبارى فيها الهواة من جميع الطبقات فى الملاكمة (٢) والمصارعة والجرى وغير ذلك من الألعاب . كما كانت هناك بلا ريب حفلات تمثيلية . ومن المحتمل ان سكان العواصم كانت تسنح لهم الفرصة بين الفينة والفينة لمشاهدة روايات من التراجيديا الإغريقية الكلاسيكية ، ومن « الكوميديا الجديدة » . كما تيسر لهم دون شك الاستمتاع بمشاهدة الروايات الشعبية المضحكة والأدوار الهزلية فى المسارح المحلية أو قاعات الموسيقى (٣) . وفضلا عن ذلك كانت هناك فرق متجولة للموسيقى والرقص والألعاب البهلوانية ، وما إلى ذلك ، للترفيه عن الفلاحين فى القرى النائية الكائنة بأطراف

---

[١] عن هذه الايام ، راجع :
W. P. Snyder, «Hêmerai Sebastai», **Aegyptus** 18 (1938), 197-233; **Idem**, «Report on the Hêmerai Sebastai», **Aegyptus** 44 (1964), 145-169; J. Schwartz «Dies Aug stus», **Rev. Etud. Anc.** 46 (1944) 266-279; **ibid.** 48 (1946), p. 91.

— وعن الاعياد الدينية وغيرها من الأعياد الخاصة والعامة ، أنظر :
F. Bilabel, **Die gräko-ägyptische Feste** (Neue Heidelb. Jahrb. N.F.). 1920 ; R. Merkelbach, **Isisfeste in griechisch-römischer Zeit : Daten und Riten.** Meisenheim am Glan 1963 ; M. Vandoni, **Feste pubbliche e private nei documenti greci.** Milano, 1964.

(٢) انظر :
P. Lond. III, 1178 = W. Chrest. 156 [cf. **JJP** VI, p. 136; IX-X, p. 552 ; Jack Lindsay, **Leisure and Pleasure in Roman Egypt** (London 1965) 106 ff.].

والوثيقة عبارة عن شهادة عضوية فى « الجمعية الهادريانية الانطونينية الرياضية [اى الدولية !] المقدسة لاتباع هيراكليس والمشمولة برعاية الامبراطور سبتيميوس » اصدرها اكبر نوادى الامبراطورية الكائن فى نابلى للاكم من بلدة هرموبوليس [الاشمونين] فى مصر عام ١٩٤ م .

(٣) تحتوى البردية P. Oxy. III, 413 على كوميدية شعبية وتمثيلية هزلية ، ولا ريب انهما عرضتا فى المسارح المحلية . ولدينا امثلة عديدة أخرى .

الأقاليم (١) ، فلم تكن الحياة فى مصر خالية باى حال من المباهج فى القرن الثانى الميلادى . وكان العمـــال برغم شـــبكة القيود والتعليمات التى تكتنفهم من كل جانب ، لا يعدمون وسيلة للتعبير عما يجيش فى صدورهم من هم وضيق . وتكتب إحدي سيدات الطبقة الثرية ببلدة هرموبوليس [الأشمونين] على ايام الإمبراطور تراجان الى ابنتها قائلة « كان جميـــع الناس هنا يسيرون فى مظاهر حول المدينة مطالبين بزيادة الأجور » (٢) .

وبرغم انتشار عادة التخلص من الأطفال غير المرغوب فيهم بتركهم فى العراء ، وهى عادة كانت فيما يرجح مقصـــورة على الطبقات الفقيرة ، لأنها ترجع اصلا إلى عوامل اقتصادية [٣] ،فان البرديات تضفي اضواء باهرة على الحياة العائلية السعيدة ، وما يتخللها من حفلات خاصـــة باعياد الميلاد ، وولائم للغداء أو العشاء ، ومناسبات اجتماعية اخرى[٤] ،

---

(١) عن هذا الموضوع ، انظر على سبيل المثال :
Teresa Grassi, «Musica, Mimica e Danza», **Studi della Scuola Papirologica**, III (Milan, 1920), pp. 117-35.

[وانظر ايضا :
W. L. Westermann, «The Castanet Dancers of Arsinoe» **JEA** 10 (1924), 134-144; **ibid.** (1932), 16-27; Jack Lindsay, **Daily Life in Roman Egypt** (London 1963), 168-175.

ويجد القارىء قائمة بالعقود الخاصة بحفلات الترويح فى المقال التالى :
O. Montevecchi, «Dai papiri inediti della Raccolta Milanese», **Aegyptus** 32 (1952), No. 23 (pp. 37-41)].

(٢) P. Brem. 63.

[٣] وعن عادة التخلص من الاطفال ، وهى عادة جاء بها الافريق الى مصر ، راجع :
F. Maroi, **Raccolta Lumbroso,** pp. 371-406.

[٤] انظر على سبيل المثال :
M. David and B. A. Van Groningen, **Papyrological Primer.** 4th ed. (Leyden 1965) No. 84 (p. 161 f.).

وينبغى التمييز بين هذه الدعوات والولائم الاجتماعية والدعوات لولائم سيرابيس ذات الصفة الدينية السرية ، راجع :
H. C. Youtie, «The Klinê of Sarapis», **Harv. Theol. Rev.** 41 (1948), 9-29; L. Koenen, «Eine Einladung zur Kline des Sarapis», **Zeitschr. für Pap. u. Epigr.,** Bd. I, H. 2 (1967), 121-126.

ومشتروات دمى وحلوى للأطفال ، ورسائل خاصة متبــادلة بين افراد اسرة زاخرة بالأشواق [١] .

ظهور المسيحية ودور الاسكندرية

وعند هذا التاريخ ينبغى أن ندخل فى حسابنا عاملا جديدا ، وهو المسيحية ، التى لا تزال معلوماتنا عن بدء انتشارها فى مصر طفيفــة جدا (٢) . ولئن كنا نميل إلى استبعاد القصة القائلة بأن القديس مرقس هو الذى اسس كنيسة الاسكندرية باعتبارها خرافة ، إلا اننا نظن أن

---

[١] انظر المراجع المذكورة فى المقال التالى :

J. Modrzejewiski, «Le Droit de famille dans les lettres privées grecques d'Egypte», **JJP** IX-X (1955/56), 339-363.

وراجع ايضا :

H. Koskenniemi, **Studien zur Idee und Phraseologie des griechischen Briefs bis 400 n. Chr.** Helsinki, 1956.

(٢) اقرا عن هذا الموضوع المقال التالى :

H. I. Bell, «Evidences of Christianity in Egypt during the Roman Period», **Harv. Theol. Rev.** XXXVII (1944), pp. 185-208.

[وانظر ايضا :

J. G. Winter, **Life and Letters in the Papyri** (Ann Arbor 1933), 136-191 ; G. Ghedini, «Paganesimo e cristianesimo nelle lettere papiracee greche» (Atti Firenze 1936), 333-350 ; H. I. Bell, **Cults and Creeds in Graeco-Roman Egypt** (Liverpool 1953, 78 ff. ; M. T. Cavassini, «Lettere cristiane nei papiri greci d'Egitto», **Aegyptus** 34 (1954), 266-282 ; G. Maldfeld «Der Beitrag ägyptisher Papyruszeugen für den frühen griechischen Bibeltext», **Akten d. VIII Intern. Kongr. Pap. Wien** (1956), 79-84 ; M. Naldini, «Nuovi papiri cristiani della raccolta fiorentina», **Aegyptus** 38 (1958), 139-146 ; O. Montevecchi, «Progetto per una serie di ricerche di papirologia cristiana», **Aegyptus** 36 (1956), 3-13 ; **Ead.** «Dal Paganismo al Cristianesimo: aspetti dell'evoluzione della lingua greca nei papiri dell'Egitto», **ibid.** 37 (1957), 41-59 ; A. H. R. E. Paap, **Nomina Sacra in the Greek Papyri** (= Pap. Lugd-Bat. VIII). Leiden 1959 ; J. O'Callaghan, S.J. «I nomi propri nelle lettere cristiane», **Aegyptus** 41 (1961), 17-25].

الدين الجديد لم يكن ليتاخر فى الوصول إلى اكبر ميناء فى شرقى البحر المتوسط ، وانه لم يكن هناك محيص بعد ذلك عن انتشاره فى سائر انحاء مصر . ومع هذا فلم يترك الدين الجديد اى اثر فى برديات القرن الاول التي عثرنا عليها حتى الآن ، بل لا تمدنا حتى برديات القرن الثانى إلا بمعلومات ضئيلة جداً عن مدى تاثيره . على اننا نستخلص من اوراق البردى الأدبية ان المسيحية قد تغلغلت فى مصر الوسطى ومصر العليا ؛ ولدينا الآن ما لا يقل عن سبع قصاصات من البرديات الإنجيلية ، التى يمكن أن ننسبها باطمئنان إلى القرن الثانى ؛ بل إن جميع الباحثين الثقات ينسبون إحدى هذه القصاصات ، التى تتضمن بعض فقرات من انجيل القديس يوحنا ، إلى مستهل القرن الثانى (١) . ولا بد انه كان يوجد فى مقابل كل بردية مسيحية حفظتها لنا محض الصدف ، مئات من البرديات التى عفا عليها الزمن ، وان كل مسيحى كان لديه مثل هذه البردية يقابله عشرات لم يكن لديهم شىء .

وقد يقال فى تعليل قلة الإشارات إلى الديانة المسيحية فى وثائقنا البردية ان الناس كانوا مضطرين إلى إخفاء صلتهم بطائفة مضطهدة . ولكن ليس هناك ما يدعونا إلى الاعتقاد بان ذلك هو السبب الوحيد . فالعقود القانونية والإقرارات المقدمة للسلطات لم تكن تقتضى ذكر المسيحية ، كما ان الرسائل الخاصة غالباً ما تصاغ فى عبارات تقليدية على نمط واحد وتدور عادة حول شئون مصلحية بحتة ؛ فلا تستدعى هى الأخرى الكلام عن العقيدة . وإنه لمن الخطا ان نعتقد ان الاضطهاد كان حملة متصلة او ان الحكومة الرومانية اضطهدت المسيحيين بسبب عقائدهم الدينية بالذات . فقد كانت روما متسامحة كل التسامح فى المسائل الدينية ، ولم تحاول ان تستاصل شافة اى عبادة جديدة إلا بحجة منافاتها للمبادىء الأخلاقية او تعارضها مع السياسة العامة . كان المسيحيون فى نظر السلطات مواطنين اشرارا وعنصراً خطرا فى المجتمع لأنهم كانوا يترفعون عن ممارسة شعائر الديانة الرسمية : ولا يقدسون صور الأباطرة ، ولا يشتركون فى عبادة « روما المؤلهة » او « الروح الحارسة » للامبراطور . وكان فى تضامنهم وخلوتهم وقت التعبد

(١) P. Ryl. III, 457. وقد نشر الاستاذ ك.هـ.روبرتس (C. H. Roberts) هذه البردية منفصلة فى بحث بعنوان :

An Unpublished Fragment of the Fourth Gospel. Manchester. 1935.

ما يوحي بأنهم جماعة سرية . وقد اتهموا بممارسة أبشع العادات كالزواج المحرم والشعائر المخلة بالآداب وإهراق الدماء البشرية طبقاً للطقوس — هذه هي التهم التي كالها الوثنيون للمسيحيين ، وهي نفس التهم التي كالها المسيحيون لليهود في القرون التالية . غير انه كان هناك دائماً بين الوثنيين من كانوا مستعدين للتستر على أصدقائهم المسيحيين ، كما كان حكام الولايات يحجمون أشد الإحجام ، في معظم الأحيان ، عن تطبيق قانون العقوبات عليهم . ولم يكن الاضطهاد عاماً إلا عند حدوث كارثة قومية أو هياج شعبي ، وكما يقول ترتوليان (Tertullianus) في إحدى فقراته المشهورة (١) « فإذا فاض التيبر على الأسوار ، أو غاض النيل فلم يبلغ الحقول ، أو امسكت السماء عن المطر ، وإذا زلزلت الأرض ، أو حدثت مجاعة ، أو انتشر وباء ، تتعالى الصيحات على الفور هاتفة : « فليلق بالمسيحيين إلى الأسود » . وفي تلك الأوقات كان هناك بين الناس من يعوزهم الجلد على احتمال البلاء ، ولو أن كثيرين منهم صمدوا للمحنة . ومن المستحيل أن نقرأ القصص الأولى ، الحقيقية فيما يبدو ، عن الاستشهاد ، مثل آلام القديسة پرپتوا (Perpetua) ، أو أعمال شهداء سكيلي (Scilli) دون أن تهتز مشاعرنا إهتزازاً للبطولة الرائعة التي أبداها كل من الرجال والنساء في غير مباهاة ، وخاصة عندما نتذكر أن مضمون هذه القصص يتلخص في العبارة البسيطة « أنا مسيحي » (Christianus sum) أو « أنا مسيحية » (Christiana sum) (٢)

---

(١) Apol. XI.

(٢) واليك على سبيل المثال « قصة استجواب القديسة بربتوا كما ترويها (ولو انها في الواقع لم تكتب الا الجزء الاول من القصة ، التي تابعها أحد زملائها في الاستشهاد ، ثم اتمها فيما بعد كاتب ثالث) : « وما ان وصلنا الى السوق العامة (Forum) حتى انتشر الخبر في الأحياء المتاخمة لها ، فاحتشدت جموع غفيرة من الناس ثم صعدنا الطريق الى المحكمة ، وهناك استجوب غيرنا واعترفوا . ولما جاء دوري ، اطل والدي ومعه ابني ، وجذبني من حظيرة المتهمين ، وقال لي متوسلا « ارحمي ولدك الرضيع » . وقال لي هيلاريانوس » وكيل الامبراطور للشئون المالية في الولاية (procurator) ، الذي كانت سلطة العفو والاعدام قد آلت اليه عقب وفاة الوالي تيمينيانوس « ارحمي اباك الذي وخط الشيب رأسه ، ارحمي ولدك الرضيع ، وقدمي القرابين من أجل سلامة الاباطرة » فاجبته « أنا مسيحية » . وعندما هم والدي ان يسحبني امر هيلاريون بجره الى اسفل وضربه بعصا . وقد حز في نفسي ما لحق أبي من اذى ، كما لو كنت انا التي ضربت وغمرني الاسى على شيخوخته التعسة . وبعدئذ قضى هيلاريانوس بادانتنا جميعا وحكم برمينا طعمة

=

فهذه العبارة كثيراً ما يتحرج الناس حتى فى ايامنا هذه من ذكرها فى البلاد المسيحية ، غير انها كانت فى القرنين الثانى والثالث لا تثير فقط تهكم او سخرية من لا تصادف هوى فى نفوسهم ، بل كانت تعرض قائلها لنوع من الموت الذى ينخلع له فؤاد اثبت الناس جنانا : فالمسرح غاص بالجماهير المتعطشة للدماء ، وحفنة من المسيحيين واقفة فى وسط الساحة ، والأسد او النمر الضارى يفتك بهم على الرمال المخضبة بالدماء ، وفى النهاية يهوى السيف الرحيم فيضع حداً لآلام الجسد الممزق إرباً . ولدينا من منتصف القرن الثالث طائفة من البرديات التى توضح بجلاء اضطهاد المسيحيين على ايام الإمبراطور ديكيوس (Decius) وهى عبارة عن شهادات بتقديم القرابين للآلهة الوثنية (libelli) ، كان الإمبراطور قد اصدر امراً بان يقدمها جميع رعايا الإمبراطورية للسلطات الرومانية . وكان الذين لا يقدمون هذه الشهادات يعتبرون مسيحيين . على ان بعض ضعاف النفوس سمحت لهم ضمائرهم ان يقدموا للسلطات شهادات مزورة (١) .

= للسباع . ونزلنا الطريق الى السجن مبتهجين » ، انظر :
J. Armitage Robinson, **Texts and Studies,** vol. I, No. 2, «The Passion of S. Perpetua». Cambridge, 1891, p. 70.

قارن فى نفس المرجع :
«Acts of the Scillitan Martyrs», p. 114
« قال ساتورنينوس الوالى pro consule « كفوا عن هذه الحماقة » فاجاب كتينوس « نحن لا نخشى احدا غير المسيح ، ربنا الذى فى السماء » . وقالت دوناتا « الاجلال لقيصر بوصفه قيصرا ، ولكن التقوى لله » . قالت فستيا « انا مسيحية » . وقالت سيكوندا « ان ما اتمناه هو ان اكون على ما انا عليه » . وسأل الحاكم سبيراتوس « امصر انت على مسيحيتك ؟ » فاجابه سبيراتوس « انا مسيحى » . وامن الجميع على كلامه .

(١) انظر :
J. R. Kniphing, «The **Libelli** of the Decian Persecution», **Harv. Theol. Rev.** XVI (1923), pp. 345-90. [Cf. J. G. Winter, **Life and Letters in the Papyri,** p. 140, n. 2, p. 141, n. 1 = **P. Mich.** III 157 ; 158 ; J. Schwartz, «Une déclaration du sacrifice du temps de Dèce», **Revue Biblique** 54 (1947), 365 ff. ; H. Grégoire, **Les persécutions dans l'Empire romain.** (Bruxelles 1951), 43-46].

يجد القارىء احدى هذه الشهادات مترجمة الى العربية فى كتابه : « كفاحنا ضد الغزاة » (القاهرة ١٩٥٧) ص ١٩٤ — ١٩٥ .

وكانت المسيحية فى مصر تميل فيما يبدو إلى « الهرطقة » ، أى الأخذ بالمعتقدات المخالفة لآراء الكنيسة ، وخاصة بمذهب « الغنوسية » «gnôsis» [١] ، ولعل ذلك يفسر سبب ذيوع إنجيل يوحنا فى مصر ، ومذهبه عن « اللوغوس » أو الكلمة (Logos) [٢] ، وإبهامه الصوفى . ويرى بعض العلماء أن هذا الإنجيل كتب فى الاسكندرية (٣) ، الأمر الذى يعيننا دون شك على تفسير عدم معرفة القديس پوليكارب (Polycarpus)

---

[١] اللفظ اليونانى gnôsis معناه « معرفة أو ادرية » والغنوسية مذهب لشيعة دينية فلسفية ، « ومبدؤها ان العرفان الحق ليس العلم بوساطة المعانى المجردةوالاستدلال كالفلسفة ، وانما هو العرفان الحدسى التجريبى الحاصل عن اتحاد العارف بالمعروف . واما غايتها فهى الوصول الى عرفان الله على هذا النحو ، بكل ما فى النفس من قوة حدس وعاطفة خيال . فالغنوسية صوفية تزعم أنها المثل الاعلى للمعرفة ، وترجع باصلها الى وحى انزله الله منذ البدء وتناقله المريدون سرا ، وتعد مريديها بكشف الأسرار الالهية وتحقيق النجاة . فكان العامة منهم يؤخذون بسحر طقوسها ، وكان الخاصة يتعلقون بتعاليمها النظرية ... وكانت الغنوسية تعدو على الاديان والمذاهب بالتاويل والتحوير ، مدعية تحويلها الى معنى اعمق . (من كتاب « تاريخ الفلسفة اليونانية » ليوسف كرم ــ الطبعة الثانية ــ ١٩٤٦ ، ص ٢٤٤) .

« وما كادت المسيحية تظهر حتى تناولتها الغنوسية ، فتزيت بزيها ونافستها منافسة قوية ... فكانت خطرا كبيرا عليها طوال القرون الاربعة لاولى ... والغنوسيون المسيحيون بالاجمال يؤولون عقائد المسيحية تبعا لمذهبهم ، ويصوغون أساطيرهم بالفاظها . فهم يقيمون الثنائية على ما يزعمون من تعارض بين التوراة والانجيل ، اذ يقولون أن التوراة تصور الها قاسيا جبارا : بينما الانجيل يكشف لنا عن اله وديع حليم خير للغاية ... فاله العهد الجديد هو الاله الأعلى ، الاله الآب ، خالق العالم المعقول ، أبو المسيحية واله المسيحيين ، واله العهد القديم صانع العالم المحسوس واله اليهود ... فالغنوسيون ينبذون التوراة نبذا تاما ، ويقبلون من بين الاناجيل ما يروقهم ، ويحذفون مما يقبلون الفصول والآيات المناقضة لارائهم » يوسف كرم « نفس المرجع » ص ٢٥٥ ــ ٢٥٨ .

وعن الكتب او الدفاتر البردية (codices) القبطية الخاصة بالغنوسية والتى حصل عليها المتحف القبطى فى عام ١٩٤٦ وعرف أنها من خينوبوسكيون (Chênoboskeion) وهى قرية الصياد « المتاخمة لدير الالاه » ودير « انبا بلامون » قرب نجعحمادى انظر:
J. Doresse, **The Secret Books of the Egyptian Gnostics**. London, 1960.

راجع أيضا : عبد اللطيف احمد على « مصادر التاريخ الرومانى » (بيروت ١٩٧٢) ص ١٧٢ ، حاشية ١ .

[٢] عن « اللوغوس » انظر ما تقدم فى ص ٧٢ هامش ١ .

(٣) انظر :
J. N. Sanders, **The Fourth Gospel in the Early Church**. Cambridge, 1943.

بهذا الإنجيل (١) . وبعد ما عانت الاسكندرية كثيراً من جراء الحروب الأهلية والاضطرابات العنيفة التى كدرت صفو الأمن فى مصر خلال الحقبة الأخيرة من عصر البطالمة ، وكانت هى نفسها مركزاً لهذه الاضطرابات أكثر من مرة ، تمتعت بفترة من الرخاء المطرد تحت الحكم الرومانى . كانت الاسكندرية ثانية مدن الامبراطورية ، وأعظم موانىء البحر المتوسط ، ومركزاً للتجارة الرائجة مع الغرب والشمال حتى إيطاليا والولايات الغربية ومع بلاد الإغريق وآسيا الصغرى ، ومع الشرق حتى الهند . وبرغم أن المدينة لم تعد كما كانت فى القرن الثالث قبل الميلاد موطنا لفحول الشعراء ، فقد كانت لا تزال بها مدرسة للشعر والأدب التصويرى ، وقد تألق صيتها بفضل العلماء من أمثال بطلميوس وهيرون ، كما أنجبت الجالية اليهودية بالمدينة كتابا نابهين مثل فيلون ؛ واجتذبت جامعة الاسكندرية الطلاب لا من مصر وحدها بل من وراء البحار .

لكن هذا الرخاء لم يؤد إلى استمالة مواطنى الاسكندرية إلى جانب الرومان . وكان هؤلاء المواطنون قد أثاروا فى وجه الملوك المقدونيين متاعب جمة ، غير أن ضياع المركز الذى تمتعت به الاسكندرية كمقر للملك البطلمى ، وعاصمة لدولة مستقلة ، أوغر صدورهم فاستمروا طوال العصر الرومانى يناصبون الحكومة العداء الشديد على الرغم من أن بعض الأباطرة من أمثال جايوس المشهور باسم « كاليجولا » ، ونيرون ، كانوا يختصون المدينة بالعطف والرعاية . ولما كان أغسطس قد أقر لليهود جميع امتيازاتهم ، فى حين انه رفض مطلب مواطنى الاسكندرية بإنشاء مجلس للشورى ، فقد اتخذ عداء المواطنين للرومان مظهرعداء لليهود إذ كان الهجوم عليهم أسلم عاقبة للاسكندريين من الهجوم على الرومان مباشرة . وكثيراً ما أدت المذابح الطائفية العديدة التى وقعت فى

---

(١) انظر :
P. N. Harrison, **Polycarp's Two Epistles to the Philippians.** Cambridge, 1936, pp. 257, 302 ff.

ولكننى لا استطيع أن اشارك هاريسون رايه فى ان انجيل يوحنا لم ينشر الا حوالى ١٣٥ م .

[وبوليكارب هو احد آباء الكنيسة ، وقد استشهد فى ازمير عام ١٥٥ م . واهم ما كتبه هو « رسائل الى اهل مدينة فيليبى »] .

شوارع المدينة إلى تدخل الحامية الرومانية لقمع الاضطرابات ، وإلى إرســـال الوفود من جانب أحد الفريقين أو كليهما إلى الامبراطور (كتلك الســـفارة التى وصـــفها فيلون (Philôn) وصـــفاً دقيقـــاً شائقاً فى مؤلفه « السفارة الى جايوس » (Legatio ad Gaium) ، وإلى محاكمة بعض زعماء الاسكندرية أمام مجلس الامبراطور . وقد نشأ عن ذلك نوع من الأدب الوطنى أحرز رواجاً واسعاً بين الجماهـــير ويسميه العلماء الآن ، نظراً لما بينه وبين « أعمال الشهداء المسيحيين » من تشابه « بأعمال السكندريين » (Acta Alexandrinorum)[١] ، أو « أعمال الشـــهداء الوثنيين » [٢] — هذه الرسائل تبالغ فى وصف شجاعة زعماء الاسكندرية واعتدادهم بأنفسهم ، وتصورهم وهم يخاطبون الإمبراطور بقحة متناهية، حتى أن أحد مديرى معاهد التربية بالمدينة يقول لكلوديوس « انت الابن الذى تبرات منه سالومى اليهودية » (٣) ويصف بازدراء هيروديس أجريبا (Herodês Agrippa) ، صديق الإمبراطور ، بأنه « يهودى لا يســاوى شروى نقير (٤) » . وقد أحضر الوفد السكندرى معه الى روما ذات مرة

---

[١] معنى كلمـــة Acta اما « رســـائل » كرسائل القديس بوليكارب مثلا ، (انظر ص ١٣٢ حاشية ١) ، أو « محاضر جلسات محاكمة الشهداء » انظر :
C.A.H. XII, p. 518

[٢] احدث ما ظهر عن هذا الموضوع الكتاب التالى :
H. A. Musurillo, (S.J.), **The Acts of the Pagan Martyrs** (Acta Alexandrinorum). Oxford, 1954

(ويتضمن النصوص البردية مضبوطة مع الترجمة والتعليق)
وقد اعاد موسيرللو نشرها بدقة دون ترجمة فى مجموعة تويبنر (Teubner) بعنوان :
Acta Alexandrinorum de mortibus Alexandriae nobilium fragmenta papyracea Graeca. Leipzig 1961. Cf. also **CPJud.** II, Nos. 154-159.

وراجع ايضا :
H. I. Bell, «The Acts of the Alexandrines», **Journ. Jur. Pap.** IV (1950), 19-42.

ويجد القارىء شرحا وافيا لهـــذا الادب الوطنى فى كتاب : عبد اللطيف احمـــد على « مصر والامبراطورية الرومانية » (١٩٦٥) ص ١١٠ — ١٢٩ .

(٣) W. **Chrest.** 14 = B.G.U. II, 511 + P. Cairo 10448

(٤) H. I. Bell, «A New Fragment of the **Acta Isidori**», **Archiv.** X, pp. 5-16 (انظر سطر ١٨ من البردية)

تمثالا نصفيا لراعى المدينة الإله سراپيس ، لم يلبث (فيما يروى) أن تصبب عرقا بمعجزة فامتلأت قلوب الرومان رعبا (١) . وقد ظلت ذكرى هؤلاء الشهداء ماثلة فى قلوب اهل الاسكندرية مدة طويلة ، مثلما كان المسيحيون يجلون ذكرى شهدائهم (٢) .

وكما شهدت الاسكندرية على عهد البطالمة ترجمة التوراة إلى اليونانية لتستخدمها الجالية اليهودية المتافرقة ، وكما وضع فيلون هناك فى القرن الأول الميلادى فلسفة يهودية باللغة اليونانية ، ناهجا فيها منهج التفكير الفلسفى الإغريقى ، كذلك غدت الاسكندرية فى القرنين الثانى والثالث مركزا للتقريب بين أسمى الأفكار فى الوثنية والأفكار الوليدة فى المسيحية . وإنها لحقيقة جديرة بالتنويه ان يختار أهالى الاسكندرية احد مواطنيهم ، وهو اناطوليوس (Anatolius) الذى رسم اسقفا الاذقية (Laodicea) فى عام ٢٦٩ م ، أستاذا للفلسفة الارسطالية فى

---

(١) P. Oxy. X, 1242, 52 ff.

(٢) P. Oxy. I, 33 (= W. **Chrest.** 20), 3-7

عن كراهية اليهود فى الاسكندرية ، انظر على سبيل المثال :

U. Wilcken, «Zum alexandrinischen Antisemitismus», **Abhandl. d. Kön. Sächs. Gesellsch. d. Wissensch.**, phil.hist. Kl. XXVII, pp. 783-839 ; A. von Premerstein, «Zu den sogenannten alexandrinischen Märtyrerakten», **Philologus**, Supplementband XVI, Heft 11 ; H. I. Bell, **Juden und Griechen im römischen Alexandreia** (Beihefte zum 'Alten Orient', Heft 9), Leipzig, 1926 ; **Idem**, «Antisemitism at Alexandria», **Journ. of Rom. Studies**, XXXI (1941), pp. 1-18.

انظر الآن :

[V. A. Tcherikover & A. Fuks, (CPJud.) **Corpus Papyrorum Judaicarum** I (1957), pp. 48 ff. ; II (1960), No. 153

والوثيقة الاخيرة هى « رسالة كلوديوس الى الاسكندريين » او « بردية اليهود » .

وعن ثورة اليهود الكبرى ، انظر فى نفس «مجموعة البرديات اليهودية » ، الوثيقتين :

Nos 435-450

ويجد القارىء ترجمة عربية لهذه النصوص الخاصة بادب الاسكندريين او الشهداء الوثنيين بقلم عبد اللطيف احمد على فى كتاب : كفاحنا ضد الغزاة » (١٩٥٧) ص ١٧٠ — ١٩١ ، راجع ايضا ص ١٦٨ — ١٦٩ من نفس الكتاب] .

تلك المدينة (١) . وقد ازدهرت جنباً إلى جنب مع الأكاديمية ، ودراستها الوثنية ، المدرسة « المسيحية الكبرى » [٢] التي أسسها بنتاينوس (Pantaenus) ، وكان من المع نجومها كليمينس (Clêmens) واوريجينيس (Origenês) . كان الأول [١٥٠ — ٢١٢ م .] وثنياً ثم اعتنق المسيحية ، ورجلا واسع الاطلاع (ولعله كان شديد الولع بإظهار علمه) ، وقد أسهم بنصيب كبير في التوفيق بين الديانة المسيحية والثقافة الإغريقية . ومع انه كان شديد الايمان بالمسيحية ، متمسكا بعقائدها الأصيلة القويمة ، ونصيراً متزمتاً بل متطرفاً للأخلاق ، إلا أنه كان خبيراً بالطبيعة البشرية ، فهو يحلل شرب النبيذ بل ويبرره ايضا ، ولا يحرم تحريماً باتاً الاستمتاع بما في الحياة من جمال ومباهج . وقد ظل حريصا حتى بعد دخوله المسيحية على قراءة الأدب الاغريقي ، وعلى إجلاله لأفلاطون . ولم تكن تعوزه روح الدعابة او ملكة النقد اللاذع . ويتبين لنا من تعريضه بالكهنة الوثنيين الذين — على حد قوله — لا يقربون الحمام ابداً ويدعون اظافرهم تنمو حتى لتبدو في طولها المتناهي كمخالب الوحوش الضارية (٣) ، مدى حرصه الشديد على النظافة ، الأمر الذي ربما أثار دهشة نساك العصور التالية الذين كانوا لا يغتسلون حتى قال عنهم أحد الساخرين إن « رائحة القداسة » تفوح منهم حقيقة لا مجازاً (٤) . واما اوريجينيس [١٨٥ — ٢٥٣ م.] فكان اقل من كليمينس معرفة بالأدب الاغريقي ، ولكنه كان اعمق منه تفكيراً وأرسخ فهما للمذاهب الفلسفية ، وادق إلماماً بمناهج البحث العلمي ، واقدر على الابتكار .

---

(١) Eusebius, **Hist. eccles.** VII, 325. انظر :
Norman H. Baynes, **The Thought-World of East Rome.** Oxford, 1947, p. 26.

[٢] وهي مدرسة كانت اصول الايمان تلقن فيها (شفويا) عن طريق السؤال والجواب (katêchêsis)

(٣) **Protrept.** X

(٤) « وعندما خرج « ثيودور السوكيوني » من كهفه ، كان أسقف انستاسيوبوليس ، احدى مدن « جالاتيا بريما » حاضرا ، ولما راى الاسقف القروح بجسم ثيودور تنضح بالصديد ، وابصر شعره الاشعث يموج بالديدان التي لا تحصى ، وشم رائحته الكريهة التي تنفر من الاقتراب منه ، عندئذ آمن بقداسة ثيودور فرسمه على الفور واعطاه « مساعد شماس ، فشماسا ، فقسيسا ») انظر : (Baynes, op. cit. p. 17)

الحق انه يعتبر من أعظم رجالات الكنيسة المسيحية [١] . واخيراً ، فكما تركت الاسكندرية اثراً باقياً فى نصوص كتاب العصر الكلاسيكى ، فقد اسهمت مساهمة جليلة أثناء تلك الفترة فى تحقيق نص للانجيل موثوق به ، ولا تزال طبيعة هذه المساهمة ومداها مثاراً للجدل بين العلماء ، وإن لم يشك احد منهم فى قيمتها الكبيرة ، وإذا كان اوريجينيس قد اتم مؤلفه العلمى الضخم ، المعروف باسم Hexapla [٢] ، فى قيسارية (Caesarea) لا فى الاسكندرية ، فقد بداه أصلا فى الاسكندرية ، مسقط رأسه ، حيث تزود بالمعرفة التى تؤهله للاضطلاع بتأليفه .

مجالس الشورى ودستور كراكللا :

مظاهر الانهيار العام

وقد طرأ على وضع عواصم الأقاليم تغيير هام فى سنة ٢٠٠ م [٣] عندما انشأ فيها سبتيميوس سفيروس مجالس للشورى اى مجالس بلدية تشريعية (boulai) . وتحققت فى نفس الوقت امنية الإسكندرية

---

[١] عن كليمنس واوريجينيس وكذلك ديدوموس الاعمى ، والبرديات اللاهوتية الخاصة بالاخيرين : راجع الفصل الاول ، ص ٢٣ حاشية ٢ ، وانظر ايضا :
A. Henricks-U. & D. Hagedorn-L. Koenen, **Didymus der Blinde.** Kommentar zu Hiob (Tura Papyrus). Teil I-III. Bonn, 1968.

[٢] نسخة للعهد القديم (التوراة) تتضمن ست ترجمات واحدة هى الاصل العبرى واخرى هى نفس الاصل مكتوبا باحرف يونانية ، والاربعة الاخرى باللغة اليونانية ، وموضوعة فى ست اعمدة متقابلة والغرض مضاهاة النصوص لتحقيقها .

[٣] اصبح هذا التاريخ مؤكدا بعد نشر وثيقة كولمبيا ١٢٣ حيث يتبين ان الامبراطور سبتيميوس سفيروس زار الاسكندرية فى نوفمبر ١٩٩ ومكث حتى اوائل عام ٢٠٠ واصدر عدة احكام او فتاوى (Rescripta) بشان بعض قضايا معينة :
APOKRIMATA : **Decisions of Septimius Severus on Legal Matters** «P. Col. 123». (Text, Translation and Historical Analysis by W. L. Westermann. Legal Commentary by A. A. Schiller. New York, Columbia Univ. Press, 1954.

وقد ادخل على هذه الوثيقة بعد نشرها عدة تصويبات هامة ، راجع :
H. C. Youtie and A. A. Schiller, «Second Thoughts on the Columbia Apokrimata (P. Col. 123)», **Chron. d'Eg.** 30 (1955), 327-345.

القديمة وصار لها هى الأخرى مجلس للشورى ، وإن كانت هذه المنحة بالنسبة للمدينة قد فقدت بعض بهجتها لإحساس المدينة بأن عواصم الأقاليم قد شاركتها المنحة. ولم تظفر العواصم بمقتضى النظام الجديد بالحكم الذاتى الكامل إذ كان القائد او المدير (stratrêgos) لا يزال صاحب السلطة العليا فى الإقليم [١] ، وله السيطرة على مجلس الشورى وعاصمة الإقليم ، التى ظل يتخذها مقراً رسمياً له . ولم يكن النظام الجديد سوى صورة معدلة من صور الحكم الذاتى المألوف فى البلديات . ومع أن العواصم تلقته فيما يبدو على أنه امتياز من لدن الامبراطور ، إلا انه كان فى حقيقة الأمر عبئاً جديداً على الطبقة الموسرة التى كان أعضاء مجلس الشورى يختارون من بينها . وقد أصبح هذا المجلس وقتئذ مسئولا عن الشئون المالية للعاصمة ، وكان عليه ان يعين ومن ثم أن يضمن لا موظفى العاصمة فحسب ، بل كثيراً من موظفى الدولة أيضاً ، ومن بينهم الموظفون العموميون الجدد المعروفون باسم dekaprôtoi (٢) الذين انيط

[١] كان اقليم ارسينوى (Arsinoitês nomôs) ـ وهو محافظة الفيوم الآن ـ ينقسم دون سائر الاقاليم ـ نظراً لاتساعه واهميته ـ الى ثلاثة اقسام ادارية يسمى كل منها meris وهذه الاقسام هى : هيراكليديس (Hêrakleidês) فى الشرق ، (ويشمل العاصمة نفسها ارسينوى او مدينة الارسينويين) ؛ وثميستيس Themistês فى الغرب (جنوب البحيرة وفيه تقع ثيادلفيا وهى هريت حاليا) ؛ وبوليمون (Polemôn) فى جنوب الاقليم (وفيه تقع تبتونيس Tebtunis وهى أم البرجات حاليا) . وفى بعض الاحيان كان يعين لقسم هيراكليديس (وهو الاكبر) قائد اى مدير واحد (stratêgos) ويدمج القسمان الآخران ثميستيس وبوليمون تحت ادارة قائد واحد .

(٢) انظر :

E. G. Turner, «Egypt and the Roman Empire: **The decaprôtoi**», **J.E.A.** XXII (1936), pp. 7-19, [Cf. now **P. Leit,** 16 introd.].

E. P. Wegener, «The **Boulê** and the Nomination to the **Archai** in Roman Egypt», **Symbolae van Oven.** Leyden, 1946, pp. 167-72.

والمقال المذكور للآنسة فيجينر (ص ١٦٠ ـ ١٩٠ من الكتاب المشار اليه) على اكبر جانب من الاهمية لدراسة موضوع مجالس الشورى والمناصب البلدية .

[راجع ايضا :

E. P. Wegener, «The **Boulê** and the Nomination to the **Archai** in the **Mêtropoleis** of Roman Egypt». **Mnemosyne** 4 ser. 1 (1948), pp. 15-42 ; pp. 115-132 ; pp. 297-326 ; **Ead.** «Notes on the phulai of the metropoleis», **Act. Ve Congr. Intern. Pap. Oxford** (Bruxelles 1938), 512-520.

بهم الإشراف على تحصيل وتخزين ضريبة القمح النوعية [١] ، كما كان عليه أن يراقب الشئون المالية للمعابد . وكانت المسئولية جماعية : فكل موظف فى لجنة من لجان اصحاب المناصب البلدية (archôn) ، وكل عضو فى مجلس الشورى (bouleutês) ، كان مسئولا لا عن تقصيره الشخصى فحسب بل عن تقصير زملائه فى اللجنة (koinon) التى ينتمى اليها [٢] . ولما كان الأشخاص الذين لم يسبق ان ادرجت اسماؤهم فى قائمة المرشحين لتولى المناصب ، يقيدون فيما يحتمل كأعضاء فى مجلس الشورى (٣) ، فقد اتسعت دائرة الأعباء المالية عن ذى قبل ، وإن لم

---

[١] اى انهم حلوا محل محصلى ضريبة القمح وخازنيه القدامى المعروفين باسم sitologoi ؛ وعن هؤلاء الاخيرين ، انظر :
Z. Aly, «**Sitologia** in Roman Egypt», **JJP** IV (1950), 289-307 ; **Idem**, «Upon **sitologia** in Roman Egypt and the Rôle of sitologi», **Akten des VIII Intern. Kongr. Pap. Wien** (1956), 17-22.

[٢] يبدو من احدى الوثائق (**PSI**, 1328) بتاريخ ٢٠١ م ان الفئات الممتازة من الرومان والاسكندريين المقيمين فى الريف لم يعد يسمح لهم بالتنصل من تحمل نصيبها فى الادارة المحلية فى ظل نظام المسئولية الجماعية الجديد . ويتضح من الوثيقة المذكورة ان اول عضو فى مجلس الشورى الجديد فى اوكسيرينخوس عام ٢٠١ م كان مواطنا سكندريا . راجع : مصطفى العبادى « مصر من الاسكندر الاكبر الى الفتح العربى » (القاهرة ١٩٦٦) ، ص ٢٩٣ .

(٣) انظر عن هذا الموضوع ص ١٧١ وما بعدها من مقال الآنسة فيجينر الوارد فى الحاشية السابقة . وهى على صواب ، دون شك ، اذ تستخلص من البردية (P. Lond. Inv. No. 2565 = SB. 7696, 11. 69-74) (انظر ص ١٤٢ حاشية ٢) انه لم تكن هناك تفرقة بين اصحاب المناصب البلدية واعضاء مجلس الشورى العاديين [اى غير الرؤساء (prytaneis)] فيما يتصل بشرط النصاب المالى . غير أن هذه البردية ترجع الى منتصف القرن الثالث ، ولا يستتبع ذلك حتما انه عندما انشئت مجالس الشورى لم تدرج فيها اسماء اشخاص ممن كانوا غير ملزمين من قبل بتولى المناصب البلدية (archai = honores فى اليونانية) ومهما يكن من شىء ، فبينما كان صاحب المنصب البلدى لا يرهق بالنفقات التى تتطلبها وظيفته الا خلال فترة قيامه بها ، كان عضو مجلس الشورى مسئولا بوصفه ضامنا ، عمن يعينون فى الوظائف العامة (leitourgiai = munera فى اليونانية) ، وربما أيضا عن غير ذلك من الخدمات حتى ولو لم يكن هو نفسه يشغل اى منصب .

[وتوضيحا لما فات نقول ــ استنادا الى نفس المقال ص ١٦٢ ــ ١٧٣ ــ انه بينما كان مجلس الشورى هو المشرف العام على الادارة فى عاصمة الاقليم ، كان اصحاب المناصب البلدية هم المكلفين بتنفيذ ما يدخل فى دائرة اختصاصهم من أعمال . وفى خارج مصر ــ اى

تتمة

تخف وطأتها على المشتركين فى تحملها . ولم يكن هناك سبيل إلى التخلص من المنصب البلدى او عضوية مجلس الشورى الا عن طريق الاجراء المعروف باسم «cessio bonorum» أو « المبادلة » ومعناها ان يتنازل المرشح عن ثلثى املاكه(١) [لمن رشحه فيتولى الأخير المنصب بدلا عنه] . وليس من المبالغة فى شىء ان نقول إن إنشاء مجالس الشورى كان هو الخطوة الحاسمة التى انتهت بالقضاء على طبقة المتأغرقين المتوسطة (البورچوازية) [٢] .

فى البلاد المتمتعة بالحكم الذاتى كالبلديات الرومانية (municipia) كان لا يختار لشغل المناصب الا من كانوا اصلا اعضاء بمجلس الشورى . غير أن هذه القاعدة لم تتبع فى مصر ، حيث كان معظم اعضاء مجلس الشورى (الذين يقدر عددهم بحوالى ١٠٠ فى كل عاصمة) يشغلون فى نفس الوقت مناصب معينة او سبق لهم ان شغلوها . ومن المستبعد ان مجلس الشورى كان ينعقد بدون حضور سائر اصحاب المناصب البلدية . ولم ينته القرن الثالث حتى كان الحد الفاصل بين الفريقين قد اختفى تقريبا ، فاصبحت كلمة archôn ترادف كلمة «bouleutes» (قارن عبارة archontes boulê) وانظر :
V. Martin, **Aegyptus** XIII, pp. 294 ff. ; Wilcken, **Archiv.** VIII, p. 291.

ويجد القارىء قائمة باسماء اعضاء مجالس الشورى فى المقال التالى :
Rita Calderini, «Bouleutika», **Aegyptus** 31 (1951), 3-41].

(١) انظر على سبيل المثال : C.P.R. 20 = W. **Chrest.** 402

[٢] كما ترتبت على دستور كراكللا (انظر الصفحة التالية) نتائج منها ان جميع السكان اصبحوا مواطنين من الناحية القانونية [ماعدا فئة « المستسلمين » وهى غير معروفة والراجح انها تمثل فئة معينة من العبيد المعتقين] ؛ ومن الناحية السياسية زالت التفرقة الرسمية بين الرومان والاسكندريين من ناحية ومواطنى عواصم الاقاليم (metropolitai) من ناحية اخرى . فقد اصبح تحديد مسئولية الافراد رهنا بالوطن (origo = idia) ، وكان الموطن وراثيا . ولم يعد الاسكندريون المقيمون فى الريف يتهربون من مسئولية تولى المناصب البلدية أو عضوية مجالس الشورى فى الريف برغم انه كان يحق لهم الادعاء بان موطنهم الاصلى هو الاسكندرية وكثيرون منهم اتخذوا بالتدريج مكان اقامتهم فى الريف بمثابة وطن لهم (origo) . هكذا سوى دستور كراكللا بين الفئة القديمة الممتازة من الرومان والسكندريين وفئة مواطنى عواصم الاقاليم ، اى انه الغى جميع الامتيازات المحلية . واما من الناحية الادارية فقد اصبح الرومان والاسكندريون المقيمون فى عواصم الاقاليم (metropoleis) ملزمين بقبول عضوية مجالس الشورى المحلية الجديدة ، وشغل المناصب البلدية فى هذه العواصم كمواطنيها سواء بسواء . وخضع لذلك ايضا حتى الاسكندريون الذين كانوا مقيمين بصفة غير مستديمة فى عواصم الاقاليم طالما توافر لديهم النصاب المالى اللازم لشغل المناصب

كما حدث تغيير آخر بعد ذلك بعشر سنوات عندما منح الامبراطور كراكلا (Caracalla) فى عام ٢١٢ م [١] ، بمقتضى دستوره المشهور باسم (Constitutio Antoniniana) ، حقوق المواطنة الرومانية لكافة سكان الإمبراطورية [٢] . وإذا كان المواطنون الجدد فى مصر قد غنموا اى شيء

=

البلدية . وهذا يرجع الى ان فئة الرومان والسكندريين لم تعد فئة ممتازة ذات مواطنة خاصة . ومن ثم لم يعد فى وسعهم التملص من تحمل عبء الاشتراك فى الادارة المحلية . ولم تسر هذه القاعدة على مواطنى انتينوبوليس لتمتعهم بامتياز قديم وهو الاعفاء من تولى المناصب البلدية والخدمات الالزامية خارج مدينتهم ، وهو امتياز ظلوا يتمتعون به حتى الغى فى عام ٢٥٤ م ، وان كان هنالك الآن ما يثير الشك حول الالغاء فى هذا التاريخ .
راجع : مصطفى العبادى « مصر من الاسكندر الاكبر الى الفتح العربى » (القاهرة ١٩٦٦) ص ٢٤٠ — ٢٤٢ .

[١] فى راى بيرل ان المرسوم نشر فى روما فى يوليو عام ٢١٢ م ، وابلغ الى والى مصر فى ٢٩ يناير عام ٢١٣ م ونشر فى الاسكندرية فى ١٠ فبراير ٢١٣ م ، راجع :
O. M. Pearl, «A Late Receipt for Syntaximon», **TAPA** 82 (1951), p. 193

لكن فى راى حديث آخر (استنادا الى نص الوثيقة السابقة Mich. Inv. 5503c بعد تصويب القراءة) ان الادلة تشير الى ان تاريخ صدور هذا الدستور أو المرسوم الشهير هو الجزء الاخير من عام ٢١٤ م (بعد اغسطس او سبتمبر) ، انظر الآن :
Fergus Millar, «The Date of the Constitutio Antoniniana», **JEA** 48 (1962), 124-131.

[٢] اوفى بحث حديث نسبيا عن دستور كراكلا فى ضوء « بردية جيسن ٤٠ » ومشتملا قائمة كاملة بالبحوث السابقة هو :
Ch. Sasse, **Die Constitutio Antoniniana** (Wiesbaden (1958).
وعن مشكلة المستسلمين (dediticii) المذكورين فى بردية جيسن ٤٠ (P. Giss 40) والتى يعتقد انها صورة من هذا الدستور ، راجع [الى جانب المقالات الواردة فى حاشية ١ ص ٦٩ فيما تقدم] البحوث الحديثة التالية :
A. H. M. Jones, «The Dediticii and the Constitutio Antoniniana», in **Studies in Roman Government and Law** (Blackwell, 1960), 127-140 ; C. B. Welles, «Another Look at P. Giss. 40», **Etud. d. Pap.** IX (1962, 1-20 (offprint) ; E. Kiessling, «Zur Constitutio Antoniniana», **Zeitschr. Sav. Stift.** Röm. Abt. 78 (1961), 421-429 ; R. Böhm, «Studien zur civitas Romana I: Isopoliteia als letzte konsequenz falscher Entzifferung des Pap. Gissensis 40?», **Aegyptus** 42 (1962), 211-236 ; **Idem,** «Studien zur civitas Romana, III: Zum Emil Kiessling Theorie der Const. Antoniniana»,
=

من وراء رفعهم إلى مصاف الرومان ، فقد كان هذا الغنم ضـئيلا ، إذ أصبحوا عندئذ خاضعين لضريبة الميراث (vicesima hereditatum) التى كانت تجبى على تركات المواطنين الرومان بنسبة ١ : ٢٠ ، دون أن يترتب على ذلك إعفاؤهم من ضريبة الرأس [١] . كما أصبحوا خاضعين للقانون المدنى الرومانى . غير أن النظام القضائى القديم ، كما يتبين من الوثائق البردية ، لم يطرأ عليه فى الواقع أن تغير جوهرى كما كنا نتوقع. وكان القانون المصرى-الاغريقى قد تأثر من قبل بالقانون الرومانى ، فاصطبغ الأخير وقتئذ بصبغة القانون الأول ؛ والواقع أن النظام القضائى الذى كان سائداً بعد عصر كراكللا - كما يتبين من برديات تلك الفترة - لم يكن متفقا تمام الاتفاق مع شرائع الفقهاء الرومان [٢] .

وقد أخذت مظاهر الانهيار المحدق بالبلاد تزداد على مر الأيام فى غضون القرن الثالث (٣) ، وذلك على الرغم من شيوع الألقاب الرنانة مثل

= **Aegyptus** 43 (1963), 278-319 ; **Idem**, «Studien zur civitas Romana, V: Zur den engeblichen 'generellen Bürgerrechtsunfahigkeit der Deditizier' (Gaius, Inst. I, 26)», **Aegyptus** 44 (1964), 206-310.

[١] عن ضريبة الرأس بعد دستور كراكللا ، راجع مختلف الآراء فى المقالات التالية (المشار اليها فى ص ١٠٠ هامش ٤) .
H. I. Bell, «The **Constitutio Antoniniana** and the Egyptian Poll-Tax», **JRS** 37 (1947), 1 ff. ; V. Tcherikover, «Syntaxis and Laographia», **JJP** IV (1950), 179-207 ; J. A. S. Evans, «The Poll-Tax in Egypt», **Aegyptus** 37 (1957), 259-265.

[٢] راجع :
V. Arangio-Ruiz, «L'Application du droit romain en Egypte après la constitution antoninienne», **Bull. Inst. d'Egypte** 29 (1948), 83 ff.

وعن النظام القضائى (قبل دستور كراكللا) ، راجع :
J. N. Coroï, «La Papyrologie et l'organisation judiciaire de l'Egypte sous le Principat», **Act. Ve Congr. Intern. Pap. Oxford** 1937 (Bruxelles, 1938), 615-662

وعن تطبيق القانون الرومانى فى مصر قبل دستور كراكللا وبعده انظر :
صوفى حسن أبو طالب «تطبيق القانون الرومانى فى مصر الرومانية» مجلة القانون والاقتصاد، عدد ٣ ، ٤ من السنة ٢٨ (١٩٥٩) ، ص ٣٥٣ - ٤١١ .

(٣) يجد القارىء عرضا رائعا لهذه الفترة فى المقال التالى : =

وصف أهل أوكسيرينخوس بلدتهم « بالمدينة الشهيرة واشهر مدينة » ، وعلى الرغم من اضطلاع عواصم الاقاليم بمشروعات باهظة التكاليف كتخطيط المدن . وقد تفاقمت مشكلة إيجاد اللائقين لملء المناصب البلدية ، وزيد عدد موظفى المنصب الواحد ، وقصرت مدة الخدمة ، ونعلم من خطاب رسمى كتب حوالى عام ٢٨٩ م (١). أن أوكسيرينخوس بقيت بلا « مراقب تموين » فترة طويلة قبل ذلك التاريخ . ونسمع كثيرا عن فرار المكلفين بالخدمات الالزامية او تهديدهم بالفرار . واصبح إرغام الناس على استئجار الأراضى العامة أمرا عاديا مألوفا . ولدينا قرائن على اقفار الريف من السكان . وتمدنا بردية مهلهلة مودعة الآن بالمتحف البريطانى بدليل ساطع على سوء الأحوال فى منتصف القرن الثالث ، وهذه البردية عبارة عن محضر قضية نظرت فى النصف الأول من عام ٢٥٠ م . فيما يرجح ، امام ابيوس سابينوس (Appius Sabinus) والى مصر (٢) . كانت السلطات فى ارسينوى ، عاصمة الفيوم ، تحاول ثانية برغم الخطر الذى وضعه سپتيميوس ، ان تجبر القرويين على تولى المناصب البلدية ، فقاوم القرويون ذلك . وعرضت القضية على الوالى ، وابرز محامى القرويين قانون سپتيميوس سڤيروس ، فسأل الوالى هيئة الدفاع عن الخصوم إن كان فى وسعهم ان يستشهدوا بقرار يناقض

=

Claire Préaux, «Sur le déclin de l'Empire au IIIème siècle de notre ère», **Chronique d'Egypte** XVI, No. 31 (1941), pp. 123-31.

[وعن وجهة نظر مختلفة ، راجع :

A. C. Johnson, «Roman Egypt in the Third Century», **JJP** IV (1950) 151-158].

(١) P. Oxy. X, 1252 verso

(٢) انظر :

T. C. Skeat & E. P. Wegener, «A Trial before the Perfect of Egypt Appius Sabinus, C. 250 A.D.», **J.E.A.** XXI (1935), pp. 224-47.

اذا كانت امتيازات مواطنى انتينوبوليس ، كما يبدو محتملا ، قد الغيت حوالى عام ٢٥٤/٢٥٥ م . (انظر هامش ص ١١٦ فيما تقدم) ، فان ذلك ينطوى ايضا على مغزى بالغ الاهمية بالنسبة للحالة فى عواصم الاقاليم .

وراجع ايضا :

A. H. M. Jones, «Another Interpretation of the Constitutio Antoniana», **JRS** (1936), 233-236 : Idem, **The Cities of the Eastern Roman Provinces** (1937), 329-338.

ذلك القانون ، فأجابه أحدهم بما يلى « إن القانون بلا ريب هو موضع الاعتبار . لكن ينبقى عليك ، عند الفصل فى القضية ، أن تتبع (قرارات ؟) الولاة الذين وضعوا حاجيات المدن نصب أعينهم . إن تطبيق القانون رهن بحاجة المدينة . وفى مرحلة تالية من مراحل المحاكمة واجه الوالى محامى العاصمة مرة أخرى بقانون سپتيميوس سڤيروس ، فكان الجواب كما يلى « رداً على قانون سڤيروس اقول الآتى : لقد سن سڤيروس القانون لمصر عندما كانت المدن لا تزال تنعم بالرخاء . فرد عليه الوالى قائلا « إن حجة الرخاء ، أو بالأحرى تدهوره ، قائمة بالنسبة للقرى والمدن على حد سواء » . ومعنى هذا الكلام أن الأزمة الاقتصادية كانت شاملة . والواقع ان الأحوال كانت وقتئذ سيئة فى كافة انحاء الامبراطورية ، فقد استعر أوار الحرب الأهلية حقبة طويلة بين مدعى عرش الامبراطورية الذين ظهروا الواحد تلو الآخر ، وأفلح قليل منهم فى الاحتفاظ بالعرش زهاء عشر سنوات ، غير انهم جميعا لقوا حتفهم غيلة . وقد نشبت ايضا الى جانب الحروب الأهلية حروب خارجية ، فاقتحم البرارة التيوتون الاستحكامات الشمالية للامبراطورية ، وتوغل القوط فى بلاد الاغريق ونهبوا اثينا ، واستفحل فى الشرق خطر الامبراطورية الفارسية بعد احيائها من جديد على يد آل ساسان (Sassanidae) ، ووقع الإمبراطور ڤاليريان (Valerianus) نفسه اسيرا فى يد احد الجيوش الفارسية ، واهلك وباء الطاعون عشرات الآلاف من الضحايا واجدبت مساحات شاسعة من الاراضى فى جميع أرجاء الامبراطورية ، وادى التخفيض المستمر فى قيمة العملة الى التضم وارتفاع الأسعار ارتفاعا جنونيا . لقد كانت هذه الأزمة فى الواقع أشد الأزمات التى انتابت الامبراطورية ، وبدا كما لو كانت روما تعانى سكرات الموت [١] .

وقد سبق ان ذكرت ان دستور كراكللا لم يترتب عليه ، كما هو واضح ، إلغاء ضريبة الراس . على أن هذه الضريبة لم تقم إلا بدور ثانوى فى اقتصاديات مصر خلال القرن الثالث . فبعد منتصف ذلك القرن لا يرد لها ذكر مباشر فى الوثائق البردية ، والإشارات إليها حتى قبل ذلك

[١] راجع :
R. Rémondon, **La crise de l'empire romain.** Nouvelle Clio no. 11 (1964).

التاريخ نادرة جدا فى الوثائق المكتوبة بعد عهد كراكللا ، اذ اخذت ضريبة الراس وغيرها من الضرائب العديدة التى ترد بكثرة فى برديات القرنين الأول والثانى ، تستبدل بها موارد جديدة للدخل ، كان من بينها ضريبة التاج [aurum coronarium] التى كانت فى الاصل ، كما يتبين من اسمها، هدية اختيارية يقدمها الأهالى للامبراطور بمناسبة اعتلائه العرش ، ولكنها تحولت فيما بعد ، مثل التبرعات الإجبارية على عهد الملك إدوارد الرابع وغيره من ملوك انجلترا ، تحولت إلى ضريبة إجبارية وما لبثت ان صارت سنوية . وكانت هذه الضريبة تجبى نقداً على الأراضى ، ولم تكن كضريبة الراس تجبى بمعدل ثابت ، بل كانت تتغير فيما يرجح حسب الحاجة(١) . وابعد منها أثراً كانت الضريبة المعروفة باسم (annona militaris) او « التموينية العسكرية » وهى ضريبة فرضت على الأهالى لتموين الجيش ، الذى كان جنوده وقتئذ يتقاضون الجانب الأكبر من رواتبهم عينا . فكان الأهالى ملزمين بتقديم المؤونة عندما يطالبون بها وبالقدر الذى تقضيه الظروف الطارئة . ولذلك كانت هذه الضريبة مرهقة لهم كل الإرهاق ، وملائمة كل الملائمة لجباتها الذين كانوا مسئولين باشخاصهم واملاكهم عن تحصيل نصابهم كاملا . وقد تدهورت قيمة النقود ، ولم يرتفع معدل ضريبة الراس ارتفاعا يتناسب مع انخفاض القيمة الشرائية للعملة ، ولم يعد فى وسع المرهقين بالضرائب ، عندما كان اليأس يستبد بهم ، سوى الاختفاء عن أعين السلطات [٢] . ولا ريب فى انه كان من الأيسر

---

(١) عن ضريبة التاج [وتسمى فى اليونانية stephanikon] ، انظر :
S. L. Wallace, **Taxation in Egypt from Augustus to Diocletian**, (Princeton 1938), pp. 281-84.
H. I. Bell, «The **Constitutio Antoniniana** and the Egyptian Poll-Tax», **J.R.S.** XXXVII (1947), p. 20.

[٢] عن ظاهرة « الإناخوريسيس »(anachôrêsis) اى الفرار والاختفاء عن اعين السلطات هربا من الاعباء ، راجع :
H. Henne, «Papyrus Graux», **BIFAO** 22 (1923), pp. 189-214 [**SB** IV 7461-7462] ; V. Martin, «Les Papyrus et l'histoire administrative de l'Egypte greco-romaine», **III Intern. Papyrologentag** (ünch. Beitr. Pap. XIX, 1934), 102-165 ; Naphtali Lewis, «Merismos Anakechôrêkotôn : An Aspect of the Roman

على الجباة ان يقتفوا اثر الضريبة النوعية وان يضعوا أيديهم عليها . هذا إلى ان « التموينية العسكرية » كانت ضريبة جماعية ، لا فردية كضريبة الراس . فإذا ما تهرب شخص من ادائها كانت جبايتها من اقرانه المتخلفين فى القرية أيسر منها فى حالة الضريبة النقدية . وينبغى ان نضيف هنا ان الحكومة كانت تقبل دفع هذه الضريبة نقداً بدلا من دفعها عيناً عندما تقتضى المصلحة ذلك . ويبدا ظهور إيصالات « التموينية العسكرية » فى اوراق البردى منذ عهد سپتيميوس سڤيروس ، ويزداد عددها بإطراد خلال القرن الثالث [١] .

ومن المالوف ان يظهر حتى فى أوقات التدهور الاقتصادى العام ، رجال اعمال مفامرون ، فى وسعهم اعتمادا على راس مال كاف ، ان ينتفعوا

=

Oppression in Egypt», **JEA** 23 (1937), 63-75 ; R. Rémondon, «Aporikon et Merismos Aporôn», **Ann. Serv. Ant. Eg.** 51 (1951), 221-245 ; H. Henne, «Documents et travaux sur l'**Anachôrêsis**», **Akt. VIII Kongr. Pap. Wien** (1956), 59-66 ; A. E. R. Boak and H. C. Youtie, «Flight and Oppression in Fourth-Century Egypt», **Studi in onore Calderini e Paribeni** II (1957), 325-338 ; H. Braunert, **IDIA** «Studien zur Bevölkerungsgeschichte des ptolemäischen und römischen Aegypten», **JJP** IX-X (1955-56), 211-328 ; Idem, **Die Binnenwanderung. Studien zur Sozialgeschichte Aegyptens in der Ptolemäer-und Kaiserzeit.** (Bonner Historische Forschungen, Bd. 26). Bonn, 1964.

[١] انظر :
P. Jouguet, **Vie Municipale** (1911), 387 ff. ; D. Van Berchem, «L'Annone militaire», **Mem. Soc. Nat. Antiquaires de France** (1937), pp. 154-181 ; A. Segrè, «Essays on Byzantine Economic History, I The Annona civica and the Annona militaris». **Byzantion** XVI, 2 (1942/43) pp. 393-444 ; A. C. Johnson and L. C. West, **Byzantine Egypt : Economic Studies** (1949) esp. pp. 218-229 ; A. C. Johnson, **Egypt and the Roman Empire** (1951) **passim.** Cf. also **P. Beatty Panopolis** ed. by T. C. Skeat (Dublin) 1964.

من الأحوال السائدة ، وذلك باستثمار أموالهم وفقا للظروف المتغيرة(١) . وهذا مايحدث حينذاك كما يتبين لنا من برديات هيرونينوس (Hêrôninus) (٢) وهى مجموعة طريفة من الوثائق ترجع إلى منتصف القرن الثالث وتتضمن الأوراق الخاصة بالشخص المذكور ، الذى كان ناظراً [phrontistês]

---

(١) قارن :
Claire Préaux, **Actes du Ve Congrès Intern. de Papyrologie,** p. 348 :

« عندما يكون ظهور الملكية الخاصة فى بلد مكتظ بالسكان نتيجة لازدياد ثروة الافراد والتوسع الكبير فى التبادل التجارى ، ينتهى الامر بانقسام الاراضى الى ملكيات صغيرة . وعلى العكس ، اذا اقترن ازدياد نفوذ الافراد الشخصى (من الناحية القانونية) باوقات الكساد الاقتصادى ، فان الاراضى ، بعد خروجها من يد الملك ، تؤول حتما الى هؤلاء الافراد الذين يتمتعون دون سواهم بقسط من الثراء » .

(٢) يجد القارىء اهم مجموعة منشورة من هذه البرديات فى P. Flor. II ويقوم الآن عالم بلجيكى ، وهو الدكتور J. Bingen بدراسة من اوراق هيرونينوس ، بما فى ذلك بعض الوثائق غير المنشورة المودعة فى المتحف البريطانى وغيره من الاماكن .

[ومن هذه الاماكن براغ فى تشيكوسلوفاكيا حيث توجد مجموعة برديات فيسلى (P. Wess. Prag.) والتى تعرف الآن ببرديات براغ (P. Pragenses) ويوالى الاستاذ فاركل (M. Varcl) نشرها فى بعض المجلات العلمية مثل
Listy Filologické ; Eunomia ; Archiv Pap. ; JJP ; Archiv Orientalni
وقد اعيد نشرها فى مجموعة
SB (= Sammelbuch) VI, 9052-9064 ; 9072-9083 ; 9406-9415.
والى جانب مقدمة P. Flor. II ، P. Reinach II, Nos 111-115
انظر البحوث التالية :
J. Bingen, **Chron. d'Eg.** 24 (1949), 148-150 ; **Idem,** «Documents provenant des archives d'Heroninos», **ibid.** 25 (1950), 87-101 : **Idem,** «Les Comptes dans les archives d'Heroninos, **ibid.** 26 (1951), 378-385 ; L. Varcl, «Metrêmatiaioi», **JJP** XI-XII (1958), 97-110 ; **Idem, Archiv** XVII (1960), 17-22 ; H. Riad et A. Swiderek, **Eos** LI, 4 (1961), 295-300. (Cf. J. Bingen, **Chron. d'Eg.** 37, 1962, p. 205) ; M. Stangellini, «La corrispondenza di Heronino nei Papiri Fiorentini», **Annali della Scuola Normale Superiore di Pisa,** Lettere, Storia e Filosofia, Ser. II, vol. 29 (1960), 45-74. (Cf. **Chron. d'Eg.** 37, 1962, p. 206). See also **Rech. de Pap.** III (1961), 49-96 ; **Chron. d'Eg.** 40 (1965), 466-69].

على بعض الضياع الكبيرة فى قرية ثيادلفيا Theadelphia [بطن هريت] بإقليم الفيوم . وكان فى مقدمة الملاك الذين التحق هيرونينوس بخدمتهم ، رجل يدعى الوپيوس (Alypius) . ولم يكن الوپيوس فيما يبدو يشغل منصباً رسمياً وإن كان اسمه قد ورد مرة مقرونا بلقب من ألقاب التشريف يقابل فى اللاتينية «vir egregius» أى « صاحب السعادة » ، ممايوحى بأنه كان رجلا ذا مقام كبير ومكانة مرموقة . وكان من بين هؤلاء الملاك رجل آخر يدعى اپيانوس (Appianus) ، وهو «exêgêtês» سابق من الإسكندرية ، وثالث اسمه هيراكليديس (Hêraclidês) ، كان عضواً بمجلس الشورى ومديراً لمعهد التربية بأرسينوى . وأما ألوپيوس فكانت لديه بطانة كبيرة من الخدم والكتبة والوكلاء ، ومن إليهم ، ويملك ضياعاً شاسعة فىانحاء عديدة من الفيوم . على أن الباحثين لم يتفقوا بعد فيما إذا كان الوپيوس وأمثاله كانوا ملاكا أم مجرد مستأجرين للأراضى العامة . إننى شخصياً اميل إلى الأخذ بالرأى الأول ، غير أن المسألة ليست بذات أهمية كبيرة ، لأنه حتى ولو كانت الأراضى مملوكة للدولة فإنها كانت تؤجر لهؤلاء الأفراد بمقتضى عقود وراثية [emphyteusis] . وتلك كانت إحدى الطرق التى تحولت بها الأراضى العامة بمرور الزمن إلى أراض خاصة [١] . الواقع أن ألوپيوس — وهذا أمر يكاد لا يرقى اليه الشك — كان رائداً لهؤلاء النبلاء الكبار أرباب الضياع الشاسعة ، الذين سنلقى بهم فى أواخر العصر البيزنطى . لكننانلمس حتى منذ القرن الثالث بوادر انقلاب زراعى كبير . لقد كانت الظاهرة المميزة لمصر من الناحية الزراعية فى العصر الرومانى هى المجتمع الريفى الذى يتألف من صغار الملاك ومستأجرى الأراضى العامة . غير اننا سنرى عند التعرض لتاريخ مصر

---

[١] عن هذا الموضوع راجع :
H. Comfort, «Emphyteusis among the Papyri», **Aegyptus** 17 (1937), 3-24.
A. C. Johnson & L. C. West, **Byzantine Egypt: Economic Studies.** Princeton, 1949 ; A. C. Johnson, **Egypt and the Roman Empire.** Ann Arbor, 1951 ; A. Segrè, «The Byzantine Colonate», **Traditio** 5 (1947), 103-133, esp. 130 ff. ; A. H. M. Jones, «Census Records of the later Roman Empire», **JRS** 43 (1953), 48 ff. ; **Idem, The Later Roman Empire 284-602** (Blackwell, Oxford 1964), vol. II **passim.**

الاقتصادى فى القرن السادس الميلادى أن الأراضى العامة لا وجود لها تقريباً ، وأن ابرز ظاهرة عن مصر وقتئذ انها كانت بلدا ينقسم مجتمعه إلى نبلاء شبيهين بنبلاء الاقطاع ، وفلاحين انصاف عبيد . وقد بدأ هذا التطور الذى انتهى إلى هذه النتيجة فى القرن الثالث على ما يرجح . ولا نجد لسكرات الموت التى كانت تعانيها الامبراطورية إلا صدى ضئيلا فى اوراق هيرونينوس التى تدور حول شئون مصلحية عاجلة ، وإليك مثلا منها : يكتب الوپيوس إلى هيرونينوس قائلا :

« توقع حضورنا لزيارتك بمشيئة الله فى يوم ٢٣ . وبمجرد استلامك خطابى هذا ، فلتتأكد من تجهيز الحمام بالماء الساخن ، واستحضر له الحطب واجمع التبن اينما تستطيع الحصول عليه حتى يتيسر لنا الاستحمام بماء دافىء فى هذا الطقس الشتوى . فقد عزمنا على النزول ببيتك كى نقوم بتفتيش بقية الضياع وتنظيم العمل فى القسم الخاص بك . لكن لا تنس أن تعد جميع لوازمنا ، وفى مقدمتها خنزيراً مناسباً لجماعتنا ، ولتحرص على أن يكون بديناً لا هزيلا او لا خير فيه كالمرة السابقة . وكلف الصيادين ايضا ان يحضروا لنا سمكا ، وجهز مقدارا وفيراً من الكلأ الأخضر حتى تجهد بهائمى هى الأخرى كفايتها من العلف » (١) .

ولعل هذا الخطاب وعشرات اخرى على نمطه تذكرنا انه وراء مسرح الحروب والثورات والانقلابات الاجتماعية والاقتصادية ، التى يعنى المؤرخ بتدوينها ، كان موكب الحياة يسير على وتيرته المألوفة ، فالرجل العادى كان أكثر اهتماماً بمصالحه الشخصية ، وبالصفقة التجارية ، والاحتفال العائلى ، وتدبير طعام اليوم التالى ، منه بالمعارك النائية او تطور الوضع الاجتماعى (٢) .

اصلاحات دقلديانوس ومحاولة وقف الانهيار :

وفى خريف عام ٢٨٤ م . نادى الجيش الرومانى فى الشرق بقائد الحرس الخاص ديوكليس (Dioclês) ، الذى تسمى منذ ذلك الحين

---

(١) P. Flor. II, 127 = **Select Papyri** I, No. 140.

(٢) يستشهد المؤلف هنا تاييدا لما يقوله ببعض ابيات مشهورة لشاعر انجليزى تدل على نفس المعنى .

باسم دقلديانوس (Diocletianus) ، إمبراطوراً ، فاعتلى العرش عقب موت كارينوس (Carinus) [١] . كان دقلديانوس سليل اسرة رقيقة الحال من دلماتيا ، وجندياً متزناً وإن أعوزه النبوغ ، وسياسيا واسع الأفق خصب التفكير ، ذا مقدرة على الابتكار ، ومطبوعا على البشر والتفاؤل . وقد القيت على عاتقه مهمة من أشق المهام ، الا وهى انقاذ الامبراطورية من براثن الانحلال ، ولم تكن تعوزه الشجاعة او القدرة على النهوض بها . وتعتبر إصلاحاته إحدى نقط التحول الهامة فى التاريخ [٢] . وكان « حكم المواطن الأول » (principatus) ، المتمتع بسلطة الاعتراض على سائر السلطات ، قد حل مكانه « حكم السيد » (dominatus) ، أو حكم الامبراطور المؤله المتمتع بالسلطة المطلقة [٣] ، غير انه كانت لا تزال هناك آثار ضئيلة من نظام الحكم الجمهورى ، كتوزيع السلطات ، على الأقل ما ناحية الشكل ، بين الامبراطور والسناتو . لكن الحكم يصبح بتولى دقلديانوس العرش استبدادياً مطلقاً . صحيح أن بيزنطة لم تصبح عاصمة للامبراطورية إلا فى عهد قسطنطين الأكبر ، ومع هذا فإننا نشعر بأننا على ابواب العصر البيزنطى . نحن ما زلنا فى العالم القديم ، بيد اننا نستشعر بعض مظاهر الحياة الخاصة بالعصور الوسطى .

ولما أحس دقلدياوس بجسامة مهام الامبراطورية ، قرر أن يستعين بزميل له على اعباء الحكم ، وكان النظام ، فى شكله النهائى يقضى بأن يتولى

---

[١] راجع :
W. Ensslin, «Zum dies imperii des Kaisers Diocletian», **Aegyptus** 28 (1948), 178-194

وقد ثبت الآن ان دقلديانوس اعتلى العرش يوم ٢٠ نوفمبر عام ٢٨٤ م ، راجع :
P. Beatty Panop. 2, l. 164

(ومن هذه البردية ، السطر ١٦٢ ، يتبين انه ولد فى يوم ٢٢ ديسمبر) .

[٢] عن اصلاحات دقلديانوس ، انظر ص ١٥٢ هامش ١ فيما بعد .

[٣] انظر :
R. Guilland, **Etudes sur l'histoire administrative de l'Empire romain : Le Despotês.** Paris 1959.

الحكم فى نفس الوقت إمبراطوران يحمل كل منهما لقب « اغسطس » على أن يستعين كل منهما بمساعد يعتبر وريثاً له ويحمل لقب «قيصر» [١] . وحرصاً منه على تجنيب الامبراطورية خطر الاضطرابات الناجمة عن اطماع حكام الولايات الذين يتمتعون بالسلطتين العسكرية والمدنية ، وربما لاحساسه بأن الأعباء الملقاة على عاتق حكام الولايات متشعبة الى حد انهم لا ينهضون بها على الوجه الأكمل ، فقد أعاد تنظيم الولايات ؛ والغى التفرقة بين الولايات السناتورية والولايات الامبراطورية ، وقلل مساحة الولايات ، وفصل السلطة العسكرية عن المدنية ، ثم ادمج الولايات فى وحدات إدارية كبيرة تعرف كل منها باسم (dioecêsis) [٢] وقسمت مصر التى كانت حتى ذلك الوقت ولاية واحدة إلى ثلاثة اقسام وهى

---

[١] وتبعا لذلك انقسمت الامبراطورية الى أربعة اقسام كبيرة وهى غالة ، وايطاليا، والليريا ، والشرق .وكان القسم الاخير (praefectura Orientis) يشمل طراقيا والاراضى الآسيوية ومصر . وتيسيرا للعمل كان يعاون كلا من الاغسطين والقيصرين فى قسمة حاكم عام يسمى (praefectus praetorio) انظر :
Bury, **History of the Later Roman Empire** I, p. 26 ;
A. H. M. Jones, **The Later Roman Empire 284-602** (1964), vol. I, **passim.**

[٢] وكان عدد هذه الوحدات الادارية أو « الادارات » يبلغ ١٢ ، سبع منها فى الغرب، خمس فى الشرق . وكان حاكم عام القسم الشرقى (انظر الحاشية السابقة) الملقب باسم praefectus praetorio per Orientem يهيمن على اربع منها وهى ادارة طراقيا وادارة آسيا وادارة بونطس ، وما يعرف باسم ادارة الشرق dioecesis Orientis (وهى غير القسم الشرقى) ، التى تشمل سوريا وفلسطين والعراق وقبرص ... الخ وكذلك مصر . وكان على راس كل ادارة نائب عن الحاكم العام يحمل لقب «vicarius» فيما عدا «ادارة الشرق» التى كان على راسها حاكم يعرف باسم «كونت الشرق» (comes Orientis)
وقد ظلت مصر جزءا تابعا لهذه الادارة حتى حوالى عام ٣٨٢ م . حين انفصلت واصبحت ادارة مستقلة باسم Aegyptiaca dioecesis وعلى راسها حاكم يحمل لقب « الاغسطى » praefectus Augustalis ؛ انظر :
Bury, **op. cit.** p. 27 ; Wilcken, **Grusdzüge,** pp. 72-4.
قارن ايضا النظام الادارى الجديد ، فى الفصل الرابع فيما بعد .

(Thebais)و(Aegyptus Herculia)و(Aegyptus Jovia) [١] ووضع كلا من القسمين الأول والثانى تحت إمرة حاكم يحمل لقب (praeses) ، ووضع القسم الثالث ، الذى يشمل الاسكندرية ، تحت إمرة حاكم يحمل اللقب القديم (praefectus Aegypti) ، اى والى مصر ، ويتمتع بسلطة أعلى من سلطة زميليه الآخرين (praesides) ؛ ولكنه يخضع مثلهما لسلطة « كونت الشرق » المسمى (comes Orientis) ، والذى كانت مصر تابعة لادارته dioecesis Orientis [٢] . وكان حكام مصر الثلاثة موظفين مدنيين ، وأما السلطة العسكرية فقد وضعت فى يد قائد بلقب (dux Aegypti) أو « دوق مصر » .

وبعدئذ أصلح دقلديانوس النظام المالى إصلاحا جوهرياً شاملا متخذاً من ضريبة التموينية اساساً لهذا الاصلاح ، بعد ان نظم ميعاد جبايتها وثبت معدلها ، وكانت حتى ذلك الحين ضريبة متغيرة تجبى فى أوقات غير محددة . ففى كل عام كانت الحكومة تقوم بتقدير الضريبة اللازمة لسد حاجات الامبراطورية خلال السنة (indictio) ؛ وتحدد فيه نصاب كل ولاية ثم تخطرها بذلك عن طريق المنشور (أو التفويض الامبراطورى) الخاص بفرض الضريبة (delegatio) . وكان تقدير الضريبة فى اول

---

[١] وتقابل هذه الاقسام على وجه التقريب الاقسام الادارية الثلاثة فى عهد الرومان (منطقة طيبة ، ومصر الوسطى ، والدلتا) التى كان على رأس كل منها مدير عام (epistrategos)

(قارن ما تقدم ص ٩٨ ، وانظر ص ٧٢ من كتاب فيلكن المشار اليه فى الحاشية السابقة) .

والتسمية Herculia نسبة الى الاله هيراكليس راعى الامبراطور مكسيميان الذى كان يحمل لقب Herculius . واما Jovia فنسبة الى چوبيتر ، كبير الآلهة الرومان ، وراعى الامبراطور دقلديانوس الذى كان يلقب Jovius .

راجع الآن :

L. De Salvo, «La data d'istituzione della provincie d'Aegyptus Jovia e d'Egyptus Herculia», **Aegyptus** 44 (1964), 34-46.

[٢] وعن النظام الادارى فى مصر منذ دقلديانوس حتى انشاء ادارة الشرق ، راجع الآن الكتاب الهام :

Jacqueline Lallemand, **L'administration civile de l'Egypte de l'avènement de Dioclétien à la création du dioecèse** (Acad. Roy. Belg. Classe des Lettres. Mém. IIe sér. tome LVII, fasc. 2). Bruxelles, 1964.

الأمر يجرى مرة كل خمس سنوات ، ثم صار فيما بعد يجرى مرة كل خمس عشرة سنة . وهذا التقدير يقوم على اساس ما يمكن تسميته بوحدةالانتاج ، التى كانت فى حالة الأراضى تعرف باسم «يوجوم» iugum ، وهى مساحة الأرض التى يستطيع أن يزرعها رجل واحد ، وهذه المساحة تختلف باختلاف نوع الأرض . ففى سوريا مثلا كان الـ (iugum) يعادل عشرين او اربعين أو ستين فدانا رومانيا (iugerum) [١] من الأرض الصالحة للزراعة ، وخمسة افدنة رومانية من الأرض المنزرعة كروما أو ٢٢٥ شجرة زيتون (أو ٤٥٠ شجرة فى المناطق الجبلية) . وكانت وحدة الانتاج بالنسبة للأفراد هى الـ caput اى الرأس ، وقد عوملت المرأة باعتبارها نصف رأس (٢) .

وقد نجم عن هذه التغييرات تبسيط كبير فى النظام المعقد الذى كان سائداً فى العصر الرومانى ، واختفت من الوثائق معظم الضرائب التى كانت مالوفة فى ذلك العصر . ومن محاسن الصدف اننا عثرنا على بردية منذ وقت بعيد عليها نص المنشور الذى اعلن فيه والى مصر ارستيوس ابتاتوس (Aristius Optatus) ، الاصلاح الجديد :

« حيث انه تناهى إلى علم إمبراطورينا المدبرين ، دقلديانوس ومكسيميان الأغسطين ، وإلى قسطنطيوس ومكسيميان القيصرين الأمجدين ، ان تقديرات الدخل العام تتم بطريقة يترتب عليها ان بعض الناس لا تقع عليهم إلا اخف الأعباء ، فى حين أن البعض الآخر يرهقون بها أشد الارهاق ، فقد راوا أن من الخير ان يستأصلوا هذا الشر الوبيل حرصاً على صالح رعاياهم فى الولايات ، وان يضعوا قاعدة سليمة لجباية الضرائب فى المستقبل . ولذلك اصدرت إعلاناً رسمياً بمقدار الضريبة

---

(١) ان موضوعى الـ capitatio والـ iugatio تكتنفهما صعوبات وهما مثار خلاف شديد بين المؤرخين . وعن اصلاحات دقلديانوس ، انظر :
W. Ensslin, «The Reforms of Diocletian», **Cambridge Ancient History** xii [1939], Chap. xi. [esp. pp. 383 ff.]

وانظر الآن ايضا :
W. Seston, **Dioclétien et la Tétrarchie.** Paris, 1946.

[راجع ايضا :
A. H. M. Jones, **The Later Roman Empire.** 3 vols (Oxford, 1964)

[٢] يعادل الـiugerumالرومانى ما يزيد بقليل عن نصف فدان انجليزى .

المفروضة على كل « أرورا » [١] تبعاً لنوع الأرض ، وعلى كل فرد من سكان الريف ، محدداً السن الأقصى والسن الأدنى لمن هم خاضعون لها طبقاً للمرسوم الإلهى الذى أصدروه ، والمذكرة الملحقة به » [٢]

فى هذا المرسوم نجد اننا ... على
للأراضى (iugatio) ووحدة الانتاج بالنسبة الأفراد (...
فى الفصل الثانى ما ترتب على إصلاحات دقلديانوس من نتائج .

* * *

[١] كانت وحدة الانتاج فى مصر هى الارورا (aroura) وليست اليوجوم iugum
كما هو الحال فى غيرها من ولايات الامبراطورية ؛ انظر :
انظر : Johnson, **Egypt and the Roman Empire,** p. 75
ومن مساحة الارورا ، انظر ما تقدم ص ٦٢ حاشية [١] .

[٢] A. E. R. Boak, «Early Byzantine Papyri from the Cairo Museum», no. 1, in **Etudes de Papyrologie** II (1934), pp. 1-8.
[وقد اعيد طبع هذا المنشور الصادر بتاريخ ١٦ مارس عام ٢٩٧ فى :
P. Cair. Isidor. 1]

الفصل الرابع

العصر البيزنطى

النظام الادارى :

ادت الإصلاحات التى قام بها دقلديانوس ــ ووصفناها فى الفصل السابق ــ إلى تغيير جوهرى فى نظام مصر الادارى ؛ فقد اصبحت البلاد وقتئذ تنتظم ثلاث ولايات بعد أن كانت ولاية واحدة ، وحدث فصل تام بين السلطتين المدنية والعسكرية ، ونظمت جباية الضرائب وطريقةتقديرها على اسس جديدة . بيد ان التغيير لم يشمل فى بادىء الأمر ناحية بعينها، فقد ظلت البلاد مقسمة الىاقاليم [nomoi] ، ولم تتمتععواصم هذهالأقاليم بالاستقلال الذاتى الكامل حتى اتخذت الخطوة الحاسمة فى هذا الصدد فى تاريخ غير معروف بين عامى ٣٠٧ و٣١٠ عقب تنازل دقلديانوس عن العرش ، (أول مايو سنة ٣٠٥) . وبفضل هذه الخطوة لم يعد الاقليم وحدة التقسيم الادارى. والغى منصب «المدير» (stratêgos) [١] ــ وذلك على الأقل فى شكله القديم ــ كما الغى منصب « الكاتب الملكى » . ومنذ ذلك الوقت حمل مجلس الشورى المسئولية الكاملة عن الإدارة المالية والإدارة العامة على السواء . لقد كانت مصر تتألف من عدة اقاليم ، لكل منها عاصمته ومديره الخاص ، فأصبحتالآن مجموعةمن المدنأو البلديات (civitates) [٢] التى تتمتع بالحكم الذاتى ، وتتبع كل منها منطقة ريفية تعرف فى اللاتينية باسم (territorium)وفى اليونانية باسم (enoria) . وقد قسمت هذه المنطقة التى تقابل فى العادة الإقليم القديم (برغم حدوث بعض التعديلات) إلى عدد من المراكز (pagi) تقابل مراكز النظام القديم التى كانت تسمى (toparchiai) . وكان يشرف على الادارة المالية فى

---

[١] انظر :
J. D. Thomas, «The strategus in Fourth Century Egypt», **Chron. d'Eg.** 35 (1960), 262-270.

[٢] وفى اليونانية poleis او politeiai

كل مركز (pagus) موظف يدعى (praepositus) [١] يخضع لموظف جديد فى البلدية يسمى (exactôr) [٢] ، وهو الذى انتقلت اليه الاختصاصات المالية لمدير الإقليم . وقد آلت بقية اختصاصات هذا الأخير إلى رئيس مجلس الشورى (propoliteuomenos) [٣] . وقد ادى هذا التشابه الجزئى بين اختصاصات «الاكساكتور» و «الاستراتيجوس» الى ان أصبح الأول يحمل فى بعض الأحيان لقب الثانى ، لكن ذلك لم يكن سوى أثر من آثار النظام القديم . واستحدثت بعد ذلك فيما يحتمل ، ولكن قبل عام ٣٣٦ دون شك ، وظيفة جديدة ، هى وظيفة «النقيب (defensor) [٤] ، وكانت مهمة صاحبها الرئيسية حماية الفقراء (humiliores) من بطش الأغنياء (potentiores)

---

[١] أول اشارة الى هذا الموظف (الذى يعنى لقبه « رئيس او مدير ») ترجع الى عام ٢٩٩ م ، انظر : P. Ryl. IV, 658

وكان المعتقد أن وظيفته لم تنشأ الا فى عام ٣٠٧ — ٣٠٨ انظر :
A. E. Boak, **Mél. Maspero** II (1934), 125-129

وعن اختصاصاته ، راجع :
N. Lewis, «Two Petitions for Recovery», **JJP** II (1948), 51-66.

[٢] راجع الآن :
J. D. Thomas, «The Office of Exactor in Egypt», **Chron. d'Eg.** 34 (1959), 124-140.

[٣] وكان فى العصر الرومانى يسمى prytanis .

[٤] ولقبه كاملا هو نقيب البلدية (defensor civitatis) ، ويسمى فى اليونانية ĕkdikos ، انظر :
B. R. Rees, «The Defensor Civitatis in Egypt», **Journ. Jur. Pap.** VI (1952), 73-102 ; E. Berneker, «Defensor Civitatis», **Reallexicon für Antike und Christentum**, Lief. 21 (1956), coll. 649-656.

واول اشارة الى « النقيب » ترجع الى عام ٣٣٢ م .

كما استحدثت قبيل هذا الوقت وظيفة هامة اخرى وهى وظيفة curator civitatis (فى اليونانية logistês) بمعنى « مدير حسابات البلدية » ، لكن لم يلبث أن اتسعت اختصاصاته حتى صار بمثابة رئيس البلدية من الناحية الادارية ، كانت اختصاصاته تشمل حفظ الوثائق العامة والسجلات ، والاشراف على المؤسسات الدينية والثقافية ، ومراجعة حسابات البلدية والنقابات والأسواق ، والتعيينات فى الخدمات الالزامية ، وعلى المرافق العامة ، وفحص الشكاوى نيابة عن الوالى ، وتنفيذ الاحكام . ويبدو أنه منح اختصاصات قضائية محدودة . ويرجح الآن انه كان موظفا محليا متصلا بالبلدية وليس موظفا تابعا

=

وكانت النتيجة النهائيـــة التى تمخضت عنها هذه التغييرات هى ان اصبحت مصر اكثر شبهاً بولايات الامبراطورية الأخرى عما كانت من قبل ، برغم ان العوامل الجغرافيـــة وغيرها ابقت على قسط معين من الاختلاف . والواقع انأهم هدف سعى إليه دقلديانوس من وراءإصلاحاته كان توحيد النظام الادارى وتبسيطه ، الأمر الذى يؤدى بطبيعتـــه إلى تدعيم قوى الامبراطورية . وتحقيقاً لهذا الهدف اتخذت خطوة أخرى نرى آثارها واضحة فى وثائقنا البردية ، تلك هى اعتبار اللاتينية لغـــة رسمية حتى فى الولايات التى كانت الاغريقية لا تزال تحتـــل فيها هذه المكانة مثل مصر . لكن التغيير الفعلى كان تافهـــا ، فقد ظلت اليونانيـــة لغة رئيسية فى المحاكم والادارات الحكومية ، وكانت تصدر بها القـــرارات العامة . اما النتيجة الجوهرية للنظام الجديد ، تلك التى نراها واضحة فى الوثائق البردية ، فهى أن المحاضر الرسمية للقضايا أصبحت تصدر فى إطار لاتينى ، اى ان العنوان والتاريخ وموضوع القضية كانت تـكتب باللاتينية ، واحيانا كانت ملاحظات الوالى نفسه (praefectus) تكتب بهذه اللغة ، اما أقوال طرفى القضية والشهود والقضاة ، وكذلك رئيسهم فى كثير من الأحيان ، فظلت تكتب باليونانية . وثمة تغيير ابعـــد من ذلك مدى ، وهو العدول عن طريقة تأريخ الوثائق القانونية بسنوات حـــكم الامبراطور إلى التأريخ بسنوات القناصل [١] ، مع ذكر موقع السنة من دورة تقدير الضرائب (indictio) التى تحدثمرة كل خمسةعشر عاما(٢) . وظلت هـــذه الطريقة متبعة حتىم الغيت القنصلية على أيام الابراطور

=

للحكومة المركزية ، وان كان تعيينه لا يتم الا بموافقة من الامبراطور . وعلى اى حال فان وظيفته التى ترجع اقدم اشارة اليها الى عام ٣٠٤ (P. Oxy. 2187) كانت سابقة على انشاء وظيفة النقيب (defensor) لكن لم تلبثاختصاصات هذا الأخير منذالنصف الثانى من القرن الرابع ان طغت على اختصاصات الـ curator ؛ بل وعلى اختصـــاصات « الاكسماكتور » و « رئيس مجلس الشورى » ، ويصبح النقيب هو رئيس البلدية ، راجع :
B. R. Rees, «The Curator Civitatis in Egypt», **JJP** VII-VIII (1953)-54), 83-105.

[١] انظر :
A. Calderini, «Papiri consolari», **Aegyptus** 24 (1944), 184-195.

(٢) انظر ما تقدم فى ص ١٥١ [ويسمى الـ indictio فى اليونانية epinemêsis]

جستنيان فأعيد نظام التاريخ بسنوات حكم الامبراطور . وهناك نيجة اخرى طيبة لسياسة دقلديانوس ، وهى ان عـددآ كبيرآ من البرديات اللاتينية التى ترجع إلى العصر البيزنطى وصلت إلينا ، لأن تعلم اللاتينية اضبح هدفآ يسعى إليه الحريصون على بناء مستقبلهم .

اضطهاد المسيحيين :

ولاشك ان الرغبة فى التوحيد كانت سببآ من اسباب حركة اضطهاد المسيحيين التى تعتبر الآن أشهر عمل عرف به دقلديانوس . لقد كان الولاء العام لدين الدولة الرسمى هو الرباط القوى الذى يربط بين اجزاء إمبراطورية تضم عديدا من العناصر والأجناس التى تختلف اصلا ولغـة وثقافة . ورفض المسيحيون المشاركة فى العقائد الوثنية ، فاصبحـوا عنصرآ غريبآ نافرآ بين مواطنى الامبراطـورية ، وكان طبيعيآ ان تتخـذ الإجراءات اللازمة لادماجهم أو استئصالهم . ومـع ذلك فيبدو واضحآ أن الاضطهاد الأكبر لم يحدث بناء على رغبة شخصية من دقلديانوس ، فقد أمر به ، وهو كاره له أشد الكراهية ، تحت ضغط شديد من القيصر جاليريوس (Galerius) ومشترطآ الا تراق فيـه دماء ؛ فلما اشتعلت النيران فى القصر الامبراطوري ــ وكان ذلك حادثآ مدبرآ للشكوك كحادث إحراق مجلس الرايخ الالمانى ــ ازدادت حدة الاضطهاد . ثم اسـتغل جاليريوس فرصة إصابة دقلديانوس بمرض خطير لإصدار قرار جـديد بفرض عقوبة الاعدام على المسيحيين . ولقد قيل إن تنازل دقلديانوس عن العرش كان ذا صلة باستيائه من الأمور الجارية (١) . وايا كان الأمر فقد احتدمت المعركة حينئذ ، وقدر لها أن تكون معركة فناء . فدمرت الكنائس ، واحرقت الكتب السـماوية والكتب الدينيـة ، وكثر عـدد المستشهدين . وكان ذلك اعنف اضطهاد تعرض له المسيحيون حتى إن

---

(١) انظر : N. H. Baynes, **C.A.H.** Vol. XII, p. 668.
وانظر أيضا المراجع الملحقة .

الكنيسة القبطية فى مصر والحبشة لازالت تؤرخ الأحداث بعصر دقلديانوس أو عصر الشهداء [١] .

ومما قاله ترتوليان (Tertullianus) (٢) « لقد نبتت الكنيسة من أرض روتها دماء الشهداء » ، وإن كلامه ليصدق على هذه الظروف أيضا : فمن المرجح جداً فى عالم يتعطش اهله إلى القوة الروحية أن يستتبع كل حادث من حوادث الاستشهاد اعتناق كثيرين لهذا الدين الجديد الذى استطاع أن يلهم اتباعه مثل هذه الشجاعة . وينبغى ان نذكر كذلك أن الكنيسة لم تكن تحيى ذكرى الشهداء فقط ، وإنما كانت تحتفى أيضا « بالمعترفين » ، هؤلاء الذين كانوا على استعداد لمواجهة خطر الموت ، رجالا كانوا أم نساء ، وإن لم يتعرضوا له فعلا . لقد مات المئات ، لكن آلافاً غيرهم زج بهم فقط فى غياهب السجون ، أو حكم عليهم بالنفى إلى اطراف الامبراطورية النائية حيث ضربوا هناك مثلا رائعاً فى الشجاعة ، ولم تفتر حماستهم فى اجتذاب الناس الى دينهم الجديد . وهكذا لم يؤد نفس العلاج الذى أريد به القضاء على وباء المسيحية إلا إلى ازدياد انتشار عدواه . وإذا أخذنا بما جاء فى الأوراق البردية ، فقد كانت مصر فى عام ٣٠٠ بلداً وثنياً فى جوهره ، برغم وجود عدد كبير من المسيحيين ، بينما اصبحت فى عام ٣٣٠ بلدا يدين معظم أهله بالمسيحية . ولاشك ان بعض هذا الانقلاب كان يرجع الى توقف الاضطهاد لا الى استمراره ؛ فقد حدث

---

[١] راجع :

J. Schwartz, «Dioclétien dans la littérature copte», **Bull. Soc. Arch. Copte** 15 (1958-60), 151-166 ; J. Lallemand, «Les préfets d'Egypte pendant la persécution de Dioclétien», **Ann. Inst. de Philol. et d'Hist. Orient. et Slaves** 11 (1951), 185-194.

(٢) انظر :

Apol. 1, «Plures effecimur quoties metimur a vobis : semen est sanguis Christianorum».

وترجمتها : « ان اعدادنا لتتزايد بالقدر الذى تستاصلونه منا ، لاننا نبت من الارض التى ترويها دماء المسيحيين » .

[ويعتبر « الدفاع » Apologia الذى اقتطفت منه هذه العبارة من اهم ما كتب ترتوليان (١٦٠ — ٢٣٠ م)] .

فى الثلاثين من شهر ابريل عام ٣١١ ان اصدر جاليريوس ، وكان يعانى مرضا كريها ، قرارا بوقف الاضطهاد ، ملتمسا من المسيحيين ان يصلوا من اجله . ولقد استجابوا له ، ولكن دون جدوى ، اذ قضى نحبه بعد ذلك بأيام قلائل .

المسيحية ديانة رسمية :

الجدل حول طبيعة المسيح

ولم ينقطع الاضطهاد تماما بعد ذلك ، لكنه كان متقطعا ومحليا إزاء سياسة التسامح التى انتهجها كل من قسطنطين (Constantius) وماكسنتيوس (Maxentius) فى الغرب . وفى عام ٣١٢ قص قسطنطين بنفسه ، وكان عندئذ قد اختلف مع ماكسنتيوس وتاهب لمحاربته ، رؤياه الشهيرة على مؤرخ الكنيسة يوسيبيوس (Eusebius) [١] : فقد رأى صليباً على قرص الشمس وعليه عبارة (hoc vince) اى « بهذا انتصر » . وطبيعى ان يرفض عالم متشكك مثل سيك (O. Seeck) قبول قصة كهذه باعتبارها « فرية واضحة » ، وان يعزو التغيير الذى طرا على موقف قسطنطين إلى دوافع سياسية خالصة . لكن هذا المؤرخ ، بصرف النظر عن مكانته وشهرته ، رجل متحرر يحاول تفسير تاريخ القرن الرابع على الأسس العقلية المنطقية الحديثة . وليس هناك سبب كاف يحدونا الى الشك فى أن قسطنطين قد اعتقد ان وحياً هبط عليه . وبرغم أن الاعتبارات السياسية كانت ، فيما يبدو ، توحى باتباع سياسة التسامح الدينى ، فإننا بلا ريب نجانب الصواب إذا افترضنا ان قسطنطين ــ وقد عبد إله الشمس الذى لا يقهر ــ لم يتاثر بالأفكار الدينية أيضا [٢] . وليس من شك

---

[١] ويكنى بامفيلى Pamphilii تخليدا لصداقته باسقف قيسارية بامفيليوس (Pamphilius) وقد ولد يوسيبيوس فى فلسطين حوالى عام ٢٦٠ ، وعين اسقفا لقيسارية فى عام ٣١٥ . وتوفى حوالى عام ٣٤٠ . وله مؤلفات عديدة أهمها « التاريخ الكنسى » .

[٢] راجع :

A. Alföldi, **The Conversion of Constantine and Pagan Rome** (Oxford, 1948), ch. I-IV : **Idem,** «The Initials of Christ on the Helmet of Constantine», in **Studies in Roman Economic and Social History in Honor of A. C. Johnson** (ed. by P. R. Coleman-Norton). Princeton (1951) pp. 303-311.

فى انه كان على ثقة تامة من إحراز النصر حتى لقد غزا إيطاليا واقدم على اقتحام حصن روما المنيع بقوات غير كافية دون أن يعبأ بنصيحة قادته أو نبوءات عرافيه . وكان الصليب مرسوماً على دروع رجاله عنــدما خاضـــوا غمار معركة جسر ملفيوس [pons Mulvia] التى أتاحت له الســـيادة على الغرب (١) . وفى عام ٣١٣ أعلن هو وحليفــه ليكينيوس (Licinius) وفقا لشروط اتفاقية « ميلان » ، مبدأ التسامح الدينى . وعندما انتصر على ليكينيوس فى سبتمبر عام ٣٢٤ [٢] ، ووجــد نفسه الامبراطور الوحيد ، أصبح الطريق معبدا امام المسيحية كى تصبح أولا ديانة الامبراطورية الرئيسـية ، ثم الديانة الرسمية الوحيدة فى جميع أرجائها [٣] .

ولقــد كتب دانتى (Dante) يقول (٤) : « ايه قسطنطين ، ما أكثر الشرور التى نجمت لا عن اعتناقك المسيحية . وإنما عن تلك الهبـــة التى قدمتها لله الغنى » وإن هبة قسطنطين المزعومة التى يشير إليها دانتى لمحض خرافة ، ولكن فى وسعنا مع ذلك أن نشعر أن اعتناق الامبراطور للمسيحية لم يكن خيراً كله . فلم يعد اعتناق هذا الدين يعنى مجــرد الأمان وإنما أصبح بدعة العصر ، وأسرع كثير من منتهزى الفرص إلى اعتناق الدين الجديد .

---

(١) انظر :
N. H. Baynes, «Constantine the Great and the Christian Church» in **Proc. of Brit. Acad.** XV, 1929, p. 347.

[٢] انظر : **CAH** XII (1939), p. 695 f.

[٣] راجع :
A. H. M. Jones, **Constantine and the Conversion of Europe.** London, 1948.

كان فى عهــد الامبراطور ثيودوسيوس الاول (الاكبر) ــ ٣٧٩ ــ ٣٩٥ ــ أن اصبحت المسيحية ديانة رسمية للدولة ، بل الديانة الوحيدة المباحة وصدرت عدة دســاتير أو مراسيم (بين ٣٨٠ ــ ٣٩٢) لتحريم الديانات والعقائد الأخرى تحريما باتا ، راجع :
A. H. M. Jones, **The Later Roman Empire** I (1964), pp. 165-169; G. Ostrogorsky, **History of the Byzantine State** (Engl. Transl. by J. Hussey) 1956, p. 49.

(٤) **Inferno,** XIX, 17.

وفضلا عن ذلك ، فقد اصبحت الكنيسة حرة فى تشجيع هذا الميل إلى الجدل الدينى الذى سببلها المتاعب حتى فى أيام الاضطهاد . وليست قصة المهاترات الدينية التى شهدها القرن الرابع والقرون التالية بماتخللها من احقاد مريرة ، واطماع وخصومات فردية ، واساليب تنطوى على الخداع والتضليل ، ليست هذه القصة التى لا نجد فيها اثراً لتعاليم المحبة المسيحية بالقصة المحببة إلى النفوس . وقد نتسامح فنعتبر هذه المهاترات بمثابة آلام المخاض المتزايدة التى عانت منها الكنيسة وهى تبذل جهدها المضنى لتصوغ هذه الديانة الجديدة ، التى قامت على تعاليم وسيرة فرد بعينه ، فى قالب فلسفى تجريدى . ولم تكن البدع التى انكرها المتزنون من رجال الكنيسة سوى محاولات لهذه الصياغة . وحتى هؤلاء الذين ينكرون مذهب الإيحاء لابد ان يعترفوا لرجال الكنيسة الأوائل بقدر كبير من الذكاء الفطرى ، فقد كانت معظم البدع التى انكروها اشبه شىء بالطريق المسدود ، الذى لا يؤدى إلى شىء ، أو كانت صوراً من الخبل والانحراف الفكرى .

وينبغى ان نلحق بالفئة الأولى بدعة أو « هرطقة » آريوس (Arius) التى احتلت مكانا بارزا فى تاريخ مصر والامبراطورية كلها فى خلال القرن الرابع . وكان آريوس الذى ابتدع هذا المذهب قسا فى كنيسة الاسكندرية . اما أكبر معارضيه فكان القديس اثناسيوس (Athanasius) احد أبناء الاسكندرية واسقفها خلال اعوام كثيرة . ولابد من الاعتراف بأن اثناسيوس لم يكن الطف شخصية بين آباء الكنيسة الأوائل . لقد كان رجلا حر التفكير ، محبا للسلطة ، طموحا ، لا يطيق المعارضة . ولكنى لا اشارك « سيك » رايه فى ان اثناسيوس كان يزيف الوثائق ، أو أنه كان يكذب عامدا . لقد كان دون شك ـ غير جاهل بفن اخفاء الحق (suppressio veri) واظهار الباطل (suggestio falsi) ، كما كان استاذاً فى سلاطة اللسان ؛ وبرغم ذلك ، وبصرف النظر عن ان اخطاءه كانت تقابلها فضائل قيمة حقاً ، وانه كان يقل صلابة ويزداد تسامحاً كلما تقدمت به الأعوام ، فإن المؤرخ المنصف لا يسعه إلا ان يعترف بانه كان على صواب إذا وضع ظروفه موضع الاعتبار . لقد انقضى العهد الذى كان التوحيد فيه موضع جدل بين المسيحية والوثنية . وايا كان نوع التفكير لدى الدهماء ، فإن المتعلمين من الوثنيين كانوا فى حقيقة الأمر موحدين يكادون لا يفرقون فى حديثهم بين « الله » و « الآلهة » . ولم تعد الآلهة حينئذ كائنات مستقلة بقدر

ما أصبحت صوراً لقوة مقدسة واحدة (١) . أما مثار الجدل الحقيقى فكان فى العلاقة بين الله والإنسان . ذلك ان فكرة سمو الإله وتعاليه قد تغلغلت فى ضمائر المتعلمين ، بينما تزايد شعور الناس بأوزارهم وانحلالهم . فأدى ذلك الى المزيد من الصعوبة فى ايجاد نقطة التقاء بين العابد والمعبود، وتخيل الناس سلسلة طويلة من الأرواح التى يمكن أن يتم الاتصال به عن طريقها . ومع ذلك بقيت هناك ثغرة لم تسد . والواقع ان الميزة الكبرى التى امتازت بها المسيحية ، وأكاد أقول ورقتها الرابحة ، كان عقيدة « التجسيد » ، وإيمانها بمنقذ كان إلهاً وبشراً فى آن واحد : « إله من طبيعة أبيه » و « بشر من طبيعة أمه » كما جاء فى مذهب أثناسيوس (وهو مذهب لم يكتبه أثناسيوس) . ولقد استطاع آريوس بإنكاره مذهب الطبيعة الواحدة ان يقطع هذا الاتصال الذى أوجدته المسيحية بين تعالى الإله وتفاهة الانسان . ومن ثم فانه عندما كانت الأوامر الامبراطورية تصدر متوعدة الاساقفة المتمردين ، وكانت المجامع الكنسية تجتمع من أطراف الإمبراطورية ، وعندما كان بعض رجال الكنيسة يصدرون قرارات الحرمان ضد البعض الآخر ، وكان الدهماء يسطون على الكنائس فيخربونها ويحطمون رؤوس معارضيهم ، لم يكن الجدل حول طبيعة المسيح وهل هى نفس طبيعة الأب (homoousios) أومشابهة لها (homoiousios) ، لم يكن كما قيل عنه مجرد مهاترة حول حرف واحد من حروف الأبجدية اليونانية ، هو أصغرها جميعاً [١] ؛ وذلك برغم ان الكثيرين ممن اشتركوا فى هذا الجدل لم يفهموا من خفاياه اللاهوتية إلا النزر اليسير . وأياً كانت الأطماع التى جالت بخاطر أثناسيوس ، وسواء أكانت شخصية أم سعياً وراء كرسى أسقفية الاسكندرية (ومن ذا الذى يستطيع ان يستجلى غوامض النفس البشرية ؟) ، فقد كان أثناسيوس فى خضم المعركة ، وكان يعرف انه يقاتل لتقرير مبدأ خطير فى الديانة المسيحية ، وكان حتماً عليه

---

(١) انظر :

«Godhead was one; there were many telephone lines and they ran through a number, smaller but appreciable, of different switchboards». A. D. Nock, **J.R.S.** XXXVII, 1947, p. 104.

ومعنى هذه العبارة هو « ان الاله لواحد ، لكن هناك عدة طرق مختلفة توصلنا اليه» .

[١] يقصد حرف (ايوتا اليونانى) وهو الذى يجعل الكلمتين المذكورتين مختلفتين فى المعنى .

أن يحتمل الكثير من الآلام بسبب صلابته وشدة عناده (١) . ولقد نفى ثلاث مرات ، ولكن الأقدار ابقت على حياته ليشهد انتصار مبدئه . وبرغم وجود معارضين له فى مصر نفسها . وهم اتباع مذهب آريوس والمنشقون من اتباع ميليتيوس (Meletius) [٢] ، إلا انه كان يستطيع ان يطمئن إلى معونة صادقة من جمهور الكنيسة المصرية .

قيام الرهبنة وانبعاث القومية وظهور القبطية :

وفى تلك الآونة طرأ على الموقف عامل جديد ادى إلى حدوث تغيير كبير فى طابع هذه الكنيسة . ونعنى به ظهور الرهبنة التى تعتبر اهم نظام استحدثته مصر فى الديانة المسيحية . والتى يكتنف الغموض نشأتها . ومن الإسراف فى الراى ان نربط هذا النظام بنظام الزهد او التنسك (katochê أو enkatochê) الذى عرف فى عبادة سرابيس ، ومقتضاه أن بعض الناسكين كانوا ينقطعون لخدمة هذا الإله ، فيقيمون داخل معبده

---

(١) لدينا بردية محفوظة بالمتحف البريطانى. (P. Lond. 1914) وهى خطاب ارسله احد المنشقين اتباع ميليتيوس فى الاسكندرية الى زميل من زملائه . ويمدنا هذا الخطاب بصورة واضحة لاعمال اثناسيوس ضد هؤلاء المارقين اذ جاء فيه : « لقد قبض على احد اساقفة مصر السفلى واحتجزه فى سوق اللحوم ، كما سجن اسقفا من نفس الجهة وشماسا فى السجن الرئيسى . وحتى الثامن والعشرين من شهر بشنس(Pachôn) ظل هيرايسكوس ايضا (الذى يحتمل انه اسقف من الاسكندرية نادى به اتباع ميليتيوس بدلا من اثناسيوس) حبيسا فى المعسكر ـ والحمد لله ربنا ان انتهت الالام التى قاساها ـ وكان (اثناسيوس) فى السابع والعشرين قد طرد سبعة اساقفة من البلاد » . كما يصور لنا الخطاب ايضا تردده عندما استدعاه قسطنطين لمجمع صور فى عام ٣٣٥ « ان اثاسيوس لشديد اليأس ، فكثيرا ما استدعوه ، لكنه لم يغادر البلاد حتى الآن ، فقد كان يضع امتعته فى السفينة كما لو كان ينوى الرحيل ، ثم لا يلبث ان يسترد امتعته غير راغب فى ترك البلاد . » انظر :
H. I. Bell, **Jews and Christians in Egypt,** 1924, p. 62.

ويجد القارىء سيرة لاثناسيوس فى :
H. I. Bell, «Athanasius : A Chapter in Church History» in **The Congregational Quarterly,** III, 1925, pp. 158-76.

[٢] هو اسقف مدينة اسيوط . واليه ينسب النزاع الميليتى الذى نشأ حول طريقة معاملة الراغبين فى العودة الى المسيحية بعد ان ارتدوا عنها لاسباب مختلفة فى فترة الاضطهاد الاكبر . وكان ميليتيوس ينادى بالتشدد معهم .

الكبير فى منف أو غيرها (١) . وكان ذلك يحدث بطريقة غامضة ، فلعلهم كانوا يستجيبون لوحى مقدس هبط عليهم فى صورة حلم . ولو أن المصريين — فيما يحتمل — كانوا بطبيعتهم يميلون إلى حياة العزلة والتنسك (٢) ومنذ وقت قريب لفت الدكتور ويلز (C. B. Welles) الأنظار إلى احتمال وجود شبه بين حياة جماعة وثنية ورد ذكرها فى نقش من بانوپوليس Panoplis [إخميم] ، وبين الرهبنة التى عرفتها المسيحية فيما بعد (٣) ، ولا مراء فى أن المسيحية قد داخلها على الدوام لون من الوان الزهد ، وأن الميول الرهبانية قد وضحت فى الكنيسة المصرية منذ فجر تاريخها ؛ ومن الأمور ذات الدلالة أن أول راهب مصرى نسمع عنه — وهو القديس بولس الطيبى — كان أحد أبناء الصعيد . وفى وسعنا أن نلمس بين أسباب حركة الرهبنة ، ظهور لون من التفكير ذى طابع مصرى خاص . لقد كانت منطقة طيبة ، كما أسلفت ، أكبر معقل للقومية المصرية وللعبادات الكهنوتية التى تعبر عن هذه القومية تعبيراً صادقا ؛ وعاش اهل هذه المنطقة — بعيدين عن البحر الذى اصطبغ بالحضارة الهلينية — فى واديهم الضيق تحف بهم الصخور التى دفعت عنهم غائلة

---

(١) انظر مناقشة فيلكن لهذا الموضوع فى : U.P.Z.I., pp. 52-77.
[راجع ص ٨٢ ، حاشية ٢ فيما تقدم] .

(٢) ينبغى أن نلاحظ على أية حال ان هذه العادة قد وجدت فى طقوس عبادة الاله الهلينى سرابيس ، وان اغلب الناسكين (katochoi) الذين نعرفهم كانوا من الاغريق او من المقدونيين . على أنه ينبغى من ناحية اخرى أن نبين ان (anachôrêtês) التى اشتقت منها كلمة (anchorite) تذكرنا بكلمة (anachôrêsis) اى الفرار ، وهو منذ اقدم العصور آخر ما كان يلجأ اليه الفلاحون عندما يجاوز ما يعانونه حد الاحتمال .

(٣) انظر :
Trans. Am. Phil. Ass. LXXVII, 1946, pp. 192-206.
«The Garden of Ptolemagrius in Panopolis»
وقد بين الاستاذ روبرتس C. H. Roberts ان جماعة بانوبوليس ربما كانت متأثرة بمدرسة أبيقور الفلسفية ، دون اى اثر مصرى آخر .
[Cf. also A. Wilhelm, «Die Gedichte des Ptolemagrius aus Panopolis», **Anz. d. Oesterreich. Akad. Wissensch.** (1948), 301-325]
[وعن ارهاصات الرهبنة فى مصر ، راجع :
E. R. Hardy, **Christian Egypt : Church and People** (Oxford, 1952), 35 ff.]

الصحارى المترامية ، فأدى ذلك إلى إحتفاظهم أكثر من غيرهم بالذكريات القديمة والمخاوف الغامضة والخرافات التى اندثرت فى الأقاليم الأخرى .
ويميل البروتستانت المحدثون ، وكذلك الملحدون ، ميلا شديداً إلى اعتبار الرهبنة جبناً وهروباً من مواجهة الحياة ومسئولياتها ، ولعلها كانت لا تعدو أن تكون كذلك فى العصور التالية ، ولعل بولس الطيبى كان كغيره من الذين لجأوا إلى الصحراء فرارا من اضطهاد الأمبراطور ديكيوس (Decius) . لكن يحتمل أن الرهبان المبكرين كانوا يرتاعون لو قيل عنهم إنهم يفرون من الحياة . والواقع انهم كانوا على العكس من ذلك يواجهون عدوهم فى عقر داره ؛ ذلك بأن الصحراء كانت تعتبر من قديم الزمن مأوى الأرواح الشريرة ، ومملكة الاله ست عدو أوزيريس (١) ؛ فإذا ما اتخذ منها أحد الرهبان سكناً ، فقد كان يجازف باقتحام معقل العدو ليحارب كتائب الشيطان غير معتمد إلا على عون الاله . وهناك فى كنف هذه الوحدة الرهيبة حيث تلفح شمس النهار صخور الصحراء بشواظها المحرقة ، وتتراقص فوق الرمال اشعتها التى تخطف الأبصار ، وحيث ترسل نجوم الليل اشعتها الناصعة من قلب السماء الصافية إلى ظلام الصحراء البهيم ، كان الرهبان يصارعون قوى الشر مجتمعة .
ولقد يرى عالم النفس الحديث فى معركتهم هذه صراعاً باطنيا ضد شهوات الجسد ووساوس النفس الأمارة بالسوء . لكنهم والمعجبين بهم كانوا يتمثلون عدوهم واضحاً ملموساً فى شياطين الجحيم . وينبغى ان نذكر أنهم لم يحاولوا مجرد حماية انفسهم فحسب عن طريق عزلة تنطوى على الأنانية والأثرة ، فقد صلوا دون ملل من أجل الآخرين ،وفى وسعنا أن نقول إنهم كانوا جند الفداء المجاهدين فى سبيل الكنيسة ، الذين كانت صلواتهم سلاحاً فعالا فى المعركة المريرة التى خاضتها ضد قوى الشر والظلام .

ولدينا ادلة وفيرة على كثرة التجاء مرضى النفس والبدن إلى هؤلاء الرهبان الزاهدين يلتمسون عندهم البرء والشفاء ؛ من ذلك تلك المجموعة البردية الطريفة المحفوظة فى المتحف البريطانى ، وهى عبارة عن رسائل

---

(١)
L. Keimer, «L'Horreur des Egyptiens pour les démons du désert», in **Bull. de l'Inst. d'Egypte,** XXVI, 1943-4, pp. 135-47.

موجهــة إلى پافنوتيوس (Paphnutius) أحــد رهبــان القرن الرابع يضرع إليه أصحابها على اختلاف طبقاتهم أن يصلى من أجلهم (١) . فقد كتب إليه أمونيوس (Ammonius) قائلا : « إنى لأعلم دائماً أن صلواتك المقدسة هى عاصمى من وسوسة الشيطان ومكر الناس ، فأتوسل إليك أن تذكرنى فى صلواتك الطاهرة لأنك ملاذى بعــد الله (٢) . كما توسلت إليه سيدة تدعى ڤاليريا (Valeria) فكتبت تقول : « إنى أتوسل واضرع إليك أيها الأب الموقر أن تطلب لى (العون ؟) من المسيح لعلى أبرأ من علتى ، ويقينى أن صلواتك فيها شــفائى ، لأن الرؤيا لا تتحقق إلا على أيدى الرهبان والمقربين . فلقد دهمنى مرض عضال فى صــورة ضيق شديد فى التنفس ، وقد كنت دائما ، ولا زلت ، على يقين من شفائى إذا صليت من أجلى » . (٣) ويقول صاحب حاجة آخر يطلب الشفاعة فى مرضه عن طريق الصلاة ما يلى : « الحق إننى أعانى مرضاً شديدا ، ولن يعيننى عليه أخ أو غيره من الناس ، وليس لى سوى الأمل الذى أرتجيه فى وجه سيدنا المسيح عن طريق صلواتك » (٤) وأخيرا نجــد فى رسالة طلبة العبــارة كتبها شخص يدعى أثناسيوس يظــن أنه كبير أســاقفة الاسكندرية ، وإن لم يكن ذلك محتملا ، نجد فيها العبــارات التالية : « إن لصلواتك قيمتهــا الكبيرة نظرا للحب المقــدس الذى تحظى به ، ولسوف يعمنا الرخاء بالقدر الذى تطلبه لنا فى صلواتك الطاهرة » . (٥)

وكانت شجاعة الرهبان وزهدهم فى الحياة سببا فى الإعجاب بهم ، فحذا حذوهم آلاف من الناس ، وأقبل الوافدون من أماكن نائية — من ايطاليا وأسبانيا وبلاد الغــال — يريدون رؤية هؤلاء المجاهــدين لنصرة المسيح والتحدث إليهم . وتكونت حول القديس أنطون (Antonius) — أشهر الرهبان على الإطلاق — جماعة صغيرة من الرهبان . وقبل منتصف القرن الرابع ، وضع باخوم (Pachomius) نظامه الجديد ، فأصبح فى

---

(١) P. Jews (= P. Lond.) 1923-9.

(٢) P. Jews, 1923

(٣) P. Jews, 1926

(٤) P. Jews, 1928

(٥) P. Jews, 1929.

الواقع منشىء الرهبنة الجماعية [١] ، وهى النظام الشائع فى الغـرب ، وإن كان هناك أيضاً عدد كبير من الرهبان المعتزلين . وبرغم ذلك نقيت الرهبنة الانفرادية محتفظة بمكانتها الهامة إلى جانب الرهبنة الجمـاعية فترة طويلة [٢] .

والواقع ان ضروب القسـوة البالغة التى مارسـها كثير من هؤلاء الرهبان مثل القديس سمعان العمودى (Simeon Stylitês) [٣] كانت زعيمة بأن تنتزع الاعجاب حتى من هؤلاء الذين لم يعطفوا على المثل العليا التى كان الرهبان ينشدونها . وحسب المرء ان يلقى نظرة على أقوال الآباء المأثورة (Apophthegmata Patrum) ليلمس عمق البصيرة الروحية العميقة والحكمة الخلقية التى اكتسبها بعضهم . لكن الباحثين فى الطبيعة البشرية قد يرون أن ازدهار حركة الرهبة فى القرن الرابع لم يكن على احسن الفروض خيراً خالصاً : ذلك انها كانت تعنى اعتزال آلاف الناس ميدان الحياة العملية ، وغالباً ما كان هؤلاء ذوى همة عالية وإرادة قوية ، بينما كانت الإمبراطورية تعانى نقصاً خطيراً فى الأيدى العاملة ، كما كانت تعنى أيضاً تحديداً شديداً لميدان النشـاط البشرى وإقفـاراً بالغاً فى الحياة الثقافية . وفى وسـعنا ونحن ندرس تاريخ مصر البيزنطية أن نسـتبين بجلاء هـذا الاطراد فى ضـيق الأفق ، وهـذا الجمود العقلى

---

[١] (Cenobitical monasticism) وتعرف ايضا « بالديرية الجماعية » .

[٢] عن الرهبنة والرهبان والاديرة فى مصر انظر المقالات والكتب التالية ، والمراجع الواردة فيها :

De Lacy O'Leary, «The Coptic Church and Egyptian monasticism», in **Legacy of Egypt** (ed. by S. R. K. Glanville, 1942), 317 ff. ; E. R. Hardy, **Christian Egypt** (1952), 34 ff. ; 69 ff. ; O. F. A. Meinardus, **Monks and Monasteries of the Egyptian Deserts.** Cairo, 1961. Cf. also J. Leroy, **Moines et monastères du Proche-Orient.** Paris, 1958.

[٣] لقب بالعمودى لانه اول رهبان الاعمـدة الذين كانوا يقضون اعواما طويلة من حياتهم فوق أعمدة لا يبرحونها . وقد عاش سمعان طيلة الثلاثين عاما الاخيرة من عمره فوق عمود يرتفع عن الارض عشرين مترا . ولا يزال هذا العمود قائما حتى الآن فى مكان يعرف باسم قلعة سمعان بين انطاكية وحلب فى شمالى سوريا . راجع :

M. Chaine, **La vie et les miracles de Saint Syméon Stylite l'ancien.** Le Caire, 1948.

والفكرى . ونجد حتى فى سيرة اثناسيوس نفسه نذر الخطر الكامن فى اعتماده على عون جماعات من الكهنة المتعصبين ، وهو خطر ازداد وضوحاً فيما بعد : فأمثال هؤلاء الكهنة هم الذين حرضهم البطريرك كيرلس (Cyrillus) على مهاجمة يهود الاسكندرية وطردهم من المدينة ، وهم الذين قتلوا الفيلسوفة الفاضلة هوپاتيا (Hypatia) [١] بعد ذلك بأعوام قليلة (٤١٥ م) ، وهم أيضاً الذين يبرز نشاطهم فى كثير من الأحداث المماثلة التالية .

ولقد وفق كليمينس (Clemens) واوريجينيس (Origenes) [٢] فى المزج بين الفكر الإغريقى والعقيدة المسيحية ، وبرهن الأول على أن المسيحى المخلص لابد أن يقدر الأدب اليونانى تقديراً عظيما . لكن حركة الرهبنة المصرية كانت تناهض ، بصفة عامة ، الحضارة الهلينية وكل ما تتمثل فيه هذه الحضارة . والواقع أن المسيحية (وليس ذلك فى مصر وحدها) قد حررت روح القومية المكبوتة ، وبعثت الحياة فى اللهجات الوطنية . لقد كانت المدينة الحرة المستقلة أكبر مظهر تميزت به الحضارة الهلينية ، وإليها قبل كل شىء يرجع الفضل فيما بلغته هذه الحضارة من ازدهار وقوة ، لكنها فى نفس الوقت كانت اكبر عائق حال دون تغلغل هذه الحضارة فى العالم الشرقى . فحيثما ذهب الإغريق كانوا يعيشون فى مدن أو جاليات مدنية ، تصبح مراكز صغيرة للحضارة الهلينية . غير أن استقرار الإغريق داخل حدود المدينة جعل أثر هذه الحضارة على المحيطين بهم محصوراً فى نطاق ضيق . صحيح أن مصر كادت تخلو من المدن الإغريقية ، لكن معظم الإغريق فيها ــ باستثناء من نزل منهم بالفيوم ــ قد سكنوا عواصم الأقاليم تاركين القرى للمصريين . ونحن إذ ندرس الأوراق البردية التى ترجع إلى العصرين البطلمى والرومانى ، بمختلف الموضوعات التى تتناولها ، نجد ما يحملنا على

---

[١] تلقت علوم الفلسفة والرياضة على يد ابيها ثيون (Theôn)، وراست المدرسة الافلاطونية الحديثة التى اسسها افلوطين (Plotinus) فى الاسكندرية . وقد اتهمت بوجود علاقة مريبة بينها وبين حاكم الاسكندرية ، وبأنها هى التى افسدت صداقة هذا الحاكم بالبطريرك كيرلس ، فهاجمها الكهنة وادخلوها احدى الكنائس حيث مزقوها اربا .

[٢] راجع ص ١٣٥ فى الفصل الثالث ، وانظر ايضا :
J. M. Creed, «The Egyptian Contribution to Christianity», in **Legacy of Egypt** (ed. by Glanville, 1942), pp. 300-316.

الإعتقاد بأن مصر كانت بلداً يتكلم الإغريقية ، فنغفل الثقافة الوطنية التى تكشفها لنا الوثائق الديموطيقية القانونية ، وإيصـالات الضرائب القليلة المحررة بالديموطيقيـة ، او التاشـيرات الديموطيقية على الإيصـالات الإغريقية ، وكذلك بعض شذرات من الأدب الديموطيقى . لكن الحيـاة المصرية الوطنية ظلت قائمة طوال الوقت ، برغم انها كانت مكبوتة لا تلقى من الرعاية إلا قليـلا ، تناصب الحضـارة الهلينية عداء خافياً وتعتز بكبريائهـا القومى . وعنـدما وصلت المسيحية إلى هـذه الطبقة من الوطنيين ، كانت بمثابة أداة تحرير لهم ، وعاونها على القيام بهذا الدور ما طرا من تغيير على الكتابة : فمن المرجح ان الكتابة الديموطيقية الصعبة لم تكن معروفة لغير عدد قليل من الأفراد ، ثم بدأ الناس فى القرن الثالث يستعملون الأبجدية الإغريقية ، بعد إضافة ستة احرف إليها فى كتـابة النصوص المصرية . ومن الجائز جداً ان الأبجدية الإغريقية ، بحروفهـا اللينـة ، قد حلت اول الأمر محـل الديموطيقية التى لا تعرف هـذه الحروف ، فى كتابة النصـوص السحرية التى تسـتلزم صياغتها دقة بالغة [١] . لكن سرعان ما ادرك المسيحيون إمكان الأخذ بهـذا التجديد للكتابة . وقد بدأت ترجمة الأناجيل إلى القبطية اولا على شكل شروح بهذه اللغة على الهوامش بين السطور ، وبعدئذ ترجمت نصوصها كاملة إلى القبطية ، وهو الإسم الذى اطلق على الكتابة الجـديدة التى تعتبر آخر صورة من صور اللغة المصرية [٢] . وقبل نهاية القرن الرابع كان

---

[١] المقصود بالحروف اللينة حروف الحركة (vowels) .وعـدد الحروف المضافة الى الحروف اليونانية فى اللغة القبطية هو سبعة فى بعض اللهجات .

[٢] كان للغة المصرية القـديمة ثلاث صـور او خطوط هى الهيروغليفية والهيراطيقية والديموطيقية ؛ وآخرها جميعا هى القبطية .

وكان دكيوس (Decius) الذى حدث فى ايامه اضطهاد للمسيحيين (حوالى ٢٥٠ م) هو آخر امبراطور رومانى يدون اسمه بالهيروغليفية على المعابد المصرية . ويرجع آخر نقش هيروغليفى معروف الى عام ٣٩٤ م ، وآخر نص ديموطيقى معروف الى عام ٤٥٢ م .

ويمكن ارجاع اللغة القبطية الى تاريخ يتراوح بين ٢٥٠ ، ٣٥٠ م . واهم لهجاتها هى البحيرية ، والصعيدية (من منف الى اسيوط) والاخميمية ، والفيومية . وحروفها هى حروف اللغـة اليونانية مضافة اليها ستة (واحيانا سبعة) حروف اخـرى ماخوذة من الديموطيقية للتعبير عن اصوات خاصة باللغة المصرية ولم توجد فى اللغة اليونانية .

ويبدأ التقويم القبطى بيوم ٢٩ اغسطس عام ٢٨٤ م (فهو ذكرى استشهاد كثير من المسيحيين فى أيام اضطهاد دقلديانوس) . ويلاحظ ان يوم ٢٩ اغسطس يوافق اول شهر تحوت (توت) وهو بداية السنة المصرية القديمة .

الكتاب المقدس كله فى متناول أيدى القراء المصريين ، واصبح عدد الذين يستطيعون قراءة الخط الإغريقى أضخم بكثير من قراء الديموطيقية . فضلا عن ذلك فإن الكتاب الأقباط كانوا يستخدمون من صور اللغة المصرية صورة تعتبر أحدث وأوسع انتشاراً من تلك التى كان يستعملها كتاب الديموطيقية . وظهرت تبعاً لذلك مجموعة وافرة من الأدب القبطى تناولت مواضيع إنجيلية ولاهوتية وشعائرية ، وقلما كانت تتناول الموضوعات غير الدينية . وهكذا وجد المصريون للمرة الأولى منذ القرن الثالث قبل الميلاد ، متنفساً للتعبير عن مشاعرهم . ولقد كان كثير من الرهبان والنساك ينحدرون من أصل مصرى . والواقع ، كما أسلفت ، أن الرهبنة كانت ابتكاراً مصريا إلى حد ما . وكانت نتيجة ذلك أن اكتسبت الكنيسة المصرية طابعا قوميا قويا [١] . ولم يبد المصريون الذين لم تختلط دماؤهم بالدماء الإغريقية مقدرة كافية على التفكير الفلسفى المجرد ، والحق أن المفكرين الدينيين الإغريق هم الذين أضفوا المعانى الصوفية على كثير من الأساطير المصرية ، كأساطير إيزيس وأوزيريس . ولا شك أن الرهبان الذين تبعوا بطارقتهم إلى المجامع الكنسية كانوا لا يفهمون المشاكل اللاهوتية المعروضة على بساط البحث إلا فهماً ضئيلا ، أما الأمر الذى استطاعوا فهمه حقاً فكان معارضة مصر السياسية للحكومة الإمبراطورية ؛ لقد كان طبيعياً اذن أن تعتنق مصر المذهب الكاثوليكى عندما كانت القسطنطينية ــ العاصمة الجديدة ــ تدين بالهرطقة كما حدث على أيام الامبراطور قسطنطيوس الآريوسى ، والعكس بالعكس .

النزاع الكنسى :

وشهد القرن الخامس حدوث النزاع الكنسى الذى قطع الأسباب

---

[١] راجع :
W. L. Westermann, «On the Background of Coptism», in **Coptic Egypt** (The Brooklyn Museum, 1944), 7-20 ; W. H. Worrell, **A Short Account of the Copts.** Ann Arbor, 1945 ; Murad Kamil, **Aspects de l'Egypte Copte.** Berlin, 1965

وانظر أيضا : مراد كامل « حضارة مصر فى العصر القبطى . القاهرة (بدون تاريخ) ؛ « من ديوقلديانوس الى دخول العرب » ، فى موسوعة تاريخ الحضارة المصرية ، المجلد الثانى (ص ١٩٧ وما بعدها) .

بين الكنيسة المصرية والكنيسة الكاثوليكية ، وبدا أن الخلاف يدور حول مسائل تتصل بجوهر العقيدة . والواقع ان الفكر اللاهوتى كان لا يزال منصباً على محاولة توضيح الغموض الذى اكتنف مشكلة « التجسد » . لقد كان المسيح إلها وبشراً فى آن واحد ، فهل هو ذو طبيعيتين ؟ وإذا كان الأمر كذلك ، فما هى حقيقة العلاقة بين هاتين الطبيعتين ؟ وقد أنكر آريوس أن « الابن » و « والأب » من طبيعة واحدة ، وإن لم ينكر الوهية المسيح إنكاراً مطلقا. لقد كان وجه الخطأ عند معارضيه يكمن فى إنكار الطبيعة البشرية أو التهوين من شانها . وبرغم ان مذهب الطبيعة الواحدة ، فى اقصى درجات تطرفه كان لا ينكر وجود طبيعتين قبل إندماجهما فى «التجسد» فقد ذهب إلى وجود طبيعة واحدة فقط بعد حدوثه ، وبناء على ذلك تلاشت الطبيعة البشرية تماما أمام الطبيعة الإلهية ، أى ان هذه الأخيرة لم تتضمن الأولى ، وهكذا انمحت للمرة الثانية تلك الوسيلة التى تصل ما بين الله والناس . ذلك شرح مبسط وإن لم يكن — فيما يبدو — دقيقا . والحق إن موضوع الخلاف كان غامضا جداً وليس من اليسير كشفه . وقد حاول زعماء الكنيسة الكاثوليكية مراراً الوصول إلى حل وسط حتى ضاقت شقة الخلاف جداً آخر الأمر ، ولكن دون جدوى . فقد كان النزاع الدينى يزداد حدة نتيجة للأطماع والأحقاد الشخصية ، والمنافسة الشديدة بين الكنائس الثلاث الكبرى فى روما والقسطنطينية والإسكندرية . وصدق الأستاذ الراحل چان ماسپيرو (Jean Maspero) حيث قال : « لم يكن مذهب الطبيعة الواحدة فى جملته هرطقة دينية ، وإنما كان وسيلة للانشقاق عن الكنيسة .

وتربع على كرسى كنيسة الاسكندرية بين عامى ٤١٢ ، ٤٤٤ القديس كيرلس الذى ظل يزعم تأكيده الوهية المسيح بصفة خاصة ، ملتزما بالمذهب الأورثوذكسى . وبينما كان يفتقر إلى فضائل سلفه العظيم اثناسيوس ، فقد ارتكب نفس اخطائه بصورة افحش : كان رجلا مشاغباً صلفاً متعطشا إلى السلطة لا يبالى بصوت الضمير فى الاساليب التى يتبعها لإدراك غاياته ، فهو الذى حرض الرهبان والسوقة على طرد اليهود من الاسكندرية ، وهو الذى بذل غاية جهده للقضاء على المدرسة الفلسفية فى جامعة الاسكندرية وعلى رجالها الوثنيين . وإذا لم يكن قد أوحى بالاضطرابات التى ادت إلى مقتل هوپاتيا ، فقد ابدى على الأقل موافقته عليها بموقفه السلبى منها . وفى مجمع افسوس (Ephesus)

الذى عقد عام ٤٣١ ، كان المسئول الأول عن إدانة ونفى نسطوريوس (Nestôrius) بطريرك القسطنطينية ، واستطاع بالرشاوى السخية أن يتلافى مسئولية الأخطاء الجسيمة التى شابت تصرفات المجمع . اما خليفته ديوسقورس (Dioscorus) فقد ارتكب نفس الأخطاء ، لكنه كان دون سلفه كياسة ولباقة ، فقيد نفسه بمذهب الطبيعة الواحدة . وقد حالفه النصر فى مجمع أفسوس الذى عقد عام ٤٤٩ (واشتهر باسم مجمع اللصوص) ، غير انه اتبع لكسب هذا النصر وسائل العنف والاستفزاز ، فتألف ضده تحالف قوى . وعندما عقد مجمع خلقيدونية (Chalcedon) فى عام ٤٥١ ، وصدر القرار الشهير الذى جاء فيه أن المسيح « يتفق فى الطبيعة مع ابيه بوصفه إلها ، كما يتفق معنا بوصفه بشراً » و « أننا عرفناه صاحب طبيعتين » ، ادين ديوسقورس وخلع من منصبه ، وخلفه پروتيريوس (Prôterius) . لكن تيموثيوس الملقب آيلورس (Timotheos Ailouros) اى « تيموثيوس القط » ، وهو واحد من خصومه ، اتباع مذهب الطبيعة الواحدة ، أثار عليه جماعة من السوقة مزقته إرباً . ومنذ ذلك الحين ظلت الغالبية العظمى من المسيحيين المصريين فى نزاع طائفى مع الكنيسة الكاثوليكية [١] .

وبرغم ان النزاع الدينى قد يكون ضروريا فى بعض الأحيان ، إلا أنه شر فى كل الأحيان : ذلك لأنه يبرز نقط الخلاف ويؤكدها ، ومن ثم يؤدى إلى ضيق الأفق حتى بين اقطاب النزاع واتباعهم ، وإلى حصر التفكير فى المجال الطائفى وحده . وإلى مثل ذلك أدى النزاع الدينى فى مصر : فالكاثوليك أو الملكانيون (Melkites) [٢] ، كما كانوا يدعون ، كانوا يعتمدون على تأييد الحكومة الامبراطورية ، ولهذا كرهتهم الغالبية العظمى

---

[١] انظر الآن :
Ramsay Mac Mullen, «Nationalism in Roman Egypt», **Aegyptus** 44 (1964), 179-199 (esp. 192 ff.).

وعن موقف الاسكندرية من المجامع الكنسية العامة المسماة « بالمسكونية » (oecumenical) راجع :
Daoud A. Daoud, «Alexandria and the Early Church Councils», **Cahiers d'Alexandrie** (Alex. 1964), 51-65.

[٢] اى ملكيون نسبة الى تبعيتهم للحكومة الامبراطورية واعتمادهم عليها ، وكان يراسهم بطارقة يرسمون فى الخارج ثم يرسلون الى مصر .

من الناس ، فتضاءلت مكانتهم ولم يظفروا بغير قليل من الاتبـاع . أما اليعاقبة (Jacobites) [١] ، أتبـاع مذهب الطبيعة الواحـدة ، فكان يؤيدهم الرهبان الجهلة الذين ناصبوا جميع صـور الحضارة الهلينية عداء شديدا ، ولهذا لم يكن فى وسعهم أن يسهموا بأى نصيب يذكر فى النشاط الفكرى حينئذ . وهكذا غدت مصر ، كولاية فى الإمبراطورية ، أشبه شىء بتيار مضـاد فى مجرى الحركة الثقافية ، بعـد أن كانت عاصمتها الاسكندرية ، خلال القرنين الثانى والثالث ، مركزا لمدرسـة مسيحية ذائعة الصيت [٢] ، وأنجبت فى القرن الرابع شخصية لها مكانتها العظيم فى التاريخ الكنسى ، هى شخصية أثناسيوس .

لقد عجز كيرلس عن القضاء على مدرسة الاسكندرية الفلسفية . وظلت جامعة الاسكندرية حتى النصف الثانى من القرن الخامس تضم طائفة من الفلاسفة الوثنيين [٣] . ولدينا وثيقة بردية (٤) تتضمن شكوى

[١] ينسب هؤلاء الى يعقوب البردعى Jacobus Baradaeus الذى عينه الامبراطور ثيودوسيوس اسقفا لمدينة اديسا (Edessa) وهى « الرها » فى شمال بلاد النهرين عام ٥٤٣ . لكنه لم يزر أسقفيته الا نادرا جدا ، وقصر جهوده على القيـام بزيارات عديدة فى أرجاء العالم المسيحى الشرقى كانت نتيجتها بعث الحيـاة فى نفوس أتباع مذهب الطبيعة الواحدة (المونوفيزيتيين) وتنظيمهم تنظيما قويا . وكانت مصر من بين البلاد التى زارها .

[٢] انظر ص ١٣٤ وما بعدها فيما تقدم .

[٣] انظر :

R. Rémondon, «L'Egypte et la suprême résistance au Christianisme», **BIFAO** 51 (1952), 63-78.

(٤) انظر : P. Cairo Masp. III, 67295
I. 12-16, 18-20

حيث جاء ما ترجمته : « فى وسعى أن أقول ـ اذا لم يكن ثمة خطأ فى أن يمتدح المرء نفسه ـ اننى حظيت خلال فترة طويلة بسمعة طيبة بين سكان مدينة الاسكنـدر العظيمة حيث أشرفت على ادارة احدى مدارس جامعتها . وكنت أعيش دائما عيشة فاضلة ، وقد كرست مواهبى الفطرية للنشاط الثقافى ، وعلمت الفلسفة للراغبين فيها . والواقع اننى ورثت اهتمـامى بالفلسـفة عن آبائى وأجـدادى ، فقـد علمنيها أبى مثلث الرحمـات اسكليبياديس الذى قضى حياته كلهـا فى الجامعة (Mouseia) يدرس للشبان وفقا للمنهج القـديم .. ولقد جهـدت فى أن أجعل حياتى فى نفس المدينـة صورة من حياة أبى ... وكنت وزوجتى ، وهى ابنة عمى ، أبناء لشقيقين ، وعشت واياها سويا مع أبوينا
=

تمدنا بطرف شائق عن حياة هؤلاء الفلاسفة الذين تأصلت الروح القومية فى نفوسهم برغم أن ثقافتهم كانت بلا ريب مصطبغة بالحضارة الهلينية ، وقد كان أحدهم هو المؤلف الشهير لبحث لا يزال موجوداً عن الكتابة الهيروغليفية . والواقع أن الحضارة الهلينية كانت تتهددها الأخطار حتى فى الاسكندرية نفسها ، أما فى باقى أنحاء مصر ، فإن التيارات المضادة لهذه الحضارة ، وهى التيارات التى أحدثتها حركة الرهبنة وحركات المقاومة الوطنية ، قد ازدادت حدة نتيجة للتدهور الاقتصادى الذى عجزت إصلاحات دقلديانوس عن وقفه .

نظام الضرائب ونظام الحماية :

وكان تبسيط النظام الضريبى من أبرز مظاهر تلك الاصلاحات ، غير أن المزايا التى انطوى عليها كانت وهمية . صحيح أن الاصلاح قد راعى عند تحديده وحدات الانتاج ، اختلاف نوع الأراضى ، ولم يغفل الجزئيات (أى ما يزيد عن « اليوجوم » (iugum) [1] ، غير أن طريقة تقدير الضريبة لم تكن مع هذا محكمة بحيث يمكن الإطمئنان عند حدوث ضائقة إقتصادية . ولنضرب لذلك مثلا من سوريا ، (فليس لدينا أى أرقام عن مصر) ، حيث كان الـ«iugum» يعادل ٢٢٥ شجرة من الزيتون . فلو فرضنا أن شخصاً ما كان يمتلك ٢٤٠ شجرة ، فقد كان عليه أن يدفع الضريبة عن «iugum» واحد وجزء منه ، فإذا وجد أن بعض أشجاره قد أصبحت مجهدة غير مثمرة ، فقد كان من الأفيد له أن يجتث خمس عشرة منها كى يخفف عبء الضريبة عن كاهلة فلا يدفعها إلا عن «iugum» واحد . وبالمثل ، فقد يجد مالك الأرض الصالحة للزراعة أن من الأنفع له الا يزرع الأجزاء قليلة الخصوبة . ونحن نعلم أن

=

متفقين فى الشرب والمسكن وتقوى الالهة ، وفى شغفنا جميعا بالفلسفة ، حتى لقد شك الكثيرون فيمن يكون والدينا : فهل كنت انا ابنا لوالدها أم كانت هى ابنة والدى »

وكاتب هذه العبارات هو هورابولون (Hôrapollôn) الذى الف كتابا عن آثار مدينة الاسكندرية ، ولعله أيضا صاحب البحث الموجود بين ايدينا عن اللغة الهيروغليفية ، وهو البحث الذى أشرت اليه فى المتن .

[1] عن الـ iugum ، راجع ما تقدم فى ص ١٥٢ — ١٥٣ .

ذلك حدث بالفعل ، وترتب عليه ان الأراضى بدات تجدب فى انحاء كثيرة من إفريقية وسوريا وكذلك مصر . وفى وسعنا ان نتبين اثر ذلك التطور بوضوح وخاصة فى الفيوم ، حيث اقفرت قرى فى أوائل القرن الرابع من معظم سكانها ، بعد ان كانت مزدهرة وآهلة بالسكان فى القرن الثانى ، وكانت لا تزال حتى القرن الثالث مراكز عمرانية هامة ، ولم ينته القرن الرابع حتى كانت هذه القرى قد اضمحلت وتحولت ، كما تبدو اليوم ، إلى تلال رملية كبيرة تغطى اطلال المساكن المهجورة . وقد اخذ دخل الولايات التى اجدبت اراضيها فى الانكماش بينما لم تقل نفقات الحكومة ، إذ اقتضت الحالة على الحدود الشمالية مرابطة قوات عسكرية ضخمة لتعرضها باستمرار لغزو البرابرة التيوتون ، كما ان الفرس لم ينقطعوا عن تهديد الحدود الشرقية للامبراطورية . وفضلا عن ذلك فقد استلزمت إصلاحات دقلديانوس إنشاء جهاز بيروقراطى محكم ، وابتكرت الحكومة منعاً للاختلاس والابتزاز نظاماً دقيقاً حافلا بالمراقبات والمراجعات ، يراقب فيه الموظفون بعضهم بعضا . وكان على الحكومة ان تدفع مرتبات هؤلاء الموظفين جميعاً والمكافآت الإضافية (sportula) التى كان جميعهم يطالبون بها . وقد اصبحت هذه المكافآت حقاً مسلماً به حتى صارت تجبى آخر الأمر مع الضرائب ، مثلما تفعل الآن كثيرا من الفنادق والمطاعم فتستبدل « بالبقشيش » إضافة ١٠٪ « خدمة » إلى الحساب . ولم يعد فى وسع الحكومة ، حتى إذا شاءت ، ان تحد من نفقاتها ، واضطرت مجالس [الشورى] البلدية ولجانها التنفيذية ، وهى المسئولة عن تحصيل ضرائب المناطق التابعة لها كاملة ، إلى اغتصاب اموال الفلاحين فاذا عجزت عن تحصيل المقدار المطلوب اخذ من ثروة اعضائها الخاصة ما يغطى العجز . وهكذا لم يقع العبء الاقتصادى على فريق دون الآخر ، بل وجدت كل من طبقة الفلاحين وطبقة اعضاء المجالس البلدية نفسها مهددة بالخراب الشامل . ولعل الحكومة إزاء رغبتها الصادقة فى وقف هذا الخطر ، كانت تصدر الأوامر والنداءات لحظر استغلال السلطة ، غير ان تخفيض حصة الضريبة كان هو السبيل الوحيد لعلاج هذه الحالة . ولما كانت الحكومة لا تفكر فى اتخاذ مثل هذه الخطوة ، فقد التجأت كعادتها إلى وسائل الأرغام . وقد رات السلطات ، إزاء إرتباط الدخل بإنتاج الأرض إرتباطاً شديداً ، انه لابد من ان تمنع المزارعين من مبارحتها ، سواء كان هؤلاء ملاكا ام مستاجرين ، وان تربطهم إليها ، ولابد من ان تبقى الطبقة التى يختار منها اعضاء مجالس الشورى ، قوية حافظة

لكيانها (١)، ، فهى المسئولة آخر الأمر عن نصاب الضريبة ، وأن يخلفه الابن اباه فى عضوية المجلس ليحمل أعباءه ، وبالمثل يتحتم على ابن الملاح ، المنوط بنقل القمح والضرائب النقدية إلى القسطنطينية ، ان يخلف أباه فى حرفته ، وأن يرث ابن الكارى مهنة أبيه . وهكذا افضى ذلك الجمود فى التفكير إلى قيام دولة الأذلاء البيزنطية ، حيث كان المجتمع يتألف من طوائف إحداها فوق الأخرى ، ولكل منها مهنتها الوراثية التى لا سبيل إلى التملص منها (٢) .وقد يقال إن ذلك الجمود لم يكن مطلقاً ، لأننـا نسمع عن اشخاص من أصل وضيع يبلغون أرفع المناصب ، وخاصـة

---

(١) عن الاوضاع فى القرن الثالث ، انظر :
E. P. Wegener, **Symbolae van Oven**, p. 173.
حيث تقول « وقد نستخلص من ذلك ان عضوية مجلس الشورى فى مصر كانت على ما يرجح قد اصبحت وراثية فى القرن الثالث على الاقل بالنسبة لمن كانوا ينتمون إلى طبقة أصحاب المناصب » .

(٢) انظر :
A. E. R. Boak, «An Egyptian Farmer of the Age of Diocletian and Constantine», **Byzantina Metabyzantina** I, 1946, pp. 39-53.
حيث يقول ملخصا دراسته لبعض برديات من ثيادلفيا [هريت] بالفيوم : « ويمكننا ان نستخلص من دراستنا السالفة لحياة اسيدوروس(Isidorus)ومقارنتها بحياة سكاوون (Sakaôn) ، نتيجتين هامتين ، الاولى أن الزراعة فى الفيوم ، كما سبق أن المعنا ، كانت لا تزال فى أوائل القرن الرابع مهنة رابحـة ، طالما كانت اعمال الرى منتظمة . ولما كان الرى قد اهمل فى ثيادلفيا ، فقد اجدبت الارض واقفر المكان من سكانه . وأما فى كرانس [كوم اوشيم حاليا] حيث لم تنقطع العناية بالقنوات ، فقد ظلت القرية عامرة بالسكان مدة قرن آخر . والنتيجة الثانية هى أن ملاك الاراضى فى القـرية كان عليهم وهم فى سن متقدمة ان يوطنـوا انفسهم على تولى ست وظائف الزامية مختلفة او أزيد ، وبعضها لاكثر من فترة واحدة . ولا شك فى أن ذلك كان عبئا ثقيلا فى زمن الرخاء ، فاذا ما اضفنا الى ذلك عبء الضرائب فى وقت استنزفت خلاله نفقات الحكومة موارد البـلاد الاخـرى حتى آخر قطـرة ، فلا عجب ان جاوز العبء بمرور الزمن حـد الاحتمال . وتنهض سـيرة اسيدوروس دليلا جديدا على صحة الراى السائد بان نظام الالزام كان هو المسئول الى حد كبير عن القضـاء على طبقة المـلاك فى عواصم الاقاليم والقرى المصرية فى فجـر العصر البيزنطى » . لا ريب أن العبء المـالى وما ترتب عليه من فرار الذين ناء كاهلهـم به ، وتناقص الأيدى العـاملة تبعا لذلك ، زاد مشكلة العناية بالرى تعقيدا ، كما ادى اهمـال الرى بدوره الى اشتداد الضائقة المالية .
[انظر ايضا :
A. E. R. Boak, «A Fourth Century Petition for Relief from

عن طريق الانخراط فى سلك الجنـدية ، أو الالتحـاق بسلك الوظائف المدنية ، أو الكنسية . غير ان هؤلاء الأشخاص كانوا ذوى مواهب نادرة لا تعوزهم ملكة الابتكار . واما عامة الناس فكانوا مقيدين طيلة حياتهم برباط المهن التى فرضت عليهم منذ نشأتهم [١] .

وكان فى استطاعة الفلاح على عهد البطالمة ، إذا ضاق ذرعاً بحالته ، ان يلوذ بحمى مذبح الملك أو ساحته [bômos-temenos = skepê] أو بأحد المعابد العديدة (hieron) التى كانت تتمتع بحق حماية المستجيرين ، ولا يبرح مكانه إلا بعـد أن تزول أسـباب شـكايته [٢] . فلما جاء الرومان حصروا هذا الحق فى اضيق نطاق ، فلم يعد أمام الفلاح إلا الفرار إلى الأدغال أو الصحراء أو الانضمام إلى احدى عصـابات اللصـوص . على انه كان هناك مخرج آخر ؛ فقد ظهر حتى فى القرن الثـالث ، كما ذكرت فى الفصل السـابق ، رجال استغلوا حالة التـدهور لصالحهم ، واستطاعوا بفضل إقدامهم ونشاطهم وما لديهم من رؤوس اموال ، أن يجعلوا من مصائب غيرهم فوائد لهم . وقد اخذت الضياع الكبيرة تتكون فى ذلك الوقت . وكان فى مقدور أصحاب هذه الضياع ، بموازنة خسـائر بعض ضـياعهم بأرباح الأخرى ، أن يستجيبوا دون تعريض انفسـهم

=

Extortion», **JJP** I (1946), 7-12 ; **Idem,** «Village Liturgies in Fourth Century Karanis», **Akten d. VIII Kongr. Pap. Wien** (1956), 37-40 ; A. E. R. Boak and H. C. Youtie, «Agreements concerning Liturgies», **JJP** IX/X (1955/56), 145-157.

وقد نشر الاستاذان بواك ويوتى ارشيف اسيدوروس عام ١٩٦٠ :
P. Cair. Isidor. = The Archive of Aurelius Isidorus in the Egyptian Museum and in the University of Michigan, ed. A. E. R. Boak and H. C. Youtie (Ann Arbor, 1960).

[١] راجع :
H. I. Bell, «The Byzantine Servile State in Egypt», **JEA** 4 (1917), 86-106.

[٢] انظر :
Fr. von Woess, **Das Asylwesen in der Ptolemäerzeit** (Münch. Beitr. zur Papyrusforsch. 5. Heft). München, 1923 (esp. ch. 1-2).

ويعالج المؤلف مشكلة الـ katochoi فى الفصـل ٣ (راجع ما تقدم فى ص ٨٢ حاشية ١) .

لارتباكات مالية خطيرة ، إلى مطالب جباة الضرائب ، وليس ثمة شك فى أن الأثرياء كانوا لا يعدمون وسيلة فى عصر فسدت فيه الذمم لحمل السلطات على معاملتهم معاملة خاصة . فقبل نهاية القرن الرابع حصل اثرياء الملاك (potentiores) من الحكومة على حق عرف باسم « أوتوپراجيا » (autopragia) ، الذى يخول لهم جباية الضرائب المستحقة على ضياعهم الخاصة ، ودفعها لخزانة الولاية مباشرة ، دون وساطة الجباة المحليين ؛ ومن المحتمل أن ذلك يرجع إلى أن الحكومة قد تعذر عليها تحصيل النصاب المطلوب بغير هذا السبيل . ولذلك كان المالك الصغير عندما يتهدده الخراب يلتجىء إلى أحد جيرانه الأقوياء لحمايته . على أن يتنازل له عن أرضه ، ويزرعها له كمستأجر ، ويقوم بخدمة سيده وحاميه [patronus] ، الذى يأخذ على عاتقه فى مقابل ذلك مسئولية دفع كافة الضرائب . وهكذا تحول المالك الصغير إلى مستأجر مربوط إلى الأرض ، التى آلت حينئذ إلى غيره ، أى أصبح «colonus adscripticius» لا يختلف وضعه فى الواقع عن اقنان الأرض [١] .

ولم تكن الحكومة راضية عن انتشار نظام الحماية (patrocinium) فأصدرت المرسوم تلو المرسوم لحظره ، ولكن من غير طائل . فقد كانت النواهى غير مجدية إزاء حالة الضيق الاقتصادى التى لم يكن هناك سبيل إلى علاجها . وأخيراً سلمت الحكومة فى عام ٤١٥ م . بالأمر الواقع ، فأصدرت مرسوما فى نفس العام ينص على أن يبقى جميع من اقتنوا اراضى قبل سنة ٣٩٧ بمقتضى نظام الحماية ، محتفظين بها ، على ان يتعهدوا بأداء كافة الالتزامات المفروضة على مؤاجريهم (coloni) وأن يلغى لقب « حامى » (patronus) . وقد اكسب هذا المرسوم

---

[١] ويسمى فى اليونانية enapographos geôrgos ، راجع :
U. Wilcken, **Grundzüge** (I. Bd. Hist. Teil) [1912], p. 322 f.
A. C. Johnson and L. C. West, **Byzantine Egypt** (1949), p. 29 f. ;
A. C. Johnson, **Egypt and the Roman Empire** (1951), 99-103 ;
A. H. M. Jones, **The Later Roman Empire** II (1964), 776-780 ; 800-803.

راجع أيضا : السيد الباز العرينى « مصر البيزنطية » (القاهرة ١٩٦١) ص ١٠٨ وما بعدها .

المؤاجرين المربوطين إلى الأرض (coloni adscripticii) صفة قانونية ، ولكنه لم يحل ، كما قصـد منه ، دون تفشى نظام الحمـاية ، وإن كنا لا نستطيع ان نتتبع تطـوره بالتفصـيل نظرا لقـلة برديات القـرن الخامس بدرجة تبعث على الدهشة .

النظام الادارى الجديد :

فإذا ما بلغنا القـرن السادس الحافل بالوثائق ، يسترعى انتباهنا التغيير الإدارى الجديد ، واول ما نلحظـه هو اختفاء المراكز (pagi) التى كانت تنقسـم إليها المنطقـة الريفيـة (territorium) أو الاقليم (nomos) ، والتى كان على رأس كل منها مدير يسـمى (praepositus) واصبحت المنطقة الريفية كلها تؤلف وتتئذ مقاطعة واحدة (pagarchia) يدير شئونها المالية موظف يسمى پاجارك (pagarchês) [١] ، ومن المقطوع به ان هذا التغيير حـدث فى القـرن الخامس ؛ وفيما يرجح على عهـد الإمبراطـور ليو الأول Leo I (٤٥٧ ــ ٤٧٤) (٢) . ولم يكن إشراف الپاجارك يشمل ، فى الأحوال العادية ، كافة انحاء المقاطعة ، لأن ضياع كبار الملاك المتمتعة بحق جباية ضرائبها لم تكن تدفعها عن طريقه ، وإنما لأمين خـزانة الولاية [chrysônês] مباشرة . وقـد منح نفس الحق لأديرة وكنائس عديدة ، وكذلك لبعض القرى الكبيرة (وذلك دون شك لإيجاد نوع من التوازن بينهما وبين النبـلاء الأقوياء . وكان الپاجارك موظفاً تابعاً للامبراطور ، معينا من قبله ، ومسئولا أمامه . ولم تكن له سلطة على المدينة أو البلدية (civitas) التى لم تعد منذ انشاء منصبه مسئولة عن الشئون المالية للمنطقة الريفية .

وقد حدث تغيير آخر فى الإدارة على جانب كبير من الأهمية فى عام

---

[١] وترد الكلمة ايضا فى صورة pagarchos .

(٢) هذا استنتاج محتمل مما نعرفه عن قرية افروديتى Aphroditê (كوم شقاو) التى منحها الامبراطور ليو الاول حق جباية ضرائبها autopragia (انظر : (P. Cairo Masp. I, 67019, 5 f.

ومما يقـوله القرويون فى شـكوى بتاريخ ٥٦٧ م ان مقاطعـة انتايوبوليس Antaeopolis [قاو الكبير] ، تولى عليها ذلك الوقت ثمانية مدبرين (انظر : P. Cairo Masp. I, 67002, ii, 18 f.

٥٥٤(١) ، عندما اصدر چستنيان (Iustinianus) [٢] مرسومه الثالث عشر ، الذى وصلنا فى صورة مبتورة ، وإن كان من الميسور استكمال مواده الرئيسية فى ضوء الجزء المتبقى . وكانت ولايات مصر ، حسب تقسيم دقلديانوس ، قد أدخلت عليها تعديلات كثيرة ، وانفصلت فى عام ٣٨٢ عن الإدارة الشرقية (dioecêsis Orientis) ، واصبحت إدارة مستقلة بذاتها ، وصار لوالى مصر ، الذى منح لقب الأغسطى «Augustalis» السيطرة التامة على جميع البلاد [٣] . وقد ظلت نظرية دقلديانوس الخاصة بفصل السلطة العسكرية عن السلطة المدنية مرعية حتى ذلك الوقت ، ولكن حكومة چستنيان تخلت عن هذه النظرية عندئذ ، فتمزقت بمقتضى التنظيم الجديد وحدة مصر لأول مرة : فلم يعد لوالى مصر الأغسطى «Augustalis» ، اى سيطرة على الولايات الأخرى التى وضعت كلها تحت الاشراف المباشر لحاكم عام الشرق (praefectus praetorio per Orientem) [٤] وزود كل حاكم فى ولايته بسلطات عسكرية ومدنية : فقد انقسمت مصر (فيما عدا ليبيا) منذ ذلك الحين إلى اربع ولايات ، متساوية فى المركز ، وهى آيجوپتوس «Aegyptus» اى مصر [غربى الدلتا بما فى ذلك الاسكندرية] وعلى راسها دوق (Dux) يحمل لقب الأغسطى (Augustalis) [٥] ؛ واغسطامنيكا «Augustamnica» [شرقى الدلتا حتى الفرما والعريش] وعلى راسها دوق ؛ واركاديا «Arcadia» [مصر الوسطى حتى البهنسا] ويراسها كونت (Comes)

---

(١) عن هذا التاريخ ، وهو اقرب الى الصواب من عام ٥٣٨ م . الذى كان مسلما به حتى الآن ، انظر :

Gertrude Malz, «The Date of Justinian's Edict XIII», **Byzantion** XVI (1942-3), pp. 135-141.

[عن هذه المشكلة وغيرها ، انظر الكتاب التالى الذى يتضمن قائمة (مع شروح موجزة) للبرديات الخاصة بالعصر البيزنطى ، والدراسات المتصلة به (حتى عام ١٩٥٥) :

André Bataille, **Les Papyrus** (= Traité d'Etudes Byzantines II. éd. par P. Lemerle. Paris, 1955], 44 ff. (esp. pp. 46, 48n.)

[٢] ويرسم اسمه احيانا فى اللغة العربية « يوستنيانوس » ، وهى صورة اقرب الى الاصل اللاتينى .

[٣] انظر ص ١٥٠ — ١٥١ والحواشى فى الفصل الثالث .

(٤) قارن ص ١٥٠ حاشية ٢ فى الفصل الثالث .

[٥] ويعرف فى العربية « بالجسطال » .

ثم منطقة طيبة «Thebais»[من الأشمونين حتى أقصى الجنوب] ويديرها دوق يحمل هو الآخر لقب الأغسطى (Augustalis) . وقسمت كل ولاية من الولايات المذكورة ، فيما عدا اركاديا «Arcadia» إلى ولايتين فرعيتين على راس كل منهما مدير ذو سلطات مدنيـــة بحتة يسمى برايسيس (praeses) ، بمعنى رئيس أو حاكم [١] .

ظهور الضياع الكبيرة :

واول ما يسترعى انتباهنا من الناحية الاقتصادية فى القرن السادس هو ظهور تلك الضياع الكبيرة التى تملكها الأسر النبيلة ولدينا وفرة من المعـــلومات عن إحـــدى هـــذه الأسر ، نظراً إلى أن كثيراً من الأوراق الخاصـــة بها لا تزال موجـــودة بين البرديات التى عثرنا عليهـــا فى اكسورونخوس [البهنسا] [٢] . وكان اول فرد من هذه الأسرة استطعنا أن نتعرف على شخصيته على وجه التحقيق هو فلاڤيوس ابيون (Flavius Apiôn) الذى كان من ذوى المرتبة القنصلية (consularis) ، إذ كان من المالوف وقتئذ أن يخلع هذا اللقب الشرفى على الأشخاص البارزين وإن لم يشغلوا فعلا منصب القنصلية . ويبدو أن ابيون كان على قيد الحياة فى ٤٩٧ عندما منح ابنه فلاڤيوس استراتيجيوس (Flavius Stratêgius) لقب « قائد حرس القصر » (comes domesticorum) (٣) . وقد أحرز استراتيجيوس هو الآخر فيما بعد لقب « قنصل » و (consul) لقب «شريف» (patricius)، وولاه الإمبراطور منصب «دوق الهبات المقدسة» (comes sacrarum largitionum) وهـــو منصب سام [يقابل وزير المالية] (٤) . وتقلد ابنه ، فلاڤيوس ابيون الثانى ، بالفعل منصب القنصلية

---

[١] راجع :
A. Bataille, **Les Papyrus** (Traité d'Etudes Byzantines II), p. 48, n. 2.

(٢) قام بعض الباحثين بمحاولة لتقصى شجرة نسب هذه الاسرة ، انظر :
P. Oxy. XVI, 1829, 24 note (p. 6) ; E. R. Hardy, **Large Estates**, p. 38.

(٣) P. Oxy. XVI, 1982

(٤) P. Oxy. XVI, 1928 (introd.);
[قارن ايضا ص ٨ حاشية ١ من الفصل الاول] .

بالطريقة المعتادة [consul ordinarius] فى ٥٣٩ [١] . كما حصل أيضا على لقب « شريف » . وكان دوقا على ولاية طيبة من ٥٤٨ حتى ٥٥٠ . وقد أنجب ابنا اسماه باسم جده فلافيوس استراتيجيوس « الثانى » ، وانجب الابن بدوره قبل عام ٥٩٠ ولدا أطلق عليه اسم عميد الأسرة أپيون. وكان آخر من وصلتنا أخباره من أفراد الأسرة هو استراتيجيوس ، ثالث من حمل هذا الاسم ، ولعله كان ابن أپيون الأخير . وتنقطع أخبار هذه الأسرة بعد عام ٦٢٥ ، ولعل التفسير الوحيد لذلك هو اندثار أوراقها التى كتبت بعد ذلك التاريخ .

هذه الأسرة التى نشأت فى مصر الوسطى وتوارث أبناؤها جيلا عن جيل شرف القنصلية والانتماء إلى « الأشراف » ، ولم يشغلوا فى مصر نفسها أرقى المناصب الإدارية فحسب ، بل تولى أحدهم بالفعل منصب القنصلية فى الإمبراطورية ، كانت إذن أسرة عظيمة الشأن . والواقع أنها تمتعت ــ كما يتبين من أوراق البردى ــ بنفوذ واسع وثروة طائلة ، إذكانت تملك ضياعاً لافى إقليم اكسورونخوس Oxyrhynchitês [البهنسا] بل فى اقليمين آخرين على الأقل ، وهما كينوبوليتيس Cynopolitês [القيس] [٢] ، وارسينويتيس Arsinoitês [الفيوم] . ففى الاقليم الأول كانت فى حوزتها قرى كثيرة برمتها ، وكغيرها من الأسر الكبيرة التى وصلتنا أنباؤها ، كان لها جيش خاص مؤلف من الجنود المأجورين ، المعروفين باسم «buccellarii» ، والذين كان يوجد بين صفوفهم ، كما يتبين من حسابات الضيعة ، رجال من أصل جرمانى . كما أنشأت ، كغيرها من الأسر ، سجوناً خاصة (وهو أمر حاول الأباطرة حظره بالمراسيم دون جدوى) ، ونظاماً للبريد ، ومحطات للخيل اللازمة له ، واصطبلات لجياد السباق ، وحمامات شعبية ، ومستشفيات ، ومصارف ، ومكاتب لمراجعة الحسابات ، وكان لديها رهط كبير من الموظفين والكتبة والمحاسبين ومحصلى الضرائب ، ومن إليهم ، وأسطول من المراكب النيلية . وكانت لا تدفع ضرائبها لخزانة الولاية بل للاسكندرية مباشرة.

---

[١] ordinarius معناها أنه شغل القنصلية بالطريقة المعتادة اى عن طريق الانتخاب ، وتولى منصبه منذ بداية السنة الرسمية ، ولم يكن قنصلا مكملا (suffectus) وهو من يتولى المنصب خلال السنة بدلا من آخر مات فجاة .

[٢] تقع القيس جنوب البهنسا على الضفة الغربية فى مواجهة بلدة الشيخ فضل [محافظة المنيا] .

وقد شيدت الأسرة كنائس واديرة واوقفت الأموال عليها ، وكانت بلا ريب تشرف على هذه المنشآت .

إن دراسة هذه الأسرة الكبيرة توحى بداهة بالمقارنة بينها وبين أمراء الاقطاع فى اوروبا الغربية ، وإن لم يكن وجه الشبه بينهما تاماً . فقد كان نظام الإقطاع فى الغرب عسكرياً فى جوهره ، يحتفظ فيه المزارع الحر بأرضه طالما كان يؤدى الخدمات لسيده فى وقت الحرب سواء للملك مباشرة كما كان يفعل كبار المزارعين ، ام لأمير من الأمراء التابعين للملك. ولكن ملكية الأرض فى مصر لم تكن مشروطة بالخدمة العسكرية ، وكانت الضياع مؤلفة لا من اراض متجاورة ، كما كان الحال فى فرنسا ، والى حد ما فى انجلترا وويلز ، بل من اراض متناثرة فى شتى انحاء البلاد ، فأحيانا نجد جزءاً من اراضى إحدى القرى تابعاً لضيعة من هذه الضياع ، بينما نجد الجزء الآخر فى يد ملاك صغار غير ملزمين بتقديم خدمات لها (١) ، وبينما كان الأمير الإقطاعى فى الغرب يعيش وسط مزارعيه ؛ كان المالك الكبير فى مصر يقيم فى منزله — او فى قصره كما كان الحال فى اسرة ابيون — الكائن بعاصمة الإقليم : اكسورونخوس [البهنسا] أو هوموبوليس [الأشمونين] او الاسكندرية نفسها . على ان التشابه فى الوضع بين هؤلاء الملاك وبين أمراء الاقطاع فى الغرب يبرر ان نطلق عليهم اسم الملاك شبه الإقطاعيين ، ومن الطريف ان نضاهى بين النظامين لنبين اوجه الشبه والخلاف بينهما : كانت إمارة الاقطاع فى الغرب صورة مصغرة من المملكة التى تنتمى إليها ، وكما كان لدى الملك مزارعون من الأمراء يدينون له بالطاعة والولاء ، كذلك كان لدى الأمير الإقطاعى تابعون ملزمون بخدمته . وأما فى مصر فقد كانت الضيعة صورة مصغرة من الإمبراطورية البيروقراطية التى هى جزء منها ، وكانت نظمها وإدارتها على غرار نظم وإدارة الحكومة المركزية للامبراطورية . والواقع أنه يستحيل علينا أحياناً ، عندما نبحث بردية من برديات تلك الفترة ، ان نعرف على وجه التحقيق إن كان الأشخاص المذكورة اسماؤهم فيها مقرونة بالقاب الشرف ، هم موظفين تابعين للامبراطور ، أم تابعين لإحدى الأسر الكبيرة .

---

(١) كما كان الحال مثلا فى افروديتى [كوم شقاو] ، وهى قرية — برغم تمتعها بحق جباية ضرائها — كانت بها ايضا ضيعة لنبيل يدعى امونيوس (Ammônius)
انظر : J.H.S. LXIV, p. 24.

والى جانب هؤلاء النبلاء الأقوياء اصحاب القصور العامرة بالخدم والحشم والزاخرة بالوان البذخ والترف ، كانت تعيش جمهرة سكان الريف الذين كانوا ينقسمون الى طبقتين كبيرتين ،فى الأولى طبقة اجراء الضياع الكبيرة (coloni) ، وهم اقنان الأرض الملزمون بخدمة اصحاب هذه الضياع ، والثانية طبقة المزارعين الأحرار ، وهم إما ملاك أو مستأجرون لدى ملاك متوسطى الحال ، وكان هؤلاء أيضاً ، برغم تمتعهم نظرياً بالحرية ، مربوطين الى الأرض ، محظوراً عليهم مبارحتها حرصاً على مصلحة الدولة . وكان وضعهم لا يختلف كثيراً عن وضع أقنان الضياع الكبيرة لأنهم كانوا يدفعون ضرائبهم (فى غير القرى المتمتعة بحق جباية ضرائبها) لمديرى المقاطعات (pagarchoi) الذين كانوا يختارون من بين الأسرة النبيلة (كما كان الحال مثلا فى أسرة أپيون ألتى تولت هذا المنصب فترات طويلة) ؛ بل لعلهم كانوا فى حقيقة الأمر اسوأ حالا ، لأن المالك الكبير كانت مصلحته تقتضى ان يحرص على رفاهية فلاحيه ، بينما لم يلق المزارعون الأحرار من احد مثل هذه الرعاية . هذا فضلا عن أن اصحاب الضياع كانوا أثرياء بل ويبدو انهم كانوا فى بعض الأحيان قدوة طيبة فى حسن المعاملة ، وتؤيد الأدلة المستمدة من أوراق البردى هذا الاعتقاد . ومن الجائز ان القرى المتمتعة بحق جباية ضرائبها كانت أحسن حالا من سواها غير أنها كانت فى مركز لا تحسد عليه ؛ فقد كان مديرو المقاطعات كملاك متمتعين بحق جباية الضرائب على ضياعهم وكموظفين رسميين ، يقاومون منح هذا الحق للقرى . وكانت القرى تفقد هذا الحق إذا عجزت عن تحصيل ضرائبها كاملة . وعلى اى حال فإنها لم تكن فيما يبدو ، تزاول هذا الحق فى حالة ضرائب محلية معينة . فلو حدث إذن ان وجد « الپاجارك » فرصة للتدخل فى شئون قرية من هذه القرى ، فإنه كان ينزل بها كل صنوف العنت والإرهاق . وقد عرفنا ذلك من البرديات التى اكتشفناها بين اطلال قرية أفروديتى (Aphroditê) [كوم شقاو] فى ولاية طيبة[١] . فقد تعرضت القرية بسبب تشاحنها مع « الپاجارك » لإغارات الجنود المستهترين ونهبت ديارها واضرمت فيها النيران ، ومنعت عنها المياه ، وخربت حقولها ، واغتصبت راهباتها ؛ بل وزج بكبار ملاكها فى السجن ، حيث نكل بهم . حدث كل ذلك فى أفروديتى ، وهى قرية كانت قد وضعت نفسها تحت حماية الامبراطور

[١] وتعرف ايضا باسم افروديتو (Aphroditô) وتقع قرب طما بمحافظة سوهاج .

اتقاء لعبث السلطات وتدعيما لحقها فى جباية ضرائبها (١) . لكن هـذا أيضاً لم يجد فتيلا . وليس أدل على ذلك من قول جستنيان فى قرار أصدره بشأن قضية اتهم فيها « باجارك » بالتعسف مع الأهالى « لقد تبين لنـا ان حيل ثيودوسيوس أقـوى من أوامرنا (٢) » . كان كابوس النبلاء شبه الاقطاعيين وجنودهم المأجوريين (buccellarii) ، جاثماً على صدر القرى ، بينما كان الامبراطور ، برغم حسن طويته ونبل مقصده ، عاجزاً عن إغاثتها لإقامته بعيداً عنها ، فى القسطنطينية .

ولعل أصدق شاهد على تلك الهوة السحيقة التى غدت تفصل بين النبيل الثرى وبين فلاحه الأجير (colonus) هو ما نلمسه من فرق بين لغـة شكاوى ذلك العصر ، وشكاوى العصر البطلمى . واليك على سبيل المثال مقدمة شكوى مكتوبة حوالى عام ٢٤٣ ق.م. « من انتيجونوس الى الملك بطلميوس ، سـلاما . إن باترون ، رئيس الشرطة فى المركز الشـمالى يتعسف معى (٣) » . ومقدم الشكوى موظف صغير فى احدى قرى مصر الوسطى ، والمشكو اليه هو صاحب الحول والطول ، بطلميوس الثالث ، الملقب بالخيِّر . ومع هذا فهو يخاطب الملك فى غير مذلة أو لغو ، يخاطبه كما لو كان نداً له . قارن ذلك بشكوى رفعها أجير (colonus) فى احدى ضياع ابيون الى سيده فى القرن السادس « إلى سيدى الخيِّر ، محب المسيح ، محب للفقـراء ، ابيون شريف طيبة ودوقها . الموقر ، الأفخـم ، من « انوب » عبدك البائس المقيم بضيعة « فاكرا » Phacra التابعـة لك (٤) . ولعل فاتحة الشكوى التى رفعتها قرية أفروديتى ، المتمتعة بحق جباية ضرائبها ، إلى دوق الولاية فى عام ٥٦٧ م . أدل من سابقتها على اتساع هذه الهوة (٥) :

« فلافيـوس ترياديوس مارينانوس ميخائيـل جـبريل قسطنطين ثيودور مرتوريوس جوليان أثناسيوس القائد القنصلى الاشهر والشريف الأمجد لدى الحاكم جستين ، دوق طيبة الأغسطى للسـنة

(١) P. Cairo Masp. I, 67002 ; P. Lond. V, 1674
(٢) P. Cairo Masp. I, 67024, 15 f.
(٣) P. Hib. 34
(٤) P. Oxy. I, 130
(٥) P. Cairo Masp. I, 67002

الثانية ؛ التماس وضراعة من عبيدك البؤساء ، الملاك الصغار والسكان المساكين من قرية افروديتى التعسة المشمولة برعاية بيتك الطاهر وسلطتك السامية . إن العدالة الخالصة والانصاف المطلق ليضيفان أبدا هالة من النور على تلك السلطة الجليلة الفائقة — وهى ما ترقبناه ط... كما ترقب الموتى فى العالم الآخر مجىء المسيح ، الإله السرمدى . فعلى سموك من بعده ، وهورينا ومولانا المنقذ المعين المنعم الصادق الرحيم ، عليك نعقد كل أملنا فى الخلاص ، أنت يا من يسبح جميع الناس بحمدك ويتحدثون بذكرك فى كل مكان .. لهذا جئنا مطمئنين لنتمسح عند مواطىء قدميك الطاهرتين ، ونطلعك على أحوالنا » [١] .

اضمحلال الحضارة الهلينية :

فأى مكان فى عالم كهذا كان يتسع للحضارة الهلينية ، حضارة الأحرار ، ذوى الافكار الحرة ؟ . كانت المراكز الرئيسية لتلك الحضارة — خارج المدينتين الاغريقيتين الاسكندرية وبطلمية [٢] — هى عواصم الأقاليم ومعلوماتنا عن نشاط بلدياتها فى القرن السادس شحيحة بالنسبة الى ما نعرفه من هذا النشاط قبل ذلك التاريخ . بيد ان تلك الحقيقة ربما تنطوى فى حد ذاتها على مغزى هام . ذلك أن هذه العواصم القديمة التى كانت تعتز فى القرن الثانى بتقاليدها الهلينية ، وتستمتع بمشاهدة مهرجانات الشباب ، وكانت حتى فى أيام الشدة فى القرن الثالث تخلع على نفسها الألقاب الرنانة ، « كمدينة أهالى اكسورنخوس الشهيرة والأشهر » أو « مدينة هرميس العظيمة [٣] ـ القديمة ، أكثر المدن جلالا ، وابعدها صيتاً » ، هذه العواصم التى كانت قد توافرت لها فى القرن الرابع كل مقومات الحكم الذاتى ، أخذت تفقد أهميتها واستقلالها رويداً رويداً . وقد وضعت المناطق الريفية التابعة لها ، طالما لم تتمتع

---

[١] عن هذه الالقاب الرنانة التى كانت تخلع على الوجهاء فى العصر البيزنطى وغيرها من عبارات التفخيم فى محادثتهم ، راجع :

H. Zilliacus, **Untersuchungen zu den abstrakten Anredeformen und Höflichkeitslisten im Griechischen.** (Soc. Scient. Fennica, Comment. Human. Litter. XV, 3). Helsinki, 1949.

[٢] وكذلك نقراطيس (Naucratis) **اقدم هذه المدن (التى انشئت فى اواخر القرن السابع ق م) وانتينوبوليس** (Antinoopolis) **احدثها (وهى التى اسسها الامبراطور هادريان عام ١٣٠ م) .**

[٣] المقصود مدينة هرموبوليس الكبرى Hermopolis magna **(الاشمونين) .**

بحق جباية ضرائبها (autopragia) ، تحت سيطرة موظف من قبل الإمبراطور ، وهو « الپاجارك » ، الذى كان يقيم مع أسرته الكبيرة بالمدينة مما كان يتيح له بلا ريب فرصة التأثير على قرارات مجلس الشورى . وفى بردية يرجع تاريخها إلى حوالى نهاية القرن السادس ، يقول «نقيب» (defensor [civitatis]) بلدة كينوپوليس (Cynopolis) [١] ، انه يعبر عما يجيش بصدره من امتنان لكاتبة « مولانا جميعا أوسع الناس شهرة ، وكيل أعمال المالك » (٢) (الذى يرجح هنا انه عميد أسرة اپيون) . وفى بردية اخرى بتاريخ ٥٨٧ يظهر أحد القائمين بأعمال « النقيب » (defensor [= ekdikos]) كمستأجر فى ضياع أپيون (٣) . لقد انشىء منصب « النقيب » — كما أسلفنا — لحماية الفقراء من بطش الأغنياء [٤] ، وهانحن أولاء نجد أصحاب هذا المنصب يصبحون اتباعاً خاضعين لكبار النبلاء . أما عن الاتجاهات الفكرية فى ذلك العصر ، فحسبنا الإشارة إلى ان الرهبان كانوا يمقتون الثقافة الإغريقية ، وان السواد الأعظم من اتباع الكنيسة المصرية كانوا على مذهب الطبيعة الواحدة (٥) ، وان ذلك كان معناه مؤازرتهم للحركة القومية التى تقف موقف العداء من الثقافة السائدة فى عاصمة الامبراطورية .

من الواضح أن الحضارة الهلينية كانت تحتضر فى القرن السادس ولكن موتها كان بطيئا لأنها عاشت طويلا قبل ان تلفظ انفاسها الأخيرة . ويتبين لنا من أوراق البردى التى وجدناها فى أنتينوپوليس [الشيخ عبادة بمحافظة المنيا] وغيرها من الاماكن ، ان الادب اليونانى بل والادب اللاتينى كان لا يزال رائجا ، وان القراء فى القرن السادس كان فى متناولهم مؤلفات كثيرة لم تصل إلينا . ومما يسترعى النظر بوجه خاص ان شاعرا

---

[١] بلدة الشيخ فضل فى مواجهة بنى مزار بمحافظة المنيا .

(٢) P. Oxy. XVI, 1860, 6

(٣) P. Oxy. XVI, 1987

[٤] فى الحق انه كان يلقب احيانا بنقيب او نصير العامة (defensor plebis)

(٥) حتى اسرة ابيون (Apiôn) كانت فى وقت ما من اتباع مذهب الطبيعة الواحدة (مونوفيزيت) ، انظر :
E. R. Hardy, **The Large Estates in Byzantine Egypt.** (Columbia Univ. Press, 1931), pp. 26-7.

عسير الهضم مثل جوڤينال (Iuvenalis) [١] ، كان يدرس وقتئـذ فى ولاية طيبة مع شروح وافية (٢) ، وقد تعرفنا عن طريق برديات قرية افروديتى على رجل من أهالى تلك القرية أصاب بعض النجاح فى حياته كمحـام وموثق للعقود ، وكان لا يكل من نظم الشعر اليونانى (وقد اشتهر فى هذا المجال ، أو فيما هو جيد منه ، بانه أسوأ شاعر يونانى وصلتنا مؤلفاته !) [٣]

---

[١] او « يوناليس » هو اعظم شاعر هجائى عند الرومان ، ومع ذلك فلم يكن مشهورا فى مصره ولذلك لانعرف تفاصيل سيرته . ولد فى اكوينم (Aquinum) بين عامى ٥٠ ، ٦٠ م وقد نشرت جميع اشعاره فى عصر تراچان وهادريان . كان چوفينال كصديقه مارتياليس (انظر ص ٣١ حاشية ٣) فقيرا وعاش مثله كتابع أو مولى (cliens) عالة على السادة الاثرياء (patroni) . وقد نفاه الإمبراطور دوميتيان من روما بسبب فحش هجـائه وسلاطة لسانه وخدم اثناء نفيه كضابط مع احدى الكتائب المرابطة فى اسوان ولكنه عاد الى روما حوالى ٩٦ م . وتعتبر هجائياته (saturae) ـ وعددها ١٦ ومنظومة فى البحر او الوزن السداسى ـ مرآة صادقة للمجتمع الرومانى على ايامه ، وينتقد فيها انتقادا مرا الانحلال الخلقى ، والرذيلة ، والنفاق ، والشذوذ الجنسى ، وامتهان الفقراء ، وايثار الاشراف الثروة على الفضيلة وانصرافهم عن تشجيع الادباء ، والحماقة التى تدفع الناس الى التورط فيما هو ضار بهم ، وخيانة الاصدقاء ، واهمال الاباء ، والطمع والخسة . وفى احدى مقطوعاته يصف ساخرا مزايا الجندية ، وفى أخرى يستهجن وحشية المصريين فيروى ماحدث أثناء خدمته فى مصر من قتال بين مدينتى اومبى (نبط ؟) ودندره خلال أحد الاعياد بسبب الخلاف حول تقديس الحيوانات وكيف انتهت المعركة بمقتل أحد الأهالى فاكله خصومه (**Sat.** XV) . وجوفينال يتكلم كمصلح اخلاقى لاكفيلسوف فهو على حد قوله رجل عادى احس بان العالم قد اختل ميزانه فنظم هجائياته احتجاجا على المجتمع وتبرما من اوضاعه دون ان يقترح علاجا لامراضه . والواقع انه لايكاد يفوق قصائده (epigrammata) قصائد لاتينية أخرى من نوعها . وأسلوبه حافل بالالفاظ الدارجة ، والكلمات الدخيلة والغريبة ، وبعضها مقتبس من شعر الملاحم . وكان لجوفينال تاثير بعيد المدى على شعراء الهجاء فى كل العصور . وعن كراهيته للاجانب وتشهيره بالمصريين ، راجع :

عبد اللطيف احمد على « مصر والامبراطورية الرومانية فى ضوء الاوراق البردية » ص ١٥٥ — ١٦٧ .

(٢) انظر :

C. H. Roberts, «A Latin Parchment from Antinoe», **Aegyptus,** XV (1935), pp. 297-302

والنص منشور فى : **J.E.A.** XXI (1935), pp. 199-209

[٣] وهو ديوسقورس بن أبولوس (من قرية افروديتى) ، انظر ص ١٩٠ هامش ٤ ، ص ١٩١ هامش ١ فيما يلى .

كما قرأ هوميروس ، وقصائد أناكريون (Anacreon) [١] ، وأشعار نونوس (Nonnus) [٢] ، ووضع معجما يونانيا ــ قبطيا ، ينم عن إلمامه بالأدب الكلاسيكى [اليونانى ــ اللاتينى] غير المطروق (وإن كان من الجائز انه نقل عن غيره) ، ولم يكن فى حوزته مخطوطات لمسرحيات مناندر (Menander) [٣] فحسب ، بل كان فى حوزته أيضا ــ وهذا أمر مثير للدهشة ــ مخطوط لمسرحية ديموى (Dêmoi) من نظم يوپوليس (Eupolis) ، وهو شاعر من شعراء « الكوميديا القديمة » ، أعتقد بعض العلماء المحدثين انه كان غير معروف تقريباً لجمهرة القراء فى ذلك العصر (٤) . فاذا كانت دراسات كهذه قد لقيت اهتماما من أحد أعيان

---

[١] شاعر غنائى (حوالى ٥٧٠ ق م) ولد فى تيوس (Teos) على ساحل آسيا الصغرى . وقد رحل من بلده حوالى ٥٤٥ ق م عندما دهمها خطر الفرس ، ثم اقام فى طراقيا بعض الوقت وبعدئذ اتجه الى جزيرة ساموس (Samos) بدعوة من طاغيتها بوليكراتيس (Polycratês) ، وقد استدعاه ايضا الطاغية هيپارخوس (Hipparchus) الى اثينا (حوالى ٥٢٧ ق م) . ومعظم قصائده غنائية تشيع فيها روح البهجة والمرح ، وبعضها اناشيد لربة البرارى والصيد ارتميس (Artemis = Diana) واله الحب (Erôs = Cupido) ، واله الخمر ديونيسوس (Dionysus = Bacchus) وبعضها الآخر فى الهجاء والمدح والرثاء . وقصائده الايامبية او الاليجية مكتوبة باللهجة الايونية مع خليط من اللهجة الهومرية واللهجة الايولية . ويمتاز شعره ببراعة التصوير والابتكار .

[٢] شاعر من اخميم (Panopolis) عاش فى القرن الخامس الميلادى ، وكتب تفسيرا لانجيل القديس يوحنا . وهو شاعر من شعراء الملاحم ، نظم ملحمة طويلة عن ديونيسوس تسمى (Dionysiaca) يصف فيها رحلة هذا الاله الموفقة الى الهند ، ــ وهى ذخيرة قيمة من الاساطير تدل على سعة اطلاعه ، وان كان طول ملحمته يبعث على السأم . وقد اختلف النقاد فى الحكم على شعره ، الذى تمتاز أوزانه بالدقة بالمقارنة مع من سبقه من الشعراء .

[٣] عن كوميديات مناندر (أو مناندروس) التى اكتشفت فى مصر ، راجع ما تقدم فى ص ١١٩ حاشية ١ .

(٤) انظر (عن ديوسقورس بن ابولوس) :

H. I. Bell, «An Egyptian Village in the Age of Justinian», **J.H.S.,** LXIV (1944), pp. 21-36 ;

J. Maspero, «Un dernier poète grec d'Egypte : Dioscore fils d'Apollos», **Rev. Etud. Grec.,** XXIV (1911), pp. 426-81 ;

H. J. M. Milne, **Catalogue of the Literary Papyri in the British Museum** (1927), pp. 68-80 ;

=

قرية فى ولاية طيبة [١] ، أفلا يزيدنا ذلك يقينا بأن الثقافة الهلينية كانت لا تزال مزدهرة فى العواصم الكبرى ؟

ومع ذلك فقـد كانت الحضارة الهلينية فى مصر تدنو من نهايتها المحتومة . وعندما نبلغ القرن السابع نجد من الأدلة الواضحة ما يثبت أن اللغة اليونانية ، وكل ما يتعلق بها ، كانت تندثر فى البلاد . وقد تزايد استعمال اللغة القبطية فى تحرير العقود القانونية وغيرها من الوثائق ، بل وجد بين أقطاب الكنيسة من كانوا يجهلون اليونانية ، مثل أبراهام أسقف هرمونثيس Hermônthis [أرمنت] الذى يتبين من وصيته المدونة على بردية مودعة الآن بالمتحف البريطانى ، أنه أملاها باللغةالقبطية لتكتب باللغة اليونانية (٢) . وأوراق البردى الأدبية التى وصلتنا من ذلك العصر قليلة العدد ومحصورة فى دائرة ضيقة من الكتاب . وكثيراً مانجد برديات القرن السابع ، المحتوية على نصوص مسيحية كالتراتيل والأدعية والآيات المقتبسة من الكتاب المقدس (التى كانت تستعمل غالباً كتمائم) نجدها مضطربة ، وحافلة بالأخطاء مما يدل على أن كاتبيها كانوا لايفهمون ما يدونونه إلا فهما سطحيا مهوشا (٣) .

=

H. I. Bell & W. E. Crum, «A Greek-Coptic Glossary», **Aegyptus**, VI (1925), pp. 177-226.

[انظر ايضا :

G. Malz, «The Papyri of Dioscorus : Publications and Emendations», **Studi in honore di Calderini e Paribeni** II (1957), 345-356.

عبد اللطيف احمد على « مصادر التاريخ الرومانى » [القاهرة ١٩٦٤] ، ص ١٩٠، حاشية ه] .

[١] وهذا الشاعر – كما ذكرنا – هو ديوسقورس (Dioscorus) بن ابولوس (Apollôs) ؛ انظر مقال ماسبيرو والمراجع الاخر المشار اليها فى الحاشيتين السابقتين .

(٢) P. Lond. I, 77 (pp. 231-36) = M. **Chrest.** 319.

(٣) قارن ملاحظاتى الواردة فى الكتاب التالى :

W. E. Crum & H. I. Bell, **Wadi Sarga**, (Copenhagen, 1922), pp. 16-18.

الاخطار تحدق بالامبراطورية : الفتح العربى :

وفى عام ٦٠٨ ، أعلن هرقل (Hêraclius) ، حاكم إفريقيـــة ، الثورة على فوكاس (Phôcas) ، ذلك المتصب المتحجر القلب الذى اغتـــال الإمبراطور موريس (Mauricius) بعد ان أطاح بعرشه . وكان هرقل نفسه رجـــلا طاعنا فى السن ، لا تسمح له شيخوخته بتحمل أعبـاء الإمبراطورية . وكان القدر قدكتب لابنه هرقل الأصغر أنيعتلى العرش. وقد وضعت خطة تقضى بأن يقوم نيكيتاس (Nicêtas) ، ابن القـائد الثانى لهرقل ، بمحاولة غزو مصر ، بينما يزحف هرقل الأصغر على سالونيك (Thessalonica) . وتقدم نيكيتاس [من برقة] على الساحل الشمالى [لإفريقية] ، واستطاع بعد قتال عنيف ان يستولى على مصر فى أواخر عام ٦٠٩ . وكان هرقل فى تلك الأثناء قد عاد ادراجه ، فأبحر فى سنة ٦١٠ متجها صوب القسطنطينية ، وظهر أسطوله أمام المدينة فى ٣ اكتوبر من السنة عينها . واذ كان طغيان فوكاس قد ألب عليهالسواد الأعظم من الشعب ، فانه لم يمض يومان حتى وقع أسيراً فى يد هرقل الذى امر بقتله . وهكذا آل اليه عرش الإمبراطورية . وكان هرقل قائداً فذا قديرا قد صدقت نيته على أن يعمل مافى وسعه لانتشال الامبراطورية من وهدتها ، ولم تكن تعوزه الهمة او العزم ، ولو انه كان يتعرض من وقت لآخر ، بسبب مرضه ، لنوبات من الخمول والفتور . وكان هنالك فى الواقـع من الأسباب ما يكفى لإثباط همته : فقد منيت جيـــوش الامبراطوريةخلال السنوات الأخيرة بعدة هزائم وغزا خسرو (Chosroës) ملك الفرس ، الإمبراطوية من الشرق ، ولم تنقطع قبائل الآفار والسلاف والصقالبة عن تهديدها من الشمال ، وحامت الشبهات حول إخـلاص بريسكوس (Priscus) ، القائد الاعلى للجيش ، ونضبت الخزانة من نصف ما فيها ، وتناقص عدد الرجال اللائقين للخدمة العسكرية تناقصا شديدا . وفضلا عن ذلك فقد خيم على كافة ارجاء الامبراطورية شعور باقتراب النهاية ، وسرت فى أوصالها روح التخاذل والاستسلام .

وقد اخذت الأحوال فى بادىء الأمر تسير من سىء الى اسوأ برغم ما بذله هرقل من جهود مضنية ، ولكن خسرو كان لا يفتأ يتوغل فى قلب الامبراطورية . ثم وقعت الطامة الكبرى وسقطت أورشليم فى ٦١٤ . وغزا الفرس مصر واستولوا عليها ٦١٦ ، وكان معظم آسيا الصغرى قد

سقط هو الآخر فى أيديهم وقتئذ ، وأصبح فى وسع جنودهم أن يروا عاصمة الامبراطورية من الضفة الأخرى لمضيق البسفور متألقة على سفوح تلالها . وبدا كما لو كانت الامبراطورية مشرفة على الهلاك . ولو كان للفرس فى البحر اسطول فى قوة جيشهم ، لسقطت القسطنطينية قبل ميعادها بثمانية قرون ، ولتجردت أوروبا من حصنها الشرقى المنيع . لكن القدر تلطف فتمكن الرومان من صد الهجوم البحرى على المدينة ؛ ولم يكرر العدو محاولته للاستيلاء عليها . وفى ٦٢٢ عبر هرقل البحر الى آسيا الصغرى بعد ان وكل القسطنطينية فى حفل دينى لعناية المسيح ومريم ؛ وقد انتهت حملته الموفقة بتحرير جميع أراضيها . ثم خرج فى ٦٢٣ غازياً فارس نفسها وأحرز انتصارات باهرة . لكن فى ٦٢٣ ظهر خطر جديد عند ما تدفقت جحافل الآفار من الشمال وحاصرت القسطنطينية براً وبحراً . وأشرفت الامبراطورية مرة أخرى على الهلاك وساد الذعر فى كل مكان ، وبدا كما لو كانت العناية الربانية وحدها هى القادرة على إنقاذ المدينة ؛ فانطلقت الدعوات من جميع الكنائس تبتهل الى أم المسيح أن تأتى لنصرة عبادها ؛ وكان من بين كراماتها انه بينما التهمت النيران كنائس القديسين كوسماس ودميان ونيقولا ، فقد نجا معبدها فى بلاكرناى (Blachernae) من الدمار . واستجابت السماء للدعوات ؛ فردت سفن السلاف على اعقابها واغرقت ، وتقهقر جيشهم شمالا . وفى ٣ ابريل عام ٦٢٨ وفدت على هرقل سفارة فارسية لتبلغه نبأ موت خسرو ، واعتلاء إبنه العرش ، ورغبة الفرس فى عقد الصلح . وقد نصت شروط الصلح على انسحاب القوات الفارسية من جميع أراضى الامبراطورية ، وبذلك تم الجلاء عن مصر ايضا فعادت ادراجها الى حظيرة الامبراطورية البيزنطية .

بيد أن هذه الحال لم تدم طويلا ، ففى ٦٢٢ كان قد وقع حدث ترتبت عليه آثار بعيدة المدى بالنسبة لبيزنطة وفارس . ففى ذلك العام هاجر محمد [صلعم] من مكة الى المدينة بسبب ما لمسه من فتور بنى قومه فى قبول دعوته ، بادئا بذلك حقبة جديدة ، وهى التاريخ الهجرى ، وإن لم يدرك هو او احد من اتباعه هذه الحقيقة . وعندما مات فى ٧ يونية عام ٦٣٢ كان معظم شبه الجزيرة العربية قد دخل الاسلام .

وفى تلك الأثناء كان هرقل ، رغبة فى تدعيم اركان الامبراطورية ، قد بذل قصارى جهده لرد اقباط مصر إلى الكنيسة الكاثوليكية . وقد قبل مراضاة لهم بدعة اوهرطقة الإرادة الواحدة (monothelêma) التى تقـول ـ خلافا لمذهب الطبيعة الواحدة ـ إن للمسيح فى الواقع طبيعتين ، ولكن له إرادة واحدة فقط [١] . وقد اعتقد ان ذلك قد يؤدى الى التقريب بين أصحاب مـذهب الطبيعتين واصحاب مذهب الطبيعة الواحـدة (monophusitai) . غير ان المصريين كانوا غير مستعدين للتفاهم ؛ فقد انحصرت رغبتهم فى معارضة القسطنطينية . وفى ٦٣١ عين هرقل بطريركا على الاسكندرية وحاكما اغسطيا (praefectus Augustalis) على مصر فى نفس الوقت ، اسقفا يدعى قيرس Cyrus [المقوقس] وهو من الذين اعتنقوا مذهب الارادة الواحدة . ولم يكن هرقل موفقاً فى اختياره لان قيرس هذا ، الذى تجعلنا قلة المصادر فى حيرة من شخصيته الغامضة ، كان فيما يبدو رجلا ضيق الصـدر . فلما وجـد أن من العسـير عليه استمالة الأقباط الى المذهب الجديد ، اخذ يضطهدهم اضطهاداً رهيباً ، مما نفر منه هؤلاء الذين اوفد ليعمل على استرضائهم ، هذا فى وقت اشتدت فيه الحاجة إلى الولاء حيثما كان مستطاعاً .

وبعد موت محمد واجهت ابا بكر ، اول الخلفاء الراشدين ، ثورة نشبت بين بعض القبائل ، ولكنه استطاع أن يخمدها . ولم يمض زمـن طويل حتى كانت كل الجزيرة العربية قد خضعت لسلطان الخليفة ؛ واصبحت قبائلها المعروفة بشدة المراس وحب القتال مهيأة ، وقـد التهبت حماساً بالدين الجديد الذى يحث على الجهاد ، للتوسع خارج حدود بلادها التى لم تعد مواردها الضئيلة كافية لسد حاجات اعدادها المتزايدة . وسرعان ما اجتاحت جيوش العرب سوريا ، والتحمت مع الفرس لأول مرة فى ٦٣٧ ، فاندكت صروح امبراطورية آل ساسان المتليمة تحت وطأة هجماتها .

وفى ٦٣٩ استطاع عمرو بن العاص ، أحد كبار قواد العرب الذين

---

[١] يسمى اصحاب هذه البدعة او « الهرطقة » بانصار مذهب الارادة الواحـدة monothelêtai (مونوثليط) القائل بان للمسيح ارادة واحدة monothelêma .

قاموا بدور هام فى غزو سوريا ، أن يحصل بعد الحاح من عمر بن الخطاب ثانى الخلفاء الراشدين ، على إذن بغزو مصر ، برغم أنه لم يتوافر له سوى اربعة آلاف جندى للقيام بهذه الحملة ، وأن العرب لم تكن لديهم المعدات اللازمة لحصار القلاع . ويقول المؤرخون العرب : « عندما وصل عمرو إلى موقع قريب من مكان معركة رفح ، أدركه رسول يحمل رسالة من الخليفة فساورت عمرو الظنون ولم يفتح الرسالة إلا بعد أن بلغ العريش ، وهناك فض الرسالة فإذا بها تقول : « من أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص ، إذا بلغتك هذه الرسالة قبل أن تعبر حدود مصر ، فلترجع ، وأما إذا بلغتك بعد دخولها ، فلتواصل زحفك ، والله معك » والتفت عمرو الى رجاله متسائلا : أفى سوريا نحن أم فى مصر ؟ فأجابوه : « فى مصر » . عندئذ تلا عمرو الرسالة عليهم قائلا « ان الجيش سيتابع المسير ، والله معنا » .

ولم يكن فتح مصر على يد العرب معجزة كما يعتقد بعض الناس [١] . صحيح أن عمرو لم يكن تحت إمرته سوى أربعة آلاف جندى عندما اجتاز الحدود ، غير انه تلقى من الخليفة قبل معركة هليوبوليس الحاسمة مدداً يبلغ حوالى اثنى عشر الف رجل . وقد بالغ المؤرخون كثيراً فى عدد القوات الرومانية التى يرجح انها لم تزد فى مجموعها عن حوالى ثلاثين الف رجل ، موزعين فى أنحاء البلاد بين الحاميات المختلفة ، ولم يكن كثير منهم ، فيما يرجح ، جنودا من الطراز الأول (٢) ، وفضلا عن ذلك كان من المستحيل تركيزهم بسرعة فى مكان المعركة ، وقد ظهرت حينئذ العواقب الوخيمة لسياسة جستنيان فى تمزيق وحدة مصر وتخويل جميع حكام ولاياتها سلطات متساوية ، إذ حصر كل منهم همه فى ولايته ، حتى لقد قيل إن دوق طيبة ، عندما سمع باقتراب العرب ، جمع الضرائب على وجه السرعة وفر بها إلى الاسكندرية .

وبعد أن هزم عمرو الرومان عند هليوپوليس (Hêliopolis) ضرب الحصار على بابليون (Babylôn)، الحصن المنيع الواقع عند رأس الدلتا . وقد

---

[١] ان لم يكن بمعجزة فهو قريب منها . ومن الملاحظ أن الاستاذ « بل » كأغلب المؤرخين الاجانب يحاول الانتقاص من بسالة الجنود العرب ، وانتحال المعاذير لتبرير انهزام الرومان على يد عمرو بن العاص .

(٢) انظر : J. Maspero, **Organisation Militaire,** pp. 114-18.

احتل العرب الفيوم ، ولكن بابليون صمدت لهجومهم . وشرع عمرو فى مفاوضة المقوقس ، الذى وافق على مشروع معاهدة تنص على استسلام الرومان (١) . وسافر المقوقس إلى القسطنطينية ليعرضها على الامبراطور الذى رفضها على الفور وأمر بنفيه . ولكن هرقل كان فى ذلك الوقت يخطو الى قبره ، فلما قضى نحبه فى ١١ فبراير ٦٤١ ، حالت الخلافات التى نشبت بين المجالس الامبراطورية دون إرسال الامدادات الى مصر ، فسقط حصن بابليون فى ابريل ٦٤١ ، وزحف العرب على الاسكندرية ولاقوا فى طريقهم مقاومة شديدة من جانب جنود الامبراطورية الذين ابدوا على نقيض قوادهم روحا معنوية عالية . وكان المقوقس قد أعيد آنئذ الى منصبه ، فوجد الاسكندرية نهباً للمنازعات ، وقد تطرق اليأس بسرعة إلى نفوس اهليها ، فعقد مع العرب معاهدة تنص على ان يدفع سكان المدينة الجزية ، وان تجلو القوات الرومانية عنها خلال احد عشر شهراً ، وان تؤمن حياة المسيحيين واليهود . ولم يصل من القسطنطينية اى مدد فغادر الجيش الامبراطورى ميناء الاسكندرية فى ١٧ سبتمبر ٦٤٢ ، ودخل العرب المدينة العظيمة فى ٢٩ من نفس الشهر ، وقد بهرت انظارهم بواكيها المرمرية وقصورها الفاخرة .

وكان ذلك إيذاناً بانتهاء قصة مصر الهلينستية ، فعادت البلاد الى احضان العالم الشرقى الذى تنتمى اليه بعد ان كانت انتصارات الاسكندر قد صرفتها عن الشرق والماضى فولت وجهها شطر الغرب والمستقبل . ولكن ذلك العالم ، الشرقى منه والغربى ، كان مختلفا اذ ذاك كل الاختلاف عن عالم الاسكندر : فقد انقطع وحى آمون ، واقفرت معابد مصر العظيمة أو غدت اديرة قبطية ، واحتدمت فى الكنائس المسيحية والاديرة بأوروبا وآسيا مناقشات حول مسائل عويصة فى علم اللاهوت الذى صاغه الفكر اليونانى من تعاليم النبى اليهودى وسيرته وموته [٢] ، ودوت مآذن مساجد كثيرة فى بلاد العرب والأقطار المتاخمة لها بأصوات المؤذنين وهى

(١) انظر :
A. J. Butler, **The Treaty of Misr in Tabari.** Oxford, 1913.

[٢] يقصد بالنبى اليهودى المسيح عيسى عليه السلام .

تردد « الله اكبر لا إله إلا الله » . ولم يلبث الاسلام نفسه ، الذى وصفه مومسن (Mommsen) بأنه « جلاد الحضارة الهلينية » ، أن اخذ ينقل الشىء الكثير عن العلم اليونانى ، والفلسفة اليونانية ، لينقله بدوره الى علماء غرب أوروبا . وسرعان ما استعين بالصناع المصريين المهرة فى بناء مساجد أورشليم ودمشق ، وتسربت كثير من العناصر الزخرفية ، كورقة الأكانثوس ومحاليق العنب ، من الفن اليونانى ــ القبطى الى فن المعمار الاسلامى ، وتركت فيما بعد اثرها فى بعض المبانى المسيحية بجنوب أوروبا . ولئن كان عمل الاسكندر قد بتر بموته المبكر ، واساء خلفاؤه تأويله فلم يقتدوا به ، فقد ظل مع هذا قائما من بعده . وأيا كانت الوسيلة فقد امتزجت أوروبا بآسيا وان لم يتم ذلك على الوجه الأكمل أو طبقا للصورة التى رسمها هو ، ولم يعد فى وسع هذه أو تلك أن تعود أبداً الى ما كانت عليه .



ملحق (١)
بسنوات حكم الملوك والأباطرة

- الإسكندر الأكبر وأسرته
- الملوك البطالمة
- الأباطرة الرومان
- أباطرة العصر البيزنطي[1]

[1] هذه الصفحات التالية ليست موجودة فى كتاب « بل » ولكننى رأيت اضافتها « كملحق » لفائدة القراء والمهتمين بدراسة تاريخ مصر فى العصر اليونانى الرومانى والمشتغلين بنشر الوثائق البردية بوجه خاص .

الاسكندر الأكبر وأسرته

الاسكندر الثالث (الأكبر) [1]	ملكا	٣٣٢	٣٢٣
فيليب أرهيدايوس (أخو الاسكندر)	«	٣٢٣	٣١٧
الاسكندر الرابع (ابن الاسكندر الأكبر)	«	٣١٧/٦	٣١٠ [٣٠٥/٤]*

---

[1] غزا الاسكندر الثالث (الاكبر) مصر فى خريف عام ٣٣٢ ق م .

ولعله توج فى منف (ممفيس) ملكا على مصر فى آخر عام ٣٣٢ .

أسس الاسكندرية فى ٢٥ طوبه الموافق ٢٠ يناير عام ٣٣١ [لكن راجع المقال التالى :
C. B. Welles, «The Discovery of Sarapis», Historia 11 (1962), 271-298

حيث يذهب الكاتب الى أن تأسيس الاسكندرية كان فى يوم ٧ أبريل عقب زيارة الاسكندر لواحة آمون ، وليس قبل هذه الزيارة (قارن ابراهيم نصحى « تاريخ مصر فى عصر البطالمة » جـ ٢ ، ص ٢٨٢ ، حاشية ٣) . كما يذهب الاستاذ ولز الى أن الاسكندر هو الذى أمر ببناء معبد أوسرابيس (سرابيس) فى الاسكندرية (قارن ما تقدم فى ص ٥٢ ــ ٥٤ والحواشى ، ص ٧٢ ، هامش ١)]

ـــ توفى الاسكندر فى بابل يوم ١٣ يونيو ٣٢٣ . وفى رأى حديث آخر أن اليوم الذى توفى فيه الاسكندر وهو ٢٩ من شهر دايسيوس Daisios (المقدونى) يوافق مساء يوم ١٠ أى بداية يوم ١١ يونيو عام ٣٢٣ (لأن اليوم وفقا للتقويم المقدونى يبدأ فى المساء بينما يبدأ اليوم فى التقويم المصرى مع طلوع النهار) .

* قتل الاسكندر الرابع (ابن الاسكندر الاكبر من روكسانة) فى عام ٣١٠ . ومع ذلك فقد ظلت الوثائق (الديموطيقية) فى مصر تؤرخ باسمه الى ما بعد موته تاريخا صوريا حتى سنة ٣٠٥/٤ قم ، وهى السنة التى اتخذ فيها بطلميوس الاول (ســوتير) لقب ملك (basileus) بصفة رسمية بدلا من لقب سباترابيس (satrapês) أى والى نائب عن الملك .

الملوك البطالمة

بطلميوس الأول	واليـاً	٣٢٣	٣٠٥/٤
(سوتير) [١]	ملكا [٢]	٣٠٥/٤	٢٨٣/٢[٣]
بطلميوس الثانى	مشتركا	٢٨٥/٤	٢٨٣/٢
(فيلادلفوس) [٤]	(مع أبيه) [٥]		

[١] خلع اهل رودس على بطلميوس الاول لقب « سوتير » (المنقذ) بعد عام ٣٠٤ وفقا لرواية ديودور الصقلى (ك ٢٠ ــ ١٠٠ ــ ٤) ورواية پاوسنياس (ك ١ ــ ٨ ــ ٦) . لكن يبدو أن هذا اللقب (لقب الاله المنقذ) خلع عليه قبل اتخاذه لقب « ملك » بصـفة رسمية ، أى بين سنتى ٣٠٨ ، ٣٠٦ ، وذلك وفقا لما يفهم من نقش عثر عليه فى هليكرناسوس بآسيا الصغرى (OGIS, 16) راجع : Bevan, **Ptol. Dym.** pp. 48, 51

[٢] اتخذ بطلميوس الاول لقب « ملك » بصفة رسمية فيما بين ٧ نوفمبر ٣٠٥ ، ٦ نوفمبر ٣٠٤ ، ان لم يكن بين ٧ نوفمبر ٣٠٥ ، ١ فبراير ٣٠٤ . وبينما يفضل الاستـاذ « سكيت » التاريخ الاخير ، يرجع باحث حديث (الن صامويل) أن بطلميوس الاول اعلن نفسه ملكا فى يوم بعينه ، هو ٧ نوفمبر ٣٠٥ الذى كان فى ذلك الوقت يوافق اول توت ، رأس السنة المصرية . (راجع ما تقدم فى ص ٤٣ هامش ٢ حيث يتضح أيضا ان شهر « ديوس » المقدونى كان ــ فيما يبدو ــ يقابل شهر اكتوبر/نوفمبر . وقد ظل الامر كذلك حتى عهد يورجتيس الثانى حين قوبلت (بين سنتى ١٣٠/١٣١ ــ ١١٨/١١٩) الشـهور المقدونية بالشهور المصرية وصار ديوس يوافق توت ، أول شهر فى السنة المصرية . ويلاحظ أيضا ان بداية أى شهر مقدونى توافق دائما يوم ٢١ من الشهر المصرى . راجع :
A. E. Samuel, **Ptol. Chron.** pp. 35; 132

ــ وبعد مضى سنوات من حكمه كملك ، رأى بطلميوس الاول ان يضيف سنوات حكمه كوال عند حساب مدة حكمه ، وارجع بداية حكمه (صوريا) الى يوم وفاة الاسكندرالاكبر ، اى الى يوم ٢٩ من شهر دايسيوس Daisios (المقدونى) عام ٣٢٣ الموافق ١١/١٠ من شهر يونيو عام ٣٢٣ .وبذلك يصبح المجموع الكلى لسنوات حكمه (كوال وملك) ٤١ عاما ، وكملك فقط ٢٣ عاما . ولدينا وثائق (كلها يونانية) مؤرخة بعام ٤١ من حكمه لكن ذلك لايظهر فى الوثائق الديموطيقية لان الكتبة المصريين لم يرجعوا ببداية حكمه الى عام ٣٢٣ ، بل حسبوها ابتداء من تاريخ اعلانه نفسه ملكا فى نوفمبر ٣٠٥/٤ .

[٣] تاريخ وفاة بطلميوس الاول غير معروف على وجه التحقيق . لكنه توفى بعدسنتين (وبضعة اشهر) من اشراكه لابنه معه فى الحكم ، اى انه توفى فى عام ٢٨٣/٢ ، وربما بين يناير ومارس عام ٢٨٢ على وجه أكثر تحديداً .

[٤] بطلميوس الثانى (فيلادلفوس) هو ابن بطلميوس الاول (سوتير) من زوجته الثانية برنيقى (Berenicē) . وقد ولد فى يوم ٢٤ من شهر ديستروس (Dystros) المقدونى الموافق ٢١ مارس عام ٣٠٩ ، فى جزيرة قوس (Cōs) قرب ساحل آسيا الصغرى.

[٥] اشرك سوتير ابنه بطلميوس الثانى معـه فى الحكم بمناسـبة عيد ميلاد (هـذا الابن) الخامس والعشرين فى يوم ٢١ مارس عام ٢٨٥ .

=	منفردا [٦]	٢/٢٨٣	٢٤٦
بطلميوس الثالث (يورجتيس)	ملكا	٢٤٦	١/٢٢٢
بطلميوس الرابع (فيلوپاتور)	»	٢٢١	٢٠٥
بطلميوس الخامس (إپيفانيس) [٧]	»	٤/٢٠٥	١٨٠
بطلميوس السادس (فيلوميتور)	منفردا	١٨٠	١٧٠
	مشتركا (مع اخويه) :	١٧٠	١٦٤[٨]
=			

[٦] حسب بطلميوس فيلادلفوس سنوات حكمه ابتداء من عام ٢/٢٨٣ الذى انفـرد فيه بالحكم عقب وفاة أبيه . لكن بعد مضى سنوات من حكمه ، وفى عام ٢٦٧ على وجـه التحديد ، قرر — كما فعل أبوه من قبل — (ولسبب لا نعرفه) ارجاع بداية حكمه الى سنة اشتراكه مع أبيـه فى الحكم ، اى ارجاعه الى ٢١ مارس عام ٤/٢٨٥ . وكان ذلك فى السنة الـ ١٦ من حكمه وبمناسبة عيد ميلاده الثانى والاربعين (٢٤ ديستروس = ٢١ مارس عام ٢٦٧) . وبذلك أصبح ٢١ مارس عام ٢٦٧ بداية السنة الـ ١٩ من حكمـه (وفقا للحساب الجديد) وليس بداية للسنة الـ ١٦ من حكمه . وهكذا صار يوم عيد ميلاده (genethlia) ٢١ مارس يوافق يوم عيد جلوسه على العرش (basileia) [كشريك لابيه فى الحكم] فى يوم ٢١ مارس ؛ (راجع :
(A. E. Samuel, **Ptol. Chron.** pp. 66-74

ويلاحظ أن عيد الميلاد (والجلوس على العرش) لم يكن يحتفل به سنويا فقط ، بل شهريا (فى نفس اليوم ٢١) . وكان هذا تقليدا مقدونيا . ويلاحظ أيضا انه نتيجة للتاريخ باثر رجعى صارت سنة الحكم المقدونية متقدمة على السنة المصرية بمعنى أن السنة المصرية الثالثة — مثلا — كانت تقابلها السنة المقدونية الرابعة . كذلك كانت الحال فى عهد بطلميوس الثالث .

[٧] زوجة اپيفانيس هى كليوبترة (الاولى) وام فيلوميتور . وجدير بالذكر أن حجر رشيد (Rosetta Stone) يرجع الى عهد اپيفانيس ، اذ يحمل تاريخ ٢٧ مارس عام ١٩٦ . والحجر مدون عليه قرار أصدره الكهنة المصريون فى اجتماع عام فى منف (Memphis) وهو مكتوب بصورتين او خطين من اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية والديموطيقية) مع ترجمة باللغة اليونانية . وكان هذا الحجر (الذى اكتشفه رجال الحملة الفرنسية فى بلدة رشيد عام ١٧٩٩ ، واستولى عليه الانجليز عام ١٨٠١ واودعوه المتحف البريطانى) مفتاح سر اللغة المصرية القديمة وحل رموزها وطلاسمها على يد شامبليون (انظر **(OGIS, 90**

[٨] فى عام ١٧٠ رأى البلاط البطلمى تدعيما للحكم (ربما بمناسبة غزو انطيوخوس الرابع ابيفانيس لمصر (راجع ص ٨٣ — ٨٤) أن يتخذ اجراء — لامثيل له من قبل — وهو أن يشرك مع فيلوميتور فى الحكم اخاه الاصغر بطلميوس (الثامن) وأخته — وهى زوجتـه =

=	بطلميوس الثامن وكليوبترة الثانية مشتركاً (مع اخته) : كليوبترة الثانية	١٦٣	١٤٥
بطلميوس السابع (نيوس فيلوپاتور)	مشتركاً (مع أبيه) [٩]	١٤٥	
بطلميوس الثامن (پورجتيس الثانى)	منفرداً [١٠]	١٤٥	١١٦

=

ايضا ــ كليوبترة (الثانية) . وبمناسبة هذا التغيير رؤى ايضا تغيير حساب سنوات الحكم فاصبح عام ١٧٠ ــ وهو السنة الثانية عشرة من حكم فيلوميتور وحده ــ يعتبر ايضا السنة الاولى من حكم الأخوة الثلاثة المشترك . ويسود الاضطراب السنوات الاولى من هذا الحكم المشترك ، وطريقة التاريخ ليست موحدة او متناسقة فى مختلف انحاء الوادى . ولعل هذا يرجع الى الغزو السورى والى النزاع الذى احتدم أواره بين فيلوميتور (وزوجته كليوبترة الثانية) من ناحية وبين اخيهما بطلميوس (الثامن) من ناحية اخرى ، فقد انحاز الاسكندريون الى جانب فيلوميتور وكليوبترة الثانية ضد بطلميوس (الثامن) ، ومن ثم بدأت كراهية الاخير للاسكندريين وبخاصة اقطابهم وتنكيله بهم ، وثورتهم ضده وتمردهم عليه . كذلك انحاز اليهود ــ فيما يروى ــ الى فيلوميتور واخته كليوبترة الثانية ضد بطلميوس (الثامن) مما اثار الاخير عليهم وبدأ فى اضطهادهم كالاسكندريين سواء بسواء .

وقد طرد بطلميوس فيلوميتور من عرشه فترة امتدت من اكتوبر ١٦٤ الى ما قبل ٢٩ مايو ١٦٣ . ويبدو ان اخاه الاصغر بطلميوس (الثامن) انفرد بالحكم فترة قصيرة تقع بين ابريل ومايو ١٦٣ .

[٩] حكم نيوس فيلوپاتور (اى فيلوپاتور الجديد) مشتركا مع أبيه من ربيع الى خريف عام ١٤٥ (الموافق ٣٦ من حكم ابيه فيلوميتور) . وتوفى ابوه قبل ١٩ سبتمبر ١٤٥ . لكن نيوس فيلوپاتور لا يظهر هو الآخر بعد ذلك التاريخ . وفى أكبر الظن انه قتل. ولعله هو ذلك الابن (ابن فيلوميتور وكليوبترة الثانية) الذى تخلص منه بطلميوس الثامن (راجع Bevan, p. 307, n. 1) . ولم يلبث هذا الاخير ان تولى العرش فى نفس العام منفردا بالحكم . وقد لقب نفسه يورجتيس (الثانى) اى « الخير » او « المحسن » ، ولقبه الاسكندريون ــ نظرا لسمنته المفرطة ــ بالبدين (Physkôn) .

[١٠] تزوج بطلميوس الثامن مرتين ، الاولى من اخته كليوبترة الثانية (وهى ارملة اخيه فيلوميتور) فى عام ١٤٤ (اى بعد انفراده بالحكم) . لكن لم يلبث ان نشب بينهما صراع رهيب على السلطة ، وساءت بينهما العلاقة . لذلك تزوج فى عام ١٤٢ من ابنتها كليوبترة الثالثة (التى كانت قد انجبتها من اخيها وزوجها فيلوميتور) . وبذلك يكون قد تزوج اولا من ارملة اخيه (وهى اخته أيضا) المسماة كليوبترة الثانية ، وبعدئذ تزوج من ابنتها كليوبترة الثالثة التى كان هو عمها وخالها فى الوقت نفسه . ولا ندرى اذا كان

=

كليوبترة الثالثة [١١] مشتركة مع ابنيها :

بطلميوس التاسع [١٢]	١١٦/١٥	١٠٧
بطلميوس العاشر	١٠٧	١٠١

قد طلق كليوبترة الثانية عندئذ . لكنها ظلت تحكم معه بلقب « الملكة كليوبترة الاخت » ، بينما لقبت ابنتها كليوبترة الثالثة (التى تزوجها يورجتيس الثانى) « بالملكة كليوبترة الزوجة » .

كيف رضيت كليوبترة الثانية أن تعيش على هذا الوضع ؟ ربما بدافع حب السلطة والتمسك بلقب ملكة . وقد كان لها ابنة اخرى (من أخيها فيلوميتور) اسمها كليوبترة ثيا ، وقد تزوجت ديميتريوس ملك سوريا . ودبرت مقتله ، وقتلت احد ابنائها ، وحاولت قتل الآخر عندما اعترضوا سبيل طموحها . لقد كان حب السلطة عند النساء المقدونيات الطموحات يغلب على العاطفة الطبيعية .

وقد أنجب يورجتيس الثانى من كليوبترة الثانية (أثناء تتويجه فرعونا فى منف عام ١٤٤) ابنا فلقب بالمفيسى (Memphites) بهذه المناسبة . وعندما ثار الاسكندريون عليه بتدبير من كليوبترة الثانية ، واضطر الى الفرار مع زوجتـه كليوبترة الثالثة الى قبرص (١٣١ ــ ١٣٠) ، انتقم من كليوبترة الثانية بأن قتل ابنها منه « ممفيتيس » الذى كان قد اخذه معه الى المنفى ، ومزقه اربا ووضع أشلاءه فى صندوق بعث به الى كليوبترة فى الاسكندرية كهدية عيد ميلاده . ولم يكن هذا الابن الذى قتل بيد أبيه وهو فى ســن الرابعة عشر ، هو الابن الوحيد الذى أنجبه يورجتيس الثانى من أخته كليوبترة الثانية ، اذ يبدو انه انجب ابنا آخر (ربما فى عام ١٤٣) ، راجع : **OGIS** 130, 144

وتؤرخ ثورة كليوبترة الثانية بتأييد من الاسكندريين ضد زوجها يورجتيس الثـانى بعام ١٣١ ــ ١٣٠ وقد أعلنت نفسها ملكة بلقب « كليوبترة فيلوميتور سوتيرا » لكنه لم يلبث أن عاد من منفاه فى قبرص بالقوة المسلحة ، وطرد كليوبترة الثانية التى لجأت الى زوج ابنتها ملك سوريا فى أنطاكية . ولم يلبث أن عاد الوئام بينهما فعادت الى الاسكندرية حوالى عام ١٢٤ . وفى الحق أن هــذه السنوات (١٣١ ــ ١١٨) هى ســنوات حافلة بالاضطرابات وقد سميت بسنوات انقطاع الاتصال أو الفوضى (amixia) .

كذلك انجب يورجتيس الثانى من كليوبترة الثالثة ابناء من بينهم كليوبترة الملقبـة بكليوبترة تريفانيا (Tryphaena) وكليوبترة « الرابعة » وكليوبترة سيلينى (Selênê) هذا عدا من أنجبهم من محظياته (مثل ايرينى Eirênê) وقد نصب أحد هؤلاء الابناء غير الشرعيين (وهو بطلميوس أبيون) ملكا على مدينة قورينة (ومكانها الآن بلدة الشحات فى برقة) .

ــ وقد توفى يورجتيس الثانى فى ٢٨ يونيو ١١٦ . وماتت عـدوته اللدود كليوبترة الثانية فى العام نفسه (قبل ١٩ اكتوبر عام ١١٦) .

[١١] كليوبترة الثالثة هى ــ كما ذكرنا ــ الزوجة الثانية ليورجتيس الثانى . وكانت تؤثر ابنها بطلميوس العاشر (الاسكندر الاول) على أخيه بطلميوس التاسع (سوتير الثانى) .

بطلميوس العاشر (الاسكندر الأول) [١٣]	مشتركا مع زوجته : كليوبترة برنيقى [١٤]	١٠١	٨٨
بطلميوس التاسع (سوتير الثانى) [١٥]	منفردا (بعد العودة من المنفى)	٨٨	٨١
كليوبترة برنيقى [١٦]	منفردة	٨٠	
بطلميوس الحادى عشر (الاسكندر الثانى) [١٧]	منفردا	٨٠	
بطلميوس الثانى عشر (نيوس ديونيسوس) [١٨]	منفردا	٨٠	٥٨

=

وكانت تلقب بالملكة الربة الخيرة او « بالملكة كليوبترة الربة افروديتى الخيرة الشهيرة بفيلوميتور » اى محبة امها . راجع :

W. Otto, «Ptolemaica». **Sitzb. Bayer. Akad. Wiss. Philos.-hist. Abl.** 1939, Heft 3 (1939), 7-16

وقد ماتت كليوبترة الثالثة قبل ٢٦ اكتوبر عام ١٠١ .

[١٢] طرد بطلميوس التاسع (سوتير الثانى) الملقب لاثيروس (Lathyros) (اى الحمص) ثلاث مرات :

من آخر ١١٠ الى أول ١٠٩ ، ثم بضعة اشهر اثناء عام ١٠٨ ، واخيرا من قبل خريف ١٠٧ حتى ٨٨ .

[١٣] مات بطلميوس العاشر (الاسكندر الاول) عام ٨٨ (قبل يوم ١٤ سبتمبر) .

[١٤] كليوبترة برنيقى (Cleopatra Berenice) هى برنيقى (الثالثة) . وفى رأى البعض انها ابنة بطلميوس التاسع (سوتير الثانى) من زوجته كليوبترة الرابعة (ابنة يورجتيس الثانى) ، وفى رأى البعض الآخر انها ابنة سيلينى (ابنة يورجتيس الثانى الصغرى) وقد تزوجها عمها بطلميوس العاشر (الاسكندر الاول) وتلقب بالملكة برنيقى الربة محبة اخيها (Thea Philadelphus) لكنها تلقب هى وزوجها معا بالالهين المحبين لامهما (Theoi Philomêtores) ، راجع :

Bevan, **Egypt under the Ptolemaic Dynasty,** p. 331

[١٥] عاد بطلميوس التاسع (سوتير الثانى) من المنفى الى العرش عقب وفاة اخيه الاسكندر الاول مباشرة فى خريف عام ٨٨ . وكان قد نفى (للمرة الثالثة) على نحو ماذكرنا قبل خريف ١٠٧ .

[١٦] مات سوتير الثانى حوالى مارس عام ٨٠ . وحكمت كليوبترة برنيقى حوالى ستة شهور اثناء ذلك العام .

[١٧] خلف بطلميوس الحادى عشر (الاسكندر الثانى) الملكة كليوبترة برنيقى على العرش وحكم ١٩ يوما فقط اثناء عام ٨٠ .

[١٨] طرد بطلميوس الثانى عشر (نيوس ديونيسوس) الملقب باوليتيس (Aulêtês) اى « الزمار » من عام ٥٨ (بعد ٧ سبتمبر) الى عام ٥٥ (قبل ٢٢ ابريل) .

برينيقى الرابعة [١٩]	مع كليوبترة تريفاينى [٢٠] ٥٨/٧		٥٦
	مع أرخيلاوس [٢١]	٥٦	٥٥
بطلميوس الثانى عشر (نيوس ديونيسوس)	منفردا (بعد العودة من المنفى)	٥٥	٥٢
	مع ابنيه : [٢٢] { كليوبترة السابعة وبطلميوس الثالث عشر	٥٢	٥١ *
كليوبترة السابعة (فيلوپاتور) [٢٣]	مع أخيها بطلميوس الثالث عشر [٢٤]	٥١	٤٧ =

[١٩] برينيقى الرابعة هى ابنة بطلميوس « الزمار » الكبرى من زوجته كليوبترة تريفاينا . (Cleopatra Tryphaena) وقد قتلها ابوها بعد عودته من المنفى .

[٢٠] ليس من المعروف اذا كانت كليوبترة تريفاينا هذه هى زوجة بطلميوس «الزمار» ام ابنته التى كانت تحمل نفس الاسم ، راجع : Bevan, **op. cit.** p. 354

[٢١] ارخيلاوس (Archelaus) بن ارخيلاوس احد قواد مثريداتيس ، ملك بنطوس ؛ وقد انحاز الى الرومان قبل الحرب المثريداتية الاخيرة . وقد ادعى ارخيلاوس الاصغر انه ابن مثريداتيس نفسه . وقد جىء به الى الاسكندرية ليتزوج برينيقى الرابعة .

[٢٢] اشترك الابنان فى الحكم مع ابيهما ابتداء من ٥ سبتمبر ٥٢ .

* عن سنة ٥١ (وهى السنة الثلاثين والاخيرة من حكم أوليتيس والاولى بالنسبة لكليوبترة) ، راجع :

T. C. Skeat, «Notes on Ptolemaic Chronology I : The Last Year which is also the First», **JEA** 46 (1960), 91-94.

[٢٣] كليوباترة السابعة (فيلوباتور) ـ اى محبة ابيها ـ هى كليوباترة الشهيرة ، آخر ملكات مصر البطلمية (راجع ص ٨٢ ـ ٨٣ من هذا الكتاب) . وكان عمرها ١٨ سنة عند وفاة ابيها (بين فبراير ومارس ٥١) . واما أخوها فكان احدهما عمره ١٠ والآخر ٨ . وكان لها اخت اصغر منها هى ارسينوى « الرابعة » وعمرها عندئذ يتراوح بين ١٤ ، ١٧ سنة .

[٢٤] استبعدت كليوبترة اخاها بطلميوس الثالث عشر لفترة مؤقتة بعد ستة اشهر فقط من موت ابيها خلال عام ٥١ (راجع : **PSI,** 1098) .

ـ ثم عادت واستبعدته بصفة نهائية فى السنة الثالثة من حكمها (سبتمبر ٥٠ ـ سبتمبر ٤٩) ، واحلت مكانه اخاها بطلميوس الرابع عشر . ونتيجة لهذا التغيير الجوهرى اعادت نظام حساب سنوات حكمها فاصبحت السنة الاولى من حكمها تسمى أيضا بالسنة الثالثة (انظر **JEA,** 48 [1962] p. 101 f.) . ويلاحظ ان اسمها يرد دائما سابقا على اسم شريكها .

ـ وهناك وثيقة اخرى (**BGU** 1730) مؤرخة بيوم ٢٧ اكتوبر عام ٥٠ فى عهد ملك

=

مع أخيها بطلميوس الرابع عشر [٢٥]	٤٧	٤٤
منفردة [٢٦]	٤٤	٣٦
مع ابنها بطلميوس قيصر [٢٧]	٣٦	٣٠

=

غير مسمى وملكة غير مسماة . ومن المرجح ان الملك هنا هو بطلميوس الثالث عشر وان الملكة اما كليوبترة السابعة متنازلة لاخيها — بمقتضى تسوية معينة — عن مركز الصدارة بحيث يرد اسمه سابقا على اسمها فى تاريخ الوثائق ، او ان تكون الملكة هنا (كما يقترح الاستاذ سكيت) هى أرسينوى « الرابعة » أختها الصغيرة ، وذلك فى الفترة التى طردت فيهـــا كليوبترة من الاسكندرية ولجات الى شرق الدلتا قبل اغتيال بومبى [فى ٢٨ سبتمبر ٤٨ وفقا للتقويم الرومانى غير المنقح = ٢٤ يوليو وفقا لتقويم يوليوس] ببضعة شهور ، أى فى الشطر الاخير من سنة حكمها الثالثة (سبتمبر ٥٠ — سبتمبر ٤٩) وأوائل سنة حكمها الرابعة (سبتمبر ٤٩ — سبتمبر ٤٨) ، ولعلها كانت قد طردت مُنذ ٢١ يناير ٤٨] ؛ راجع :
T. C. Skeat, «Notes on Ptolemaic Chronology. III. "The First Year which is also the Third"», **JEA** 48 (1962), 100-105.

وقد مات بطلميوس الثالث عشر غريقا أثناء معركة النيل قبل ١٥ يناير عام ٤٧ .

[٢٥] قتلت كليوبترة السابعة اخاها الاصغر بطلميوس الرابع عشر فى تاريخ يقع بين ٢٦ يوليو و٢ سبتمبر من عام ٤٤ ق م (أى فى نهاية السنة الثامنة من حكمها ، والسنة الرابعة من حكمهما المشترك) انظر : P. Oxy. 1629 التى يرد فيها ذكره لآخر مرة .

[٢٦] يظهر بطلميوس قيصر مع امه كليوبترة كشريك لها فى الحكم لفترة قصيرة خلال عام ٤١ (انظر : (P. Ryl. 582 ; PSI, 549 ; SB 7337

=

[٢٧] انجبت كليوبترة ابنها بطلميوس قيصر (وهو بطلميوس الخامس عشر) آخر ملوك الطالمة ، من يوليوس قيصر ، الدكتاتور الرومانى ، أثناء وجوده فى مصر من أكتوبر ٤٨ حتى مايو أو يونيو ٤٧ . وهو ابن غير شرعى ولد يوم ٢٣ يونيو عام ٤٧ . وقد أطلق عليه الاسكندريون لقب قيصرون (Caesarion) اى « قيصر الصغير » وقد اشركته معها فى الحكم بصفة مستديمة فى السنة الـ ١٦ من حكمها . [بمعنى (كما يقول الن صامويل فى ص ١٥٩) أن السنة ١٦ من حكمها = السنة ١ من حكمه ؛ لكن راجع سكيت (ص ٤٢) الذى يفسر التاريخ المزدوج بانه يشير الى السنة ١ من حكمها كملكة على خالكيس فىسوريا التى اهداها اليها ماركوس انطونيوس فى السنة ١٦ من حكمها (اى ٣٧/٦ ق م)] .

وعن المدة التى قضاها قيصر فى مصر ، أنظر : عبد اللطيف أحمد على « التاريخ الرومانى: عصر الثورة (١٩٦٧) ص ٢٧٢ ، حاشية ٢ .

ـــ سقوط الاسكندرية فى يد أكتافيانوس [٢٨]	٣ أغسطس	٣٠
ـــ انتحار كليوبترة [٢٩]	١٢ أغسطس	٣٠
ـــ بداية الحكم الرومانى فى مصر [٣٠]	٣١ أغسطس	٣٠ ق م

---

[٢٨] سقطت الاسكندرية فى يد اكتافيانوس يوم ٨ مسرى عام ٣٠ ق م . وكان يوم ٨ مسرى يوافق أول الشهر السادس (Sextilis) عند الرومان (وكان يسمى « السادس» لان السنة كانت عندهم تبدأ اصلا فى مارس) . وهذا الشهر « السادس » هو الذى سمى فيما بعد (عام ٢٧ ق م) بشهر اغسطس تكريما لاكتافيانوس الذى خلع عليه السناتو هذا اللقب (Augustus) ـــ بمعنى الجليل أو العظيم ـــ فى يناير عام ٢٧ ق م ، تاريخ ميلاد الحكم الامبراطورى . كان يوم ٨ مسرى اذن يوافق (فى السنوات غير الكبيسة) أول اغسطس ، طبقا للتقويم الرومانى المعمول به وقتئذ من الناحية الواقعية ، ولكنه كان يوافق يوم ٣ اغسطس طبقا « لتقويم يوليوس » النظرى المثالى الذى كان متبعا عند المؤرخين .

[٢٩] لا يعرف احد عن يقين متى انتحرت كليوبترة بالتحديد . لكن الاستاذ سكيت حاول ان يثبت انها انتحرت فى يوم ١٧ مسرى الموافق ١٢ اغسطس عام ٣٠ ق م ؛ انظر :
T. C. Skeat, «The Last Days of Cleopatra», **JRS** 43 (1953), 98-100 ; Idem, **The Reigns of the Ptolemies** (Münch. Beitr. Papyrusforsch. 39. Heft) 1954, p. 42 f.

[٣٠] لا تاريخ سقوط الاسكندرية يوم ٨ مسرى الموافق ١ اغسطس (حسب التقويم الرومانى المعمول به) أو الموافق ٣ اغسطس (حسب تقويم يوليوس النظرى المتبع عنـــد المؤرخين) ولا تاريخ انتحار كليوبترة يوم ١٧ مسرى الموافق ١٢ اغسطس عام ٣٠ ق م ، لا هذا التاريخ ولا ذاك اتخذ كبداية رسمية للحكم الرومانى فى مصر . ذلك ان اكتافيانوس لاحظ ان السنة المصرية تبدأ يوم ١ توت الموافق ٢٩ اغسطس (من الناحية الواقعية) والموافق ٣١ اغسطس (من الناحية النظرية) . لهذا رأى ان يتغاضى عن أيام شهر اغسطس الواقعة بين التاريخين المتقاربين (٣ اغسطس ، ٣١ اغسطس) حتى لا يجعل للسنة الاولى من حكمه بدايتين متقاربتين ، وان يتخذ من بداية السنة المصرية وهى أول توت (الموافق ٢٩ اغسطس واقعيا ، ٣١ اغسطس نظريا) ان يتخذ منها بداية رسمية لحكمه فى مصر . ومعنى هذا انه قرب أو وفق بين تاريخ سقوط الاسكندرية وراس السنة المصرية . وهكذا اعتبر يوم ٣١ اغسطس عام ٣٠ ق م هو البداية الرسمية للحكم الرومانى فى مصر ، وذلك طبقا « لتقويم يوليوس » النظرى الذى كان يتبعه المؤرخون القدامى (ولو ان ١ توت يوافق ٢٩ اغسطس طبقا للتقويم الرومانى المستعمل فعلا فى ذلك الوقت ، ويوافق ٣٠ اغسطس فى الســنوات الكبيسة) .

ويبقى بعد ذلك سؤال : من الذى كان يحكم مصر من ١ أو ٣ اغسطس حتى ٢٩ أو ٣١ اغسطس عام ٣٠ ق م ؟ كان اكتافيانوس هو الحاكم من الناحية الواقعية . لكن كليوبترة كانت لا تزال ـــ من الناحية النظرية ـــ هى الملكة الحاكمة على الاقل حتى انتحارها فى يوم ١٢ اغسطس عام ٣٠ ق م . ولهذا قيل انها اكملت السنة الثانية والعشرين من حكمها (الذى بدأ فى سبتمبر عام ٥١) يوم ٥ نسىء (آخر يوم فى السنة المصرية) الموافق ٢٨ اغسطس (عام

واختتم ثبت الملوك البطالمة بالملاحظات الآتية :

اتضح من احدى البرديات الديموطيقية (P. Dem. Carlsberg, 9) وجود دورة قمرية مداها ٢٥ سنة بمعنى ان التقويم المقدونى (وهو تقويم قمرى) يحتاج الى اضافة سنتين كل خمس وعشرين عاما لكى يتفق زمنيا مع التقويم الشمسى . وكان عام ٦/٢٥٧ ق م هو بداية الدورة القمرية الثانية مما يدل على انها قد اتبعت منذ حوالى عام ٢٨٣ (قبـل السنة الأربعين من حكم بطلميوس الأول سوتير) . وعلى اى حال فمن المرجح الآن أنه للتوفيق بين السنة المقدونية القمرية والسنة الشمسية كان يضاف منذ عام ٢٧٩/٢٨٠ (وهو العام السادس من حكم فيلادلفوس) شهر مرة كل سنتين الى السنة المقدونية . ويسمى بالشهر الكبيسى أو الاضافى أو النسىء (embolimos) وكان يضاف بعد شهر بريتيوس ، وهو آخر شهر فى السنة المقدونية وقتئذ (حيث أن ديستروس كان يوافق توت) . ويسمى عندئذ Peritios embolimos (بريتيوس الاضافى أو النسىء) . ومن الجائز ان هذا النظام اتبع ــ كما ذكرنا ــ منذ آخر عهد بطلميوس الأول .

ــ ويتبين من قـرار كانوب (OGIS, 56) ان بطلميوس الثالث (يورجتيس الأول) حاول اصلاح التقويم المصرى ، وربما ايضا تعديل

=

٣٠ ق م) . وفى راى كاتب قديم (كليمينس الاسكندرى) ان ابناءها حكموا مدة ١٨ يوما (من ١٢ الى ٢٩ اغسطس عام ٣٠ ق م) .

وعن سنوات حكم الملوك البطالمة ، ومشكلات تاريخ احداث عهدهم ، راجع :

Fr. Preisigke, **Wörterbuch** III (Besondere Wörterliste). Berlin 1931, pp. 32-41

T. C. Skeat, «The Reigns of the Ptolemies. With Tables for Converting Egyptian Dates to the Julian System», **Mizraim** VI (1937), 7-40

وقد اعاد سكيت نشر هذا الثبت مصححا ، راجع :

T. C. Skeat, **The Reigns of the Ptolemies** (Münchener Beiträge zur Papyrusforschung und antiken Rechtsgeschichte 39. Heft). München, 1954.

وآخر ما صدر فى هذا الموضوع الكتاب التالى :

Alan E. Samuel, **Ptolemaic Chronology** (ibid. 43. Heft). München, 1962

راجع ايضا :

F. M. Heichelheim, A Chronological Table from 323 to 30 B.C., in **Proceedings of the IX International Congress of Papyrology, Oslo 1958** (Norwegian Univ. Press 1961), pp. 163-182.

نظام الدورة القمرية . لكن ذلك لم يتم ، بل ان نظام الدورة القمرية الذى كان متبعا فى عهد سلفه بانتظام ، لم يتبع فى عهده الا نادرا . وقد اعترى كلا من التقويمين المصرى والمقدونى الاضطراب ، ولم تعد العلاقة بين التقومين ثابتة أو مطردة ، بل شابها التقلب والتناقض . والخلاصة هى ان التقويم فى عهد بطلميوس الثالث لم يحكمه نظام موحد فى كل مكان من مصر أو فى جميع الأوقات ، وليس ادل على اضطراب التقويم من عدم ثبات او اطراد الشهر النسىء (embolimos) فهو تارة يضاف الى شهر بريتيوس (Peritios) وتارة اخرى الى شهر هوپربريتايوس (Hyperberetaios) وتارة ثالثة الى شهر باناموس أو پانيموس (Panemos) وكان الشهر النسىء فى اوائل عهد هذا الملك يضاف إلى السنوات الفردية (كما كان الحال فى عهد سلفه) ، لكنه اصبح يضاف بعدئذ الى السنوات الزوجية . وكانت الوثائق فى عهده تؤرخ اما بسنة الحكم المقدونية أو السنة المصرية أو بما يسمى بالسنة المالية (التى تبدأ من أمشير وتنتهى فى طوبة) . وكان من اسباب اضطراب التقويم — على ما يبدو — عدم الاستقرار على بداية سنة حكمه فكانت سنة حكمه المقدونية تبدأ — بمقتضى طرق مختلفة فى الحساب — فى أوقات مختلفة (ديوس — ديسترس — لويوس) ، وإن كانت بدايتها فى شهر ديستروس هى الأرجح .

— ولم تحدث المقابلة أو التوفيق الزمنى بصفة نهائية بين السنة المقدونية والسنة المصرية الا فى عهد بطلميوس الثامن (يورجتيس الثانى) بين سنتى ١٣١/١٣٠ — ١١٩/١١٨ على نحو ما ذكرنا (راجع ما تقدم فى ص ٢٠٢ حاشية ٢) وأصبح شهر ديوس (Dios) ، وهو أول شهر فى السنة المقدونية ، يقابل شهر توت ، وهو أول شهر فى السنة المصرية . وقد استقر الأمر على ذلك الوضع حتى نهاية العصر الرومانى . واليك جدول يبين ذلك ومقابلته مع تقويم يوليوس (أو الجريجورى) المعمول به حاليا :

Dios	= Thôth	(توت)	=	29 Aug.-27 Sept.
Apellaios	= Phaôphi	(بابة)	=	28 Sept.-27 Oct.
Audnaios	= Hathyr	(هاتور)	=	28 Oct.-26 Nov.
Peritios	= Choiach	(كيهك)	=	27 Nov.-26 Dec.
Dystros	= Tybi	(طوبة)	=	27 Dec.-25 Jan.
Xandikos	= Mecheir	(امشير)	=	26 Jan.-24 Feb.
Artemisios	= Phamenôth	(برمهات)	=	25 Feb.-26 Mar.
Daisios	= Pharmouthi	(برمودة)	=	27 Mar.-25 Apr.
Panêmos	= Pachôn(s)	(بشنس)	=	26 Apr.-25 May
Loios	= Paüni	(بؤونة)	=	26 May-24 June
Gorpiaios	= Epeiph	(أبيب)	=	25 June-24 July
Hyperberetaios	= Mesorê	(مسرى)	=	25 July-23 Aug.

— ويلاحظ ان السنة المصرية المنتهية بيوم ٢٣ اغسطس كان يضاف اليها — لاستكمالها — خمسة أيام تسمى بأيام النسىء (hêmerai epagomenai) تبدأ من يوم ٢٤ أغسطس وتنتهى يوم ٢٨ اغسطس وقد ثبت الامبراطور اكتافيانوس أغسطس بداية السنة المصرية بان جعل يوم ١ توت يوافق ٢٩ من شهر أغسطس .

— لكن لما كانت السنة المصرية (وهى سنة شمسية) تتالف اصلا من ١٢ شهرا كل منها يشتمل على ٣٠ يوما+٥ ايام نسىء فان المجموع الكلى للايام كان ٣٦٥ . معنى ذلك انها كانت متخلفة عن السنة الشمسية الواقعية بحوالى ربع يوم .

— وعلى ذلك فقد قرر الامبراطور اغسطس ان يزاد عدد ايام النسىء فى السنوات الكبيسة (اى مرة كل أربع سنوات) الى ستة ايام تبدأ من يوم ٢٤ اغسطس وتنتهى فى يوم ٢٩ اغسطس ومعنى هذا ان السنة الكبيسة تبدأ من يوم ٣٠ اغسطس (ومع هذا فقد تبين من بعض الوثائق البردية ان بعض المصريين كانوا يؤرخون العقود وفقا للسنة المصرية القديمة (kat'archaious) غير المستقرة . (annus vagus) غير حافلين بتنظيم اغسطس) .

— وقد تعرفنا على السنوات الكبيسة منذ بداية العصر الرومانى ، وتبين انها السنوات : ٢٢ — ١٨ — ١٤ — ١٠ — ٦ — ٢ قبل الميلاد ؛ والسنوات : ٣ — ٧ — ١١ — ١٥ — ١٩ .. الخ بعد الميلاد .

— وعند مقابلة يوم فى التقويم الجريجورى (يقع قبل شهر برمهات Phamenôth) بنظيره فى التقويم المصرى ، يراعى اضافة يوم آخر الى اليوم الأول وذلك فى السنوات الكبيسة فقط .

— واما فى التقويم المقدونى فكانت السنة قمرية تنقسم الى ١٢ شهرا احدها ٣٠ يوما والآخر ٢٩ على التوالى . وقد راينا كيف طغت عليها السنة المصرية ، وكيف قامت محاولات منذ نهاية القرن الثالث ق م للتوفيق بينهما انتهت عند نهاية القرن الثانى ق م بالمقابلة بينهما بصفة نهائية . ومن الغريب ان التاريخ المقدونى ظل فى بعض الاحيان يوضع قبل التاريخ المصرى (حتى العصر الرومانى) كمجرد تقليد شكلى لا معنى له :
(**P.S.A. Athen.** 25 [61 A.D.])

— كان تاريخ الوثائق فى العصر البطلمى والعصر الرومانى بسنوات حكم الملوك والاباطرة . وبعد عهد دقلديانوس (٢٨٤ — ٣٠٥) صار التاريخ

بسنوات حكم القناصل (راجع ص ١٥٧) . ولما جاء جستنيان قرر فى عام ٥٣٧ أن تؤرخ الوثائق بسنوات حكم الاباطرة ايضا على أن تسبق سنوات القناصل (راجع ص ١٥٧ ــ ١٥٨ : حيث يقول الاستاذ « بل » ان القنصلية الغيت على أيام الامبراطور جستنيان [عام ٥٤١] . لكن نظام القنصلية ــ فى الواقع ــ ظل معمولا به حتى عهد الامبراطور هرقل [عام ٦١٣] وان كان المنصب اقتصر على الاباطرة أنفسهم ، ولم يعد يتولاه سواهم)

ــ ومنذ عام ٣١٢ م كان هناك تأريخ حسب الدورة الضريبية المسماة إندكتيو (indictio) (راجع ص ١٥١) . ولكنها لا تصلح لتحديد السنة التى دونت فيها الوثيقة ، الا اذا أمكن بمعلومات اضافية تحديد موضع هذه الدورة التى كان مداها ١٥ سنة (راجع :
E. H. Kase, Jr. **A Papyrus Roll in the Princeton Collection**, 25 ff.).

*

الأباطرة الرومان

قيصر اغسطس [1]	٣٠ق م	١٤ م
تيبيريوس	١٤ م	٣٧
جايوس (كاليجولا)	٣٧	٤١
كلوديوس	٤١	٥٤
نيرون [2]	٥٤	٦٨
الأباطـرة الاربعـة (جالبـا — أوتو — فيتيليوس — ڤسباسيان) [3]	٦٨	٦٩

---

[1] اسمه عند نشاته جايوس اكتافيوس . وقد تبناه جايوس يوليوس قيصر الدكتاتور (الذى اغتيل فى ١٥ مارس عام ٤٤ ق م) بمقتضى الوصية التى تركها وفتحت بعد موته . وبهذا اكتسب اكتافيوس — وفقا للعرف الرومانى — اسم أبيه الجديد فاصبح جايوس يوليوس قيصر اكتافيانوس . ومن الغريب انه هو الذى اشتهر باسم « قيصر » . واذا ورد هذا الاسم منفردا فى الوثائق البردية فانه يعنى اكتافيانوس فى الغالب . ولم يحمل لقب « اغسطس » الا ابتداء من يناير عام ٢٧ ق م بمقتضى قرار من السناتو . ومعنى اللقب اللاتينى اغسطس (Augustus) « الجليل » او « العظيم » ويقابله فى اليونانية سيباستوس (Sebastos) . ويلاحظ ان كل خلفائه من الاباطرة سيتخذون هذين اللقبين : قيصر واغسطس . كذلك لقب اكتافيانوس اغسطس بابن المؤله (Divi filius) ، ويقصد بالمؤله ابوه يوليوس قيصر الدكتاتور . كما يلقب فى الوثائق غير الرسمية بالاله ابن الاله والاله قيصر ، وقيصر الاله ، والاله اغسطس قيصر ، والاله والمولى الامبراطور قيصر ، وغير ذلك من الالقاب المشابهة .

ونجد بعض الوثائق من عصره مؤرخة أحيانا ، لا بسنوات الحكم ، بل بسنوات سلطته او سيادته (kratêsis) ، فيقال السنة كذا من سيادة قيصر بن المؤله (مثال ذلك : (P. Ryl. 601 ; PSI 115t) ; P.Mich.345) ؛ راجع : عبد اللطيف احمد على « مصر والامبراطورية الرومانية فى ضوء الاوراق البردية » ، ص ٤١ — ٤٢ هامش .

— ويرد احيانا اسم زوجة الامبراطور اما وحده او مقرونا باسم زوجها فى تاريخ الوثائق البردية ، فيرد اسم ليفيا زوجة اغسطس منفردا ، ويرد اسم سابينا زوجة هادريان ، وفاوستينا زوجة ماركوس أوريليوس ، وجوليا دومنا زوجة سبتيميوس سفيروس .

[2] تسمى الاسرة من قيصر اغسطس حتى نيرون باسم أسرة « يوليوس — كلوديوس » [Julio-Claudian] نتيجـة للمصـاهرة التى تمت بين أسرة يوليـوس قيصر واسرة تيبريوس كلوديوس .

[3] يعرف عام ٦٨/٦٩ (أو بالاحرى ٦٩) بعام الاباطرة الاربعة الذين ادعى كل منهم عرش الامبراطورية (راجع : « مصر والامبراطورية الرومانية » ، ص ١٣٨ — ١٣٩ والحواشى) وهؤلاء الاباطرة هم :

=

قسباسيان		٦٩	٧٩
تيتوس		٧٩	٨١
دوميتيان [٤]		٨١	٩٦
نرفا		٩٦	٩٨
تراچان		٩٨	١١٧
هادريان		١١٧	١٣٨
انطونينوس پيوس		١٣٨	١٦١
ماركوس أوريليوس	(مع فيروس	١٦١	١٦٩
	(منفردا [٥]	١٦٩	١٧٧
	(مع كومودوس	١٧٧	١٨٠
كومودوس [٦]		١٨٠	١٩٢
سبتيميوس سفيروس	منفردا [٧]	١٩٣	١٩٨
	مع كراكللا	١٩٨	٢٠٩
	مع كراكللا وجيتا [٨]	٢٠٩	٢١١
كراكللا (ماركوس أوريليوس سفيروس أنطونينوس) [٩]		٢١٢	٢١٧
ماكرينوس		٢١٧	
ماكرينوس وديادومينيانوس		٢١٧	٢١٨
هليوجبالوس (ماركوس أوريليوس انطونينوس)		٢١٨	٢٢٢

= ـ جالبا (٩ يونيو ٦٨ ـ ١٥ يناير ٦٩)
ـ أوتو (١٥ يناير ٦٩ ـ ٢٥ ابريل ٦٩)
ـ فيتيليوس (٣ يناير ٦٩ ـ ٢٨ ديسمبر ٦٩)
ـ قسپسيان (١ يوليو ٦٩ . وفاز بالعرش وظل يحكم حتى ٢٣ يونيو ٧٩) .

[٤] تسمى الاسرة من قسپسيان حتى دوميتيان باسرة فلافيوس (Flavius)

[٥] ادعى العرش فى مصر فى أوائل صيف عام ١٧٥ مغتصب يسمى جايوس افيديوس كاسيوس (C. Avidius Cassius) .

[٦] درج بعض أبناء الاباطرة بعد اعتلائهم العرش على ان يحسبوا مدة حكمهم بأثر رجعى فاعتبر كومودوس ـ مثلا ـ عام ١٦١ بداية حكمه . وقد ظل يحكم حتى ديسمبر ١٩٢ .
ـ وبعد موته ادعى العرش مغتصب اسمه پوبليوس هلفيوس برتيناكس P. Helvius Pertinax (١ يناير ١٩٣ ـ ٢٨ مارس ١٩٣) .
ـ ثم ادعاه مدع آخر اسمه ماركوس ديديوس يوليانوس M. Didius Iulianus (٢٨ مارس ـ ٢ يونيو ١٩٣) . ولكن اسمه لا يظهر فى الوثائق البردية من مصر .
ـ وتسمى الاسرة من نرفا حتى كومودوس باسم أسرة انطونينوس (Antoninus) .

[٧] من ابريل أو مايو ١٩٣ الى اكتوبر ١٩٤ ادعى العرش مغتصب يسمى بسكينيوس نيجر (C. Pescennius Niger) . وقد لقب نفسه بالعادل (Ioustos)

[٨] حسبت سنوات الحكم بالنسبة للجميع بأثر رجعى ابتداء من عام ١٩٣ .

[٩] شاركه اخوه جيتا (Geta) فى الحكم من فبراير ٢١١ الى فبراير ٢١٢ .

هليوجبالوس وسڤيروس الاسكندر [١٠]	٢٢٢	
سڤيروس الاسكندر (ماركوس أوريليوس سـڤيروس الاسكندر) [١١]	٢٢٢	٢٣٥
ماكسيمينوس	٢٣٥	
ماكسيمينوس وماكسيموس	٢٣٦	٢٣٨
پوپيينوس وبالبينوس	٢٣٨	
پوپيينوس وبالبينوس وجورديانوس	٢٣٨	
جورديانوس	٢٣٨	٢٤٤
فيليب (العربى)	٢٤٤	
فيليب (العربى) وابنه فيليب	٢٤٤	٢٤٩
ديكيوس	٢٤٩	٢٥٠
ديكيوس وهيرينيوس وهوستيليانوس	٢٤٩	٢٥٠
تريبونيانوس جاللوس وهوستيليانوس	٢٥١	
تريبونيانوس جاللوس وڤولوسيانوس	٢٥١	
إيميليانوس	٢٥٣	
ڤاليريانوس وجاللينوس	٢٥٣	٢٥٤
ڤاليريانوس وجاللينوس وڤاليريانوس (قيصر)	٢٥٣	٢٦٠
ماكريانوس وكويتوس	٢٦٠	
جاللينوس [١٢]	٢٦٠	٢٦٨
كلوديوس الثانى	٢٦٨	٢٧٠
أوريليانوس [١٣]	٢٧٠	٢٧٥

---

[١٠] اشرك هليوجبالوس (الاجبالوس) معه ابنه الاسكندر عام ٢٢٢ وحسب سنوات الحكم بأثر رجعى منذ ١٩٨ .

[١١] تسمى الاسرة من سپتيميوس سـفيروس الى سفيروس الاسكندر باسـم اسرة سفيروس (Severus) .

[١٢] حسب جاللينوس مدة حكمه ابتداء من ٢٥٣ .

[١٣] فى عام ٢٧٠ شارك اوريليانوس الحكم وهب اللات السورى ، ويسمى وهب اللات اثينودوروس (Vaballathus Athênodôros) الاخير هو ابن زنوبيا (Zênobia) ملكة بالميرا (تدمر الحالية فى سوريا) وزوجة اذينة الثانية (Odaenathus) التى احتلت مصر بجيش عام ٢٦٩ بمعاونة زعيم محلى يدعى تيماجنيس (Timagenês) . وقد تمرد وهب اللات على أوريليانوس واستقل واعلن نفسه امبراطورا فى مصر . وصدرت فى الاسكندرية عملة تحمل صورته وزنوبيا فقط . لكن لم يلبث ان استرد اوريليانوس مصر على يد قائده بروبوس فىعام ٢٧١ ، وهاجم هو نفسه «تدمر» واسر زنوبيا فى ٢٧٢ وسيقت فى موكب نصره فى روما عام ٢٧٤ ، ثم صفح عنها هى وابنها وعاشت هناك مكرمة . راجع :
G.Downey. **TAPA** 18 (1950), 57-58; J. Schwrtz **BSAA**, 40 (1953), 63-81.

تاكيتوس		٢٧٥	٢٧٦
پروبوس		٢٧٦	٢٨٢
كاروس ـ كارينوس ـ كاروس وكارينوس كاروس وكارينوس ونوميريانوس كارينوس ونوميريانوس		٢٨٢	٢٨٣
دقلديانوس	منفردا	٢٨٤	٢٨٦
	مع ماكسيميان (اغسطس)	٢٨٦	٢٩٣
	مع ماكسيميان (اغسطس) وقسطنطيوس وماكسيميانوس (القيصرين) [١٤]	٢٩٣	٣٠٥

وعن التاجر السكندرى الثرى فيرموس (Firmus) الذى ثار فى عام ٢٧٢ ضد أوريليان (ربما لحساب زنوبيا ووهب اللات) ، وعن صلته بكلوديوس فيرموس (Claudius Firmus) الذى حمل فى مصر (عام ٢٧٤ لقب (epanorthôtês) corrector بمعنى مندوب خاص يعمل لحساب الحكومة الشرعية (اوريليانوس) او لحساب ثائر على هذه الحكومة ، راجع :

P. Merton I, pp. 157-161. (Cf. now P. Lugd. Bat. XVII, No. 7).

ولعل كلوديوس فيرموس هذا كان من قبل واليا على مصر عام ٢٦٤/٢٦٥ ، راجع
Stein, **Die Präfekten von Aegypten**, pp. 146; 151 f.

[١٤] من يوليو ٢٩٦ حتى مارس ٢٩٧ ظهر ثائر وادعى العرش اسمه لوكيوس دوميتيوس دوميتيانوس (L. Domitius Domitianus) وعين له نائبا فى مصر بلقب مصلح corrector (= epanorthôtês) يدعى اوريليوس اخيلليوس (Aurelius Achilleus) . وعن ثورة هذا المغتصب ، انظر الآن :

P. Cair. Isidor. pp. 17-20 (Introd.) J. Schwartz, **Chron. d'Eg.** 38 (1963), 149-155; Cf. however, Cl. Vandersleyen, **Chronologie des préfets d'Egypte de 284 à 395** (Brux. 1962), 44-61.

وعن سنوات حكم الاباطرة الرومان ، والقابهم ، راجع :

— W. Liebenam, **Fasti Consulares Imperii Romani** (Kleine Texte für Theol. und Philos. 41-43, ed. H. Lietzmann) Bonn. 1909.
— Fr. Preisigke, **Wörterbuch** III (Berlin, 1931), pp. 41-67
— A. Degrassi, **Fasti consolari dell'Impero Romano** (Roma, 1952), pp. 275-285.
— P. Bureth, **Les Titulatures impériales dans les papyrus, les ostraca et les inscriptions d'Egypte** (30 a.C.-284 p.C.) Bruxelles, 1964.

اباطرة العصر البيزنطى

قسطنين الاول [١] (منفردا)	٣٠٦	٣٢٣ [١]
(مع القيصرين)	٣٢٤	٣٣٧
قسطانس	٣٣٧	٣٥٠
قسطنطيوس الثانى	٣٣٧	٣٦١
چوليان (المرتد)	٣٦١	٣٦٣
ڤالنتنيان الاول	٣٦٤	٣٧٥
ڤالنس وڤالنتنيان الثانى	٣٧٥	٣٧٨
ڤالنتنيان الثانى وثيودوسيوس الاول	٣٧٩	٣٩٢
ثيودوسيوس الاول (منفردا)	٣٩٢	٣٩٥
اركاديوس	٣٩٥	٤٠٨
ثيودوسيوس الثانى	٤٠٨	٤٥٠
ليو الاول	٤٥٧	٤٧٤
اناسطاسيوس	٤٩١	٥١٨
چستين الاول	٥١٨	٥٢٧
چستنيان الاول	٥٢٧	٥٦٥
چستين الثانى	٥٦٥	٥٧٤
چستين الثانى وتيبيريوس	٥٧٤	٥٧٨
تيبيريوس الثانى	٥٧٨	٥٨٢
موريس	٥٨٢	٦٠٢
فوكاس	٦٠٢	٦١٠
هرقل	٦١٠	٦٤١ [٢]

[١] ويكتب احيانا قنسطنطين « وكذلك يقال قنسطانس » و « قنسطنطيوس » الثانى.

[٢] راجع الكتب الآتية :

— Fr. Preisigke, **op. cit.** pp. 68-72
— A. Degrassi, **op. cit.** pp. 281-286
— A. Bataille, **Traité d'Etudes Byzantines : Les Papyrus** (éd. P. Lemerle) Paris, 1955, pp. 70-73 (Appendice II).

محتويات الكتاب

صفحة

* * *

الفصل الثالث

* * *

الفصل الرابع

صفحة

* * *

ملحق


Bibliotheca Alexandrina
0222734